

المنهل

AL MANHAL

مجلة العرب الأدبية

العدد (٥٢٧) المجلد (٥٨) العام [٦٢] رمضان ١٤١٧ هـ / يناير ١٩٩٧

الطفل

الداعية

كلمات للحياة

التاريخ ابداع

شعر احسن الذي انزل فيه القرآن

- الإبراهيمي في قلب المعركة!
- حدود الواقعي والمتكامل
- الساعات الحيوية عند الكائنات الحية
- المعجم الماهر والتكنولوجيا الحديثة
- السواك في معامل البحث

مما قيل



الصوم جنة

يقوم المسلمون ، في مشارق الأرض ومغاربها ، بصيام شهر رمضان المبارك ، في كل عام . وفرضية الصوم على المسلمين وجعله «ركناً رابعاً» من أركان الاسلام الحنيف ، مغزاهما الاول والاخير «تنقية» نفوسهم من الاوصار ، وتصفية» ارواحهم من الاكدار . . . التي تقتضيها ملايسات الحياة طيلة احد عشر شهراً من السنة . . . فهم اذا صاموا ايام شهر رمضان وقاموا لياليه كانوا بلا شك اقدر على مواجهة مطالب الدين والدنيا . . . بعد تحمّلهم لهذه الرياضة الشاقة الذبذبة في آن واحد .

ولكن الاسف يحز في نفوسنا ، حينما نرى عامة المسلمين وغالبيتهم في مختلف بقاع الارض يتخفون من هذا الشهر وسيلة من وسائل الامعان في الترف وكثرة الملل والمشرّب . . . زيادة عما كانوا عليه في ايام افطارهم .

لقد نسوا (الهدف) السامي الذي من اجله شرع الله جل وعلا لهم هذه الفريضة المقدسة ، لترتفع بها مكائنتهم عن السوى . . . فضاعت عليهم هذه الفرصة الثمينة السميّة .

ان المسلمين في فجر الاسلام ، كانوا اذا انتهبوا من صيامهم المفروض الذي كانوا يؤدونه حق الاداء في ليل ونهار ، يشعرون بغض من السمو الروحي والنشاط الجسمي يجريان في شرايينهم . . . ويتدفقان الى قلوبهم .

انهم - بمناسبتة - كانوا يبتعدون عن مراتع التهاور والتشاحن والتباغض ، ويقدّمون على رياض المحبة والتآلف والتسامح والتخلى والتصافي ، واسداء الخير . . . وقمع الشرور في النفوس . . . وبذلك كان صيامهم لهم (جنة) بضم الجيم ، يتربسون بها من اعدائهم الداخليين والخارجيين ، وليس امثّن من دروع تقوية النفس وترقيتها لاحتمال كل المشاكل ومواجهة كل الصعاب بروح رياضية مطمئنة متوثبة .

والله قد امرنا بالصوم ، وجعله صومين ، صوماً جسمياً يتمثل في شهر الصيام المبارك فيقوى به كيانتنا الخاص والعام امام متربصى اعداء الداخلين والخارجيين ، وصوماً روحياً يتمثل في كبت غيلان الشر في جوانمنا وكبح جماحها والنظر الى (المصلحة العامة) قبل (المصلحة الخاصة) ومجابهة اعدائنا الداخليين والخارجيين في (صف) موحد كالبنين الرصوص . . . (ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفاً كأنهم بنيان مرصوص) فوحدة الصف هذه قد شرعها لنا الله الحكيم العليم في محكم تنزيله ودعانا الى اعتناقها . . . واعرب لنا عن (محبة) لنا اذا نحن قمنا بها على المنوال المطلوب منا . . .

ليت المسلمين يصومون في صيامهم وافطارهم عن الخنى والركض المجنون وراء الشعارات المستوردة ، فلدينا افضل شعار يهدينا سواء السبيل ، وبينما يوقدنا ويطلونا على اجمل طراز .

انهم ان فعلوا ذلك كان صيامهم مقبولاً . . . وافطارهم ميموناً ، ومجتمعهم ايّماً كان في الحالين سعيداً ومتطوراً تامياً ومتقدماً راشداً سامياً . . . فهل هم فاعلون!!

«عبد القدوس الأنصاري»

١٢٨٢هـ / ١٩٦٢م

تصدر في المملكة
العربية السعودية - جدة
عن دائرة المنهل
للصحافة والنشر المحدودة

أولى أمهات الصحافة السعودية

أسسها المغفور له

عبد القدوس القاسم الأنصاري

عام ١٣٥٥هـ / ١٩٣٧م

المركز التوزيعي:

جدة الشرفية ص ب ٢٩٢٥ رمز
بريدي ٢١٤٦١ بريقيا: المنهل
فاكس: ٦٤٢٨٨٥٣ ت: ٦٤٢٧٨٣١ -
٦٤٣٩٧٦٥ - ٦٤٢٢١٢٤ - ٦٤٢٥٦٨٧
- الرياض: ص ب ٢٩٠ ت: ٤٥٤٢٤٣٢

سعر النسخة:

السعودية ١٠ ريالاً - قطر ٨ ريال -
المغرب ٩ دراهم - مصر ١٥٠ قرشاً -
تونس ٨٠٠ مليم - الكويت ٦٠٠ فلس -
عمان ٦٠٠ بيسة - الامارات ٨ دراهم -
البحرين ٧٠٠ فلس - موريتانيا ١٠٠
أوقية - الأردن ٥٠٠ فلس .

الاشتراكات:

جدة ت: ٦٤٢٢١٢٤

- قيمة الاشتراك السنوي
للمؤسسات الحكومية ٢٥٠ ريال،
- قيمة الاشتراك للأفراد ١٥٠ ريال

لقطة الشهر



الطفل: أمانة والديه والمجتمع .. ينبغي أن يحاط بكل أسباب العناية في التربية: سلوكاً وأخلاقاً .. وفكراً ومعرفة ..
والتربية الدينية هي البيئة الطبيعية التي تصون فلذات أكبادنا .

الشارة

● تحتفظ هيئة التحرير بالحق في تحديد أولويات النشر ويخضع ترتيب مواد المجلة لاعتبارات فنية لا علاقة لها بالموضوع أو مكانة الكاتب ويشترط في الاسهامات عناصر الجدة، العمق والرصانة العلمية، للمجلة الحق في عدم نشر المواضيع التي تراها غير مناسبة للنشر بون الالتزام بإعادة الموضوع لمصدره، كما يرجى الاشارة لمصادر المادة بصورة واضحة.



طبع بمطابع شركة المدينة المنورة للطباعة والنشر
تليفون: ٦٦٧٠٦٠٦ - فاكس: ٦٦٠٤٦٧٦

صاحب المجلة
رئيس التحرير

نجيبه بن عبد القدوس
الأنصاري

مستشار التحرير

أ.د / عبد الرحمن الأنصاري

نائب رئيس التحرير
المدير العام

زهير بن نجيبه الأنصاري

عزيزي القارئ
عزيزتي القارئة

هذه المجلة تحمل في العديد من صفحاتها آيات قرآنية كريمة وأسماء الله الحسنى فضلاً عن أحاديث نبوية شريفة الرجاء المحافظة عليها.



غلاف العدد

السمو الروحي

دار المنهل
Almanhal

مجلة شهرية للثقافة والتربية

العدد: (٥٣٧)

المجلد: (٥٨)

الصفحة: (٦٢)



دار المنهل

للصحافة والنشر المحدودة

تهنيء الأمة العربية

والإسلامية وقرائها

بمناسبة حلول

شهر رمضان المبارك

اعادة الله علينا جميعاً

بالخير والبركة

وكل عام وأنتم بخير



السمو الروحي غاية إيمانية يسعى إليها المؤمن، وحسن التوجه لله سبحانه، وتحقيق العبادة، الدرجات الموصلة لهذا السمو.

والاحسان اسمى درجات العبادة (أن تعبد الله كأنك تراه.. فان لم تكن تراه فإنه يراك) إنها المراقبة الدائمة من غير انقطاع.

مراقبة الله سبحانه في السر والعلن .. مراقبته في كل عمل وسلوك.

والذي يسير حياته على هذا النمط السلوكي الجاد في معطيات حياته كلها، يكون أكثر توفيقاً في حياته ، لان داخله طبع على إبعاد (الآنا) التي تقسد كل الاعمال.. وهذه المراقبة تبعد عن الانسان المؤمن شبح رؤية نفسه في أعماله، لان المؤمن متى ما رأى نفسه في أعماله فقد زلت به القدم وهوى في قاع سحيق من قيعان النفس الامارة بالسوء.

والصوم - لا شك - يقوي في المسلم دافع المراقبة، في كل أعماله .. مراقبة رب القلوب حتى لا تزيغ بنا الاهواء، وتزل بنا الاقدام.

«الصوم جنة» وقاية حقيقية للنفس المؤمنة، المؤمن متى ما تعلق بأسباب السماء، ظلت روحه موصولة بالسماء ابدًا.

رئيس التحرير

وكلاء
التوزيع

الشركة السعودية للتوزيع/ جدة ٢٤٤٠٠٧٦ - وكالة الأهرام للتوزيع/ القاهرة ٥٧٤٧٠٤٤ - الشركة التونسية للصحافة/ تونس ٣٣٢٤٩٩ - الشرفية للتوزيع/ الدار البيضاء ٤٠٠٢٣٣ - شركة الامارات للطباعة والنشر والتوزيع/ أبوظبي ٤٥٦٥٠٠ - دار الثقافة للطباعة/ البوحي ٤١٤١٨٢ - وكالة التوزيع الأردنية/ عمان ١٩١٠٦٢ - دار اقرأ للنشر/ الخرطوم ٤١٨٠٩ - الشركة المتحدة لتوزيع الصحف والطبوعات د.م/ الكويت ٢٤٢١٤٦٨ - مؤسسة الهلال لتوزيع الصحف/ البحرين/ النمامة ٥٢٤٥٥٩.

الاعلانات: يراجع بشأنها الادارة ته: ٦٤٣٢١٢٤

الشهر من

- ٤ - الطفل الداعية .. حوار: يعقوب السيد.
- ١٤ - أفكار مثيرة للجدل (٣-٨) - د. محمد عمارة.
- ٢٤ - في القصص النبوي (٢٥) - د. عبد الباسط حنودة.
- ٢٨ - سنن الفطرة وأثارها التربوية - صالح أبو عراد الشهري.
- ٣٦ - إحصاء لفظ الجلالة (الله) والرب (إله) في المصحف الشريف - د. مجدى الطويل.
- ٤٢ - رمضان في الإسلام - فيصل صالح أسعد.
- ٤٤ - مع بدر يوم التقي الجيمان - د. نائل عبد الهادي.
- ٥٠ - رمضان في الأدب السعودي المعاصر - محمد مرسى محمد.
- ٥٢ - شهر الأمنيات (شعر) - محمد درويش.
- ٥٢ - أهلا رمضان (شعر) محمد رائف العري.
- ٥٤ - الصوم والصحة - د. محي الدين لبنية.
- ٦٢ - رمضان .. بالحب تلى (شعر) - يس قطب الغيل.
- ٦٤ - السواك في معاميل البحث - د. فوزي الفيشاوي.
- ٦٦ - العجم المعاصر والتكنولوجيا الحديثة - د. يوسف عز الدين.
- ٨٢ - الدكتور وافي .. الموسوعة العلمية - د. البدراري زهران.
- ٨٦ - من قراءاتي في الأدب العالمي (٢٤) - محمد بن احمد العقيلي.
- ٩٠ - فلسطين في وجدان الشاعر السوداني - د. عبيد خيري.
- ٩٦ - في ميدان الكلمة - حوار/ عقيل المسكين.
- ١٠٢ - حدود الواقعي والمخيل - د. عبد الملك أشهبين.
- ١٠٦ - قاعدة التيسير، ومسائل في الأفراد والتثنية والجمع.
- ١١٢ - المخدرات آفة العصر - احمد اسماعيل عبد الكريم.
- ١٢٠ - الانبراهيمي في قلب الحركة - د. عمر بن قينة.
- ١٢٤ - رحلة في الذاكرة (٣٠) - د. محمد رجب البيومي.
- ١٢٨ - الشعبي الفقيه الظريف - إياد فرعون.
- ١٣٠ - الأبداع في نظر التاريخ والمؤرخين - د. زكريا بيومي.
- ١٣٤ - سر الزجاجة (٢) - د. عبد الزقاق فراج الصاعدي.
- ١٣٦ - شذرات الذهب (٣٢) - د. أبو حسام.
- ١٤٠ - الساعات الحيوية - محمد فيض الله الحامدي.
- ١٥٨ - مسك الختام - سعد البواردي.

هذا في العدد



- ٠٤ - الطفل الداعية ص
- ٠٥ - الصوم والصحة ص
- ٠٦ - السواك في معاميل البحث ص
- ٠٨ - الدكتور وافي .. الموسوعة العلمية ص
- ٠٩ - فلسطين في وجدان الشاعر السوداني ص
- ١٠ - الحدود الواقعي والمخيل ص
- ١٣ - الأبداع في نظر التاريخ ص
- ١٤ - الساعات الحيوية ص

أقلام:

د. عبيد خيري
أبو عبد الرحمن الظاهري
د. زكريا بيومي
سعد البواردي

د. مجدى الطويل
د. فوزي الفيشاوي
د. يوسف عز الدين
د. البدراري زهران

الطفل

الداعية

يقال إن درء المفسدة مقدم على جلب المنفعة .. وهذا مبدأ طيب ومقبول وجيد - والأحسن من ذلك أن نستغل درء المفسدة الى حد أن نجعله مفتاحاً للولوج الى المنفعة .. وهذا ما حدث فعلاً مع والد أبعاد طفله عن حفظ الفث من الكلام في إعلانات وأغاني أجهزة الاذاعة والتلفاز ليوجه طاقة ولده الذهنية الى حفظ كتاب الله، وكتب الأحاديث والفقه وباقي العلوم الإسلامية مما ينفعه في دينه وديناه - طفل حفظ القرآن الكريم كاملاً وعمره سبع سنوات وشهران، ثم حفظ الأحاديث النبوية الشريفة في صحيح البخاري ومسلم و«الأربعين النووية» ومتن الشاطبية ومنظومة البيهقيونية في علم مصطلح الحديث، وكتاب اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيوخان، ومنظومة سلم الوصول الى علم الأصول في توحيد الله تعالى واتباع الرسول، وحفظ الأجرومية وكتاب (من تحفة الأطفال في علم التجويد) وكمّاً هائلاً من الأشعار الدينية وجيد البحث في المعاجم والفهارس لاستخراج ما يود استخراجه من مادة، وغير ذلك .. كل ذلك ولم يكمل أحد عشرة عاماً .. تبارك الله لا قوة إلا بالله .

منظومات وبسولات في الأصول - يتحدث بطلاً -

وفكرة هذا الاستطلاع برزت عندما دعا نادي مكة الأدبي والثقافي بمكة المكرمة مجلة المنهل للندوة التي عقدها لسماع ومناقشة الطفل عبد الله محمد جبر - الذي جاء من مصر بدعوة من الشيخ عبد الرحمن فقيه مع والده لأداء العمرة على نفقته، وإلقاء خطبة في نادي مكة الأدبي - كما قام النادي - مشكوراً - باهداء - المنهل - شريطاً مسجلاً بالصورة والصوت لكامل الندوة بإدارة الدكتور أحمد المؤرعي، وبحضور عدد كبير من كبار العلماء والمفكرين الاسلاميين بالملكة العربية السعودية، وجمهرة من كبار السن والشباب

وصغار السن .
وقد كانت الندوة في إدارتها ومنهجيتها ناجحة بكل المقاييس .

وحرصاً من مجلة المنهل على إطلاع



- د. راشد الراجح

قراءها ومحبيها على ما ارتأت أنه مثل حي يمكن للآباء والأبناء - على السواء - الاستفادة منه فقد قامت المجلة بتكليف مندوبها بالتوجه الى الشقيقة مصر العربية لعمل استطلاع مصور - من المنطقة التي يعيش فيها الطفل بين أسرته لتعميم الفائدة - بأن الله تعالى - وكان هذا الاستطلاع .

تطعت دونها أناس الرجال .. حفظها واستقرها طفل العاشرة سنة ونصاحة ولم يبلغ الثالثة بعد

البحث عن الطفل:

توجهت الى مدينة المنصورة -
وسألت عن عنوان الطفل
(الموهوب) - كما أسماه نادي مكة
الأدبي - وكان البعض يقول إنه
يعيش في قريته (أويش الحجر)
مركز المنصورة - وآخرون يؤكدون
أنه يقطن بالمنصورة ويتنقل بين
مساجدها إلا أنهم لا يعرفون
مقر سكنه بالتحديد - وقدراً
قابلت شاعر المنصورة/ المعروف
عبد الحميد الحبيبي - الذي

أفادني بأن والد الطفل عبد الله - هو شاعر
وصديق له وأنه يعرف سكنه .. وتوجهنا معا إلى
عنوانه بشوارع أبو عبده المتفرع من شارع
الجللاء .. وسألنا عن الطفل ووالده فقبل لنا إنه
اليوم في القاهرة يلقي خطبة الجمعة في أحد
مساجدها الكبيرة «خطبة الجمعة ١٩٠٠» طفل في
العاشرة من عمره، يلقي خطبة الجمعة ١٩٠٠ - اللهم زد
وبارك - هذا ما دار بخاطري عندما سمعت هذا
الخير - من محدثنا - وبدرت مني لمحة سريعة لوجه
مرافقي .. فوجدته لا يقل عن دهشة واستغرابا
.. وغداً سيكون في محافظة المنوفية فتركنا له
رسالة طالبين مقابلته لعمل حوار معه لمجلة المنهل -
بعد غد -

وعدت إليه في الموعد المحدد واستقبلني والد
الطفل استقبالا طيباً وأخبرني أن الطفل عبد الله
نائم الآن وهم بإيقاظه، ولكني طلبت منه أن نجلس



- الطفل عبد الله ووالده -



- د. أحمد المورعي -

معا لمحاورة هو -
إلى أن يستيقظ
طفله .. ولما كان
موضوع الحوار
من الأهمية بمكان
- فقد اتفقت معه
أن أ طرح عليه
جملة من الأسئلة
مرة واحدة حتى
لا أقاطعه بأسئلة

قد ينسى معها شيئاً يود قوله - هذا من جانب ومن
جانب آخر حتى لا أقطع على القارئ متابعة هذه
التجربة الناجحة النافعة - بإذن الله تعالى - فقال:
(أسمى محمد محمد جبر (٤٧ سنة) أسرتي من
قرية أويش الحجر - مركز المنصورة - مولود ومقيم
بمدينة المنصورة - حاصلاً على بكالوريوس
الهندسة - قسم بترول - عام ١٩٧٣ وأعمل مديراً

ذهاب للكتاب شبه منقطع حيث ألم بالشيخ الذي كان يحفظه القرآن الكريم في الكتاب مرض جعله يكف عن الذهاب للكتاب .. فتوليت القيام بمهمة

الكتاب إضافة الى مهمتي في المتابعة - وكنت أحيانا ألقى أمامه بعض أشعاري فكان أيضا يحفظها - إلى أن دُعينا يوما في نادي الوادي الجديد وألقى قصيدة شعر - وهو في هذه السن الصغيرة أمام محافظ الوادي الجديد - الذي كرمه وأثنى عليه وكافأه على حسن إلقائه وأدأته.

وعندما أتم خمس سنوات كان - بفضل الله تعالى - يحفظ جزئين من القرآن الكريم جزء عم، وجزء تبارك، وحصل على أول استثناء من شرط السن وبخل الصف الأول الابتدائي الأزهري وعمره خمس سنوات - بدلا من ست سنوات - وكان هذا الاستثناء حافزا - من الله به عليه - للمسارة في حفظ القرآن الكريم - فال معروف أن يحفظ التلميذ القرآن الكريم كاملا في المرحلة الابتدائية.

وكان عبد الله في نهاية السنة الأولى الابتدائية قد حفظ حوالي خمسة أجزاء وفي نهاية الأجازة الصيفية لنفس السنة الأولى الابتدائية كان قد حفظ ثمانية أجزاء كاملة.

في المنصورة:

ثم انتقلنا من محافظة الوادي الجديد إلى بلدتنا (المنصورة) واستمر في الحفظ مع استمرار متابعة الأسرة له فكانت أقوم بتحفيظه وتقوم والدته - وكذا أخوته بمتابعته والمراجعة له - في الأوقات التي لم أكن متواجدا بها في البيت - حتى أتم

لمركز التدريب للتشيد والبناء بالمنصورة - ولي ولدان وبنتان وترتيب عبد الله - الثالث - بين أولادي.

وبحكم عملي كنت أقسم وأسرتي في محافظة الوادي الجديد، وعندما كان عبد الله في سن عام ونصف العام أُلحقته بدار حضانة - ولعل احتكاكه بأطفال يختلفون في تعاملهم معه عما يعيشه في بيته ساعد في تشكيل جزء من شخصيته، وصار ينطق جملا مركبة تركيبا سليما - بالنسبة لسنه - وعندما

كان عمره سنتان ونصف السنة تقريبا، وكان في بيتنا - في ذلك الوقت - جهاز تلفاز - رأيته مرارا يردد أغنيات وإعلانات التلفاز وكذلك بعضا من المشاهد التي يشاهدها في التلفاز.

وفي يوم من الأيام وجدته يقرأ سورة الشرح (ألم نشرح لك صدرك) فآلهمني الله سبحانه وتعالى أن أحفظه كتاب الله، وأن أبعده عن جهاز التلفاز .. وفعلنا تخلص من هذا الجهاز فوراً.

وبدأت - مستعينا بالله - في تحفيظه القرآن الكريم، من جزء عم في هذه السن الصغيرة فوجدته يتقبل فقمتم بإلحاقه بأحد الكتابين بمحافظة الوادي الجديد - حيث كنت أعمل بها - ولأنني أعلم الدور الكبير الذي

يجب على الأسرة القيام به حيال طفلها فقد كنت أتابعه متابعة دائمة وأقوم بتحفيظه القرآن الكريم بأن أقرأ الآية الكريمة أمامه - ويقوم هو بتريديها بعدى إلى أن يتم حفظها - حيث إنه لم يكن يجيد القراءة في تلك السن الصغيرة - إلى أن أتم حفظ جزء عم وعمره أربع سنوات - ثم أصبح

ثقة، هي الفاضل
الدقيق بين (عبد
الله) الخطيب
العالم.. و(عبد
الله) الطفل

بدمعة كريمة من
الشيخ عبد الرحمن
فقيه التقي الطفل
ببصيرة من علماء
الدين



- الطفل مع مندوب المجلة -

منه حفظ مئة حديث ثم يأتي ليسمعها له، فكان يحفظها ويذهب إليه في مسجده بقرية سمنود بجوار المنصورة - فيسمع له المئة حديث .. وكان الشيخ يمنحه جائزة تشجيعية كلما أجاد في الحفظ والتسميع - وكان كلما حفظ خمسمائة حديث كان الشيخ يسمع له ماضى ما حفظه من الكتاب كله - أى يختبره في الخمسمائة حديث الأولى - وبعد حفظ الألف حديث يختبره في ماضى ما حفظه كله - وكذلك بعد الألف وخمسمائة حديث .. إلى أن أتم الكتاب كاملا فاختره فيه كله وكان والله الحمد والمنة موفقا - وكان وقتئذ عمره تسع سنوات .. ثم وُجِّه بعد ذلك لحفظ صحيح البخاري - فحفظه كاملا من مختصر الزبيدي وكان عمره ١٠ عشرة سنوات وحوالي شهرين -

وقد حفظ من المتون حتى الآن متن (تحفة الأطفال في علم التجويد)، ومتن المنظومة البيقونية في علم مصطلح الحديث ومتن الأجرومية في علم النحو، ومتن الشاطبية في علم القراءات الذى درسه دراسة كاملة وحفظ ثلثه حتى الآن وغير ذلك من الدراسات في الفقه وفي العقيدة، فهو يحفظ منظومة سلم الوصول الى علم الأصول في

حفظ ثلاثة عشر جزءا ونصف الجزء وهو في منتصف السنة الثانية الابتدائية. وكان عمره ست سنوات وثمانية شهور وكان ذلك في رمضان عام ١٤١٢هـ.

البداية الثانية:

ثم اشترك في مسابقة لحفظ عشرة أجزاء من القرآن الكريم لصغار السن حتى خمسة عشر عاما - أقامها قصر ثقافة المنصورة - وكان عبد الله أصغر المتسابقين سنا - وقد من الله

عليه بالحصول على المركز الأول بين المتسابقين - وقد أعجب به الشيخ الذي اختبره وطلب مقابلتي في مسجد أنصار السنة ومعى ابني عبد الله - وذهبا لمقابلته فعرّفنا بالمشايخ والعلماء - الذين كانوا يستدعون عبد الله ويسألونه ويختبرونه مما حفزه على سرعة الحفظ - وبفضل من الله تعالى - أتم حفظ القرآن الكريم كاملا يوم ١٢ ربيع الأول ١٤١٣هـ وكان عمره سبع سنوات وشهران وثلاثة أيام.

بين يدي العلماء:

فرح به الأخوة المشايخ والعلماء في المسجد، ووجهوه لحفظ السنّة المطهرة - فبدأ بحفظ كتاب «الأربعون النووية» وهو كتاب يحوي ٤٢ حديثا نبويا جمعها الإمام محيي الدين النووي - وهى أحاديث منتقاة بطريقة طيبة - فيها من العقيدة ومكارم الأخلاق وغير ذلك من الفضائل والشمائل التى يدعو إليها الإسلام، فحفظها.

ثم كان اللقاء مع فضيلة الشيخ/ مصطفى بن العدوي الذى وجهه لحفظ كتاب اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشياخان وهو كتاب يحوى ١٩٠٦ ألفا وتسعمائة وستة أحاديث - وكان الشيخ يطلب

توحيد الله تعالى واتباع الرسول [صلى الله عليه وسلم] للشيخ حافظ حكيم ويحفظ أكثر من ثلثي صحيح مسلم ولا زال حتى الآن لم يكمل أحد عشر عاما (ما شاء الله لا قوة إلا بالله).

الخطابة:

أما عن الخطابة يقول والده: بعد ما أتم ثمانين سنوات من عمره كان يجلس مع الشيخ محمود غريب الشربيني رئيس أنصار السنة بالمنصورة فقال له الشيخ «أريدك أن تحضر خطبة

لتلقيها وأسألمعها منك بعد أسبوع واحد» فاهتم عبد الله بالأمر اهتماما كبيرا

ويذكر يحضر الخطبة - وساعدته في ذلك - ثم ألقاها أمام دعاة أنصار السنة في اجتماعهم - وكان بفضل الله تعالى موقفا توفيقا كبيرا - مما جعل الدعاة أنصار السنة يقدمونه للناس كنموذج يحتذى به، لكونه قد حفظ القرآن الكريم، وكما كبيرا من الأحاديث النبوية الشريفة.

وكان يلقي المواعظ أمام الناس - فمن الله عليه في ذلك الأمر، فأجاد فيه إجادة طيبة، واستطاع - بفضل الله - أن يتفوق على نفسه في هذا الأمر حتى إنه عندما بلغ العاشرة من عمره كان يصعد إلى المنبر ليخطب خطبة الجمعة، وكانت أول خطبة جمعة له في التاسع والعشرين من شهر ربيع الأول عام ١٤١٦هـ وكانت بقريتنا أويش الحجر مركز المنصورة.

وقد لاقت استحسانا وقبولا كبيرين جدا - وكانت انطلاقة جديدة يسر الله بها - بفضل - لعبد الله الأمر - فانطلق في مجال الدعوة إلى الله عز وجل، وبعد ذلك كان يدعو إلى كبار المساجد في القاهرة وفي مختلف محافظات مصر - كي يلقي الخطب والمحاضرات - كما قام بدعوته الشيخ عبد

الرحمن فقيه إلى المملكة العربية السعودية - أولا لأداء العمرة، ولإلقاء خطب ولقاء بعض علماء ومشايخ المملكة في مكة المكرمة وكانت دعوة كريمة من الشيخ عبد الرحمن وعلى نفقته الخاصة وكانت لقاءات مثمرة والله الحمد -

وقوبلت بالاستحسان والقبول من كل الحاضرين وأثنوا على عبد الله ثناء محموداً - ما شاء الله لا قوة إلا بالله.

المشايع الذين تتلمذ

عليهم عبد الله:

قال والد الطفل (من المشايخ الذين تتلمذ عليهم) الداعية المعروف الشيخ محمد حساًن كان يدرس له العقيدة، والشيخ مصطفى العدوي كان يدرس له الحديث، وأستاذ القراءات بالأزهر الشيخ حافظ الصانع كان يدرس له متن الشاطبية، والشيخ الدكتور على على لقم يدرس له اللغة العربية وغيرهم من العلماء الذين جلس بين أيديهم يستمع العلم ويعيه قلبه - بفضل الله تبارك وتعالى - وقد استطاع بمزلفة أهل العلم أن يبحث في أمهات الكتب، وهو من المشايخ الذين تتلمذ عليهم يستطيع الآن أن يبحث في المعجم المفهرس لألفاظ الحديث عن حديث يريده وفي لسان العرب وفي قواميس اللغة عن كلمة يريد أن يعرف معناها كذلك في كتب التفسير، فقد تتلمذ على تفسير ابن كثير وتفسير القرطبي وغيرهما من كتب التفسير، وفي كتب الحديث التي تشرح الحديث مثل فتح الباري في شرح صحيح البخاري وشرح صحيح مسلم للإمام النووي وكتب السيرة وكتب الفقه وكتب العقيدة مما من الله به عليه).

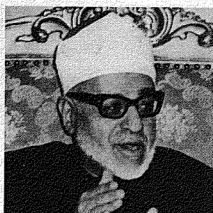
استثناء... واستثناء:

عندما بلغ عبد الله سن العاشرة - استثناءه شيخ الأزهر الشيخ جاد الحق على جاد الحق -

بعيدا عن العهد والعلماء والخبر انه طفل كامل الطفولة



- الشيخ عبد الرحمن فقيه.



- الشيخ جاد الحق علي جاد الحق

يرحمه الله - استثناء دراسيا آخر - ليقفز من الصف الخامس الابتدائي إلى الصف الأول الإعدادي، إذ كان فضيلته قد علم بما من الله به على عبد الله من نعمة حفظ القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة.

وعن قدرات الطفل عبد الله

بيضاوين وألقى علينا سلام الله ورحمته وبركاته - فرددنا السلام، ورحبت به قائلا أهلا بالطفل المعجزة .. فرد قائلا - وبلغه عربية سليمة - (أنا لا أحبذ قول الطفل المعجزة، فالمعجزات للرسل والأنبياء، وإذا صممت فقل الطفل الموهوب أو شيئا من هذا القبيل).

ثم جلس معنا على أريكة بدت كبيرة عندما جلس عليها لصغر جسمه .. وتجاذبا أطراف الحديث وعرفت به بكنه ما جئنا من أجله - فعرفني بأنه كان يعلم يوم حضوري ولكن لا يعلم في أي ساعة - فنام - وإلا لكان في انتظاري.

وشرعت في تصويره فانتقل إلى كرسي مجاور للأريكة التي كان يجلس عليها - وبعد التقاط بعض الصور له ولوالده - أخذ مني الكاميرا وطلب أن يقوم هو بتصويري - وبالفعل قام بتصويري مع والده - ثم أخذ مني جهاز التسجيل وقال لي «عندما تشرع في التسجيل، يجب أن تجعل مفتاح الصوت على أدنى درجة، حتى إذا ما تم التسجيل ورفعت درجة الصوت فسيكون الصوت واضحا أكثر» فشكرته على هذه النصيحة - الصحيحة - ثم أخذ مني الجهاز مرة أخرى .. وأنا أتابع تصرفاته - فهو طفل يعيش طفولته - في هذه الدقائق - بكل أبعادها من مرح وشقاوة بريئين.

وما أن طلب منه والده أن يسمعنا بعضا مما

العقلية قال والده - نصاً - «وما أؤكد أنه عبد الله ليس طفلا معجزة، وإنما هو طفل عادي - قدراته عادية جدا - وهو لا يحفظ من المرة الأولى - كما يدعى بعض الناس - بل هو يحفظ وينسى - وأحيانا يعييه الحفظ - فكان في بعض الأحيان يمكث اليوم الكامل يحاول أن يحفظ آية واحدة حتى إنه يبكي في آخر اليوم لأنه لم يستطع حفظ الآية، وكذلك نفس الشيء أثناء حفظه للأحاديث، فقدراته عادية، ولكنها مئة من الله تبارك وتعالى أن أبعده عن الغث من حفظ الأغاني وفارغ الكلام الذي يملأ أذهان الأطفال وعقولهم، إلى حفظ ما يفيد في دينه ودينياه بإذن الله تعالى - وأن هذا - والكلام مازال لوالد الطفل عبد الله - ليس بمقياس للذكاء ولا العبقريّة، ولكن بالاستعانة بالله تعالى والتوكل عليه».

وأضاف المهندس محمد محمد جبر والد الطفل عبد الله أنه في بلدتهم أويش الحجر - مركز المنصورة - قلما تجد صبيا أو فتاة في سن الخامسة عشرة دون أن يكون حافظا للقرآن الكريم.

وينشأ ناشيء الفتيان فينا

على ما كان عوده أبوه

لقاء الطفل الموهوب عبد الله:

وجاء الطفل عبد الله مرتديا جلبابا وطاقيه

آخر ليجيبني عليه بكل الطلاقة والفهم والوعي - ما شاء الله لا قوة إلا بالله .
إزاء ما تأكد لنا مما سمعناه وشاهدناه من حفظ كم هائل من العلوم والمعارف في رأس طفل صغير - كم ينوء باستيعابه شباب وربما رجال - وأمام ما يؤكد والد الطفل من أن ابنه طفل عادي ككل الأطفال .. فاننا أمام شقين في قضية واحدة .. نسأل أنفسنا بشأتهما كي نصل إلى جواب شاف .

السؤال الأول:

هل القاعدة أن الأطفال - عموما - يولدون ولديهم الاستعداد للاستيعاب بالدرجة التي عليها الطفل عبد الله - وأتينا نحن الذين نقلل من شأن استعداداتهم - فلا نحاول إرهاب أطفالنا بمعلومات نرى - من وجهة نظرنا - أنها ثقيلة على عقولهم وأنه لا يمكنهم استيعابها؟ وبذا ننذ قدراتهم الكامنة دونما قصد منا؟

السؤال الثاني:

هل القاعدة أن الأطفال يولدون وليس لديهم القدرة على استيعاب مثل هذا الكم من العلوم والمعلومات .. وأن الطفل «عبد الله» نبا عن هذه القاعدة - بمنه اختصه الله - سبحانه وتعالى - بها وهياً لها الأسباب ليظهر للعيان ما قدره تقديراً؟ فإذا كان بعضنا يرى الحقيقة في الشق الأول «القاتل بأن للطفل قدرات كامنة نقصر نحن في توجيهها» .. فربما كان هذا البعض على حق ويؤيد رؤيته قول الشاعر:

وتحسب أنك جرم صغير

وفيك انطوى العالم الأكبر

وأنت الكتاب المبين الذي

بأحرفه يظهر المضمير

يحفظ من القرآن الكريم والأحاديث - حتى أخذ يعدل من ملابسه، فيسحب طرف جلبابه لأسفل ويسوى «ياقته» ويعدل - بعناية - طاقيته الصغيرة، ثم يجلس على الكرسي ويعتدل في جلسته - وأنا أتابعه في دهشة - فقد شعرت أنه - في هذه اللحظات القليلة - انتقل بهدوء من شقاوة ومرح الطفولة إلى سمت ووقار العلماء - وبدأ بتلاوة ما تيسر له من آيات الله البينات - وبعدها أسمعنا بعض الأحاديث النبوية الشريفة وجزءاً من أرجوزة سلم

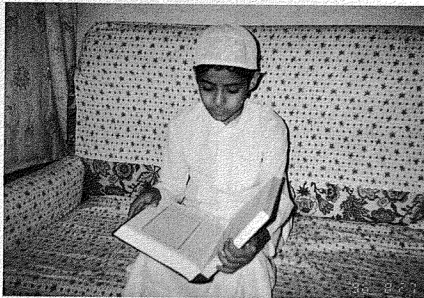
الوصول الى علم الأصول في توحيد الله تعالى واتباع الرسول .. وهو يسترسل فيما يتلو أو يقرأ .. إلى أن نطلب منه الاكتفاء بذلك القدر .

وأمام طلاقته وحسن تالوته لما يحفظ - دون ما تردد أو لعمنة عن لي سؤال .. هل هذا الطفل «استظهاري» أو «اجتراري» أى أنه يحفظ ما يملى عليه أو يقرأه فقط - ثم يعيده أو يجتره؟ أم أنه يعي ما يحفظه ويقرأه ويفهمه؟ .

فعمدت إلى محاورته حتى أصل إلى اجابة سؤالي - ضمناً - من حوارى معه .. فكان أن سألته بعض الأسئلة في النواحي الدينية - طبعاً - وأحياناً يكون السؤال طويلاً - نسبياً - فكنت ألاحظ أنه بعد كلمتين أو ثلاث من سؤالي يومئ برأسه - بما يعنى أنه فهم سؤالي قبل أن أكمله - ولكنى كنت استمر حتى أكمل سؤالي .

وما أن أنهى من السؤال .. حتى يسوق لي الآية الكريمة أو الآيات من القرآن الكريم والحديث أو الأحاديث الشريفة التى تتضمن الرد على سؤالي ولا يكتفى بهذا بل يشرح لي - بإسهاب - معنى الآية والحديث - مع الاستشهاد بأمثلة عديدة حتى يتيقن أنني اقتنعت تماماً .. ولأبدأ سؤالاً

تربيت وورعيت
البيت أمين
أولئى المجر
قربة الحنطة



- الطفل عبد الله يقرأ في المصحف -

وتمشياً مع فكر هذا البعض
دعونا نتذكر:

أنا - أحياناً - نفاجأ من
أطفالنا بتصرفات وأقوال نراها
كبيرة جداً - قياساً على حجم
تفكيرهم - الذي نفترضه نحن
فيهم - وقد يكون القياس على
تصرفات أطفال جيراننا أو بعض
أقربائنا - وعلى هذا القياس
نستنتج - أو يخيّل لنا - أن
أطفالنا أفضل من الآخرين ..
وقد لا نكون - والحالة هكذا -

تربيته وتوجيهه نبراساً لنا نحن الأسر المسلمة -
لنحاول أن يكون بين أطفالنا عبد الله أو عشرين
من عبد الله - فلنبداً ونحاول .. والحكمة تقول
«صوب إلى النجم لعلك تصيب المئذنة» فإذا لم
تصب محاولتنا كل أهدافها بالوصول بكل أطفالنا
ليكونوا عبد الله جميعاً فلعلنا نحصل من بينهم
على عبد الله (وقل اعملوا فسيرى الله عملكم
ورسوله والمؤمنون).

وقد يسأل سائل «أنتي لطفنا تلك الظروف التي
تهيأت للطفل عبد الله من إحاطة هذا العدد من
المشايخ والعلماء ورعايتهم له؟ فإن الرد على هذا
التساؤل بسيط .. فإن هذا الطفل لو لم يكن أهلاً
لرعاية هؤلاء العلماء والمشايخ لما أحاطوه بها ..
وتأمل هذا الطفل لرعاية العلماء والمشايخ كان
نتيجة حتمية لما أحيط به - أصلاً - من رعاية في
أسرته - حيث ساهم كل من الأب والأم بالجزء
الأكبر من هذه الرعاية.

وقد ذكر لنا والده كيفية رعايته لطفله - تفصيلاً
- على النحو الذي أوردناه - في صدر هذا
الاستطلاع - أما دور والدته فقد طلبنا من الأب
توصيل أسئلة - المنزل - إليها - وجاها رد الأم في

مخطئين «فالمفاصلة لا تكون إلا بين قرين وقرين
.. أما بين الرجل والعصا - فلا» هكذا قال
العقاد .

والقياس على مجموعة الأطفال الذين من حولنا
فقط يشويه بعض العوار فلماذا يكون الأطفال
الذين من حولنا فقط هم النموذج الذي نقارن بينه
وبين أطفالنا؟ لماذا لا يكون نموذج المقارنة هم
الأطفال النابهين حتى ندرك الفرق ونستدرك ما
فات ونستعد لما هو آت .

لماذا لا نجرب - من الآن - إبعاد أطفالنا عن
الغث؟ لماذا لا نبدأ معهم بتعويدهم على التعرف
على المفيد مما ينفعهم في دينهم ودنياهم ..
لنجرب .. فإننا إذا لم نستطع تجفيف نبع الفساد
- فإننا نستطيع إبعاد أطفالنا عنه .. أو إبعاده
عنهم .. وهذا جزء أساسي من رسالتنا نحوهم .

وإذا كان البعض الآخر يرى الحقيقة في الشق
الثاني - أن قدرات الأطفال محدودة، وأن الطفل
عبد الله - استثناء من قاعدة - فلعل الله - جلت
قدرته - أوجد هذا الطفل، وقبض له الأسباب التي
أوصلته إلى هذه المكانة - ليكون أسوة يتأسى بها
أطفالنا، وليكون الأسلوب الذي اتبعه والداه في

رسالة موجهة إلى كل أم مسلمة - رسالة تحمل المفهوم الصحيح الذي يجب على كل أم مسلمة أن تتبعه والذي اتبعته هي نفسها مع ابنها عبد الله والذي أتى ثماره الطيبة - ولله الحمد والمنة - ونص رسالتها:

{بسم الله الرحمن الرحيم}

والصلاة والسلام على رسوله الكريم محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .. وبعد .

أختي المسلمة/ أيتها الأم الفاضلة المسئولة أمام الله عز وجل عن رعيته التي حباك الله إياها استعيني بالله العلي القدير واسأليه التوفيق والهداية واسأليه أن يرزقك وإيانا بالزينة الصالحة واسأليه العون على تربيتهم تربية ترضيه جل وعلا واسأليه الأجر من لدنه فهو سبحانه الرحمن الرحيم مالك الملك ذو الجلال والإكرام له الأسماء الحسنى وهو القائل في كتابه العزيز {ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها} .. وبعد هذه المقدمة:

أبدأ حديثي إليك والله المستعان .. اعلمي يا أختي أن ولدك يراقبك من حيث لا تشعرين ويقلدك في كل شيء تقريبا فأنت مرآته وأنت النافذة الأولى بالنسبة له على الحياة فمن خلاك يعيش مرحلته الأولى فاستعين بالله واصطبري على تربيته وتلبية رغباته التي لا تنتهي بحيث توجهينها الوجهة الصحيحة وأجيبني عن أسئلته بطريقة مناسبة لعمره وحذار ثم حذار أن تستهيني بعقله أو أن تخجلي من جهلك في بعض الأشياء أمامه فقولك له - لا أعرف - وأنت صادقة خير ألف مرة بل خير على الإطلاق من أن تقولي له أشياء خاطئة وإجابات خاوية وخالية من الحقيقة فإنه سرعان أن

يكبر ويكتشف أنك لم تقولي له الحقيقة فما يكون موقفك حينذاك بل ماذا تكون النتيجة بالنسبة له وما تأثير ذلك عليه . احرصى أيتها الأخت المسلمة على الصديق وعلى الوفاء بالوعد معه وحاولي مراقبته بذكاء وحرص مهما بلغ من العمر واسألي عنه في مدرسته وعن أصدقائه وشجعيه بالجوائز إذا أصاب وعاقبيه عند الخطأ إذا استحق العقاب وأشعريه بأنه إذا فعل كذا

سيكون هناك جزاء حسنا وإن لم يفعله وتهاون فيه فسوف يحاسب ويعاقب واعلمي أن الخوف من العقاب أكثر تأثيراً من توقيع العقاب فقد تهددينه وحينما يرى العقاب خفيفا وهينا بالنسبة لما كان يتوقعه فإنه لن يهتم بعد ذلك بالطاعة فلا بد أن يكون الجزاء من جنس العمل وعلى قدر أهمية هذا العمل .. والله ولي التوفيق .

وبفضل الصحفي الذي يريد أن يعرف كل الأخبار دفعة واحدة - قرأت رسالة الأم بسرعة - ثم أعدت قراءتها بتأن - فرأيت فيها ما لم أره في المرة الأولى - ففي المرة الأولى كنت أبحث عن الجديد، وعن الخبر - أما في المرة الثانية كنت أبحث عن الدور الذي قامت به الأم، ومدى إمكانية

إفادة قراءة وقارئات المنهل من هذا الدور . وفي الحقيقة وجدتي أريد قراءة بعض فقرات الرسالة أكثر من مرة - وقمت بوضع خطين تحت كل فقرة - أو قل كل نصيحة - رأيت أن الأمهات المسلمات يستفدن منها - بإذن الله تعالى وأنقل هذه النصائح نصا من الرسالة - للتركيز على فحواها .

* إن ولدك يراقبك من حيث لا تشعرين، ويقلدك في كل شيء تقريبا .
* وأنت النافذة الأولى بالنسبة له على الحياة .

أكثر تأثيراً من توقيع العقاب



الطفل الموهوب عبدالله محمد جبر برفقة الدكتور راشد الراجح

* أجيبني عن أسئلته بطريقة مناسبة لعمره.

* وحذار ثم حذار أن تستهينى بعقله أو أن تخلى من جهلك فى بعض الأشياء أمامه.. فقولك «لا أعرف» وأنت صادقة خير ألف مرة - بل خير على الإطلاق - من أن تقولي له أشياء خاطئة وإجابات خاوية وخالية من الحقيقة.

* إحرصى - أيتها الأخت المسلمة - على الصدق، وعلى الوفاء بالوعد معه.

* حاولى مراقبته بنكاء وحرص مهما بلغ من العمر.

* شجعيه بالجوائز إذا أصاب وعاقبيه عند الخطأ.

* واعلمى أن الخوف من العقاب أكثر تأثيراً من توقيع العقاب ذاته.

قد يكون بين الأمهات من تعرف بعض هذه النصائح، وقد يكون بينهن من تعرفها جميعاً، وربما تكون بينهن من لا تعرف حتى إحداها - وهذا ليس عيباً - فالتجربة بالتجربة تمنح الخبرة .. ولو طلبنا منهن جميعاً - التى تعرف، والتى لم تكن تعرف أن يعملن بهذه النصائح، فإننا لا نطلب ذلك من فراغ، فنحن أمام تجربة واقعة ونتيجتها ملموسة وتعيش بين ظهرانينا .. وحتى إذا كانت هذه الواقعة - استثناء - فإن الاستثناء يؤكد القاعدة - كما يقال.

وختاماً:

فالمنهل - مساهمة منها فى التضافر من أجل رعاية نبتة فى بستان ديننا الحنيف، ولبنة فى بناء الدعوة الإسلامية - تسجل وتثمن وتقدر -

باستطلاعها هذا:

* دور الأبوين والأسرة.

* دور الكتاب الذى ساهم فى تحفيز هذا الطفل

وغيره آيات القرآن الكريم.

* دور العلماء والمشايخ الذين وجهوه وعلموه.

* دور شيخ الأزهر الشيخ جاد الحق على جاد

الحق - الذى استثناه من شرط السن للاحاقه بالأزهر.

* دور الشيخ عبد الرحمن فقيه الذى دعاه -

مشجعاً ومحفزاً - لأداء العمرة والالتقاء بعلماء ومشايخ المملكة العربية السعودية.

* دور نادي مكة الأدبي والثقافي بمكة المكرمة

ممثلاً في رئيسه الدكتور راشد الراجح.

* دور الدكتور احمد المورعي الذى أدار الندوة

بكل اقتدار وموضوعية.

* دور من ساهم بالحضور من علماء ومشايخ

المملكة العربية السعودية والذين كان لهم الفضل

في انجاح الندوة.

وأنوه: بأن ترتيب الأنوار - خاضع بالكلية -

للتتابع التاريخي .. والله من وراء القصد -

يعقوب السيد حسنين - جده -

د. نصر أبو زيد وتاريخية

يؤمن المسلمون، انطلاقاً من القرآن الكريم، بأن هذا القرآن: محكم ومتشابه، وأن متشابهه يفهم ويُفسر بإرجاعه إلى محكمه، وأنه يفسر بعضه بعضاً، وأن «أسباب النزول» تضع القارئ والمفسر في إطار الملابس والدلالات الأصلية، فتعين على الفهم في ضوء واقع عصر التنزيل، وأن فهم دلالات القرآن الكريم لأبد وأن يكون بدلالات ألفاظه في عصر الوحي، وليس بالدلالات التي طرأت على الألفاظ بعد عصر التنزيل.

وهم يؤمنون بأن هذا المنهاج، الذي يستحضر في فهم القرآن وتفسيره الدلالات الأصلية والسياق الأول، إنما يقتضيه إيمانهم بأن هذا القرآن هو الوحي الخاتم للشرعية الخاتمة، فلا «مرحلة» ولا «تاريخية» في فهمه وتفسيره، لأن المرحلة والتاريخية تتنافى مع خلود القرآن لخلود

الشرعية التي جاء بها.

وعن هذا المنهاج في فهم القرآن وتفسيره - وهو الذي لم يخالف فيه سوى

أفكار ثيرة لجلد

(٨٣)



بقلم المفكر الإسلامي:
د. محمد عمارة

الفكر المنحرف عن الجادة، القائم على المغالطات وهوى النفس وقلب الحقائق، لأبد من الرد عليه وإيقافه عند حده، حتى لا يستشري إفساده بين الناس.. في حلقات سابقة تناول الأستاذ الدكتور/ محمد عمارة بالدراسة والبحث مجموعة من مغالطات المستشار/ محمد سعيد عسماوي ورد عليه أباطيله ومفترياته في الدين.

وفي هذه الدراسة الدقيقة يعرض لبعض مفتريات الدكتور/ نصر أبي زيد، وقد تجنى الدكتور/ أبو زيد كثيراً على الإسلام والمسلمين.

المنهل

معاني واحكام القرآن الكريم

الصيغة الاسلامية لحضارة الاسلام، عبر الزمان والمكان.

هذا هو الاعتقاد الاسلامي في خلود القرآن .. و«لا تاريخية» معانيه وأحكامه.

لكن الدكتور نصر أبو زيد، يلجأ هنا - وبإزاء هذه القضية أيضا - إلى المنهاج «الوضعي - المادي»، الذي يقول بتاريخية النصوص الدينية، فينفى عن معانيها ودلالاتها الأصلية أي ثبات أو استمرارية أو خلود، ويصدر حكمه - في جرأة غير مسبقة - بطي صفحة معاني القرآن التي نزلت بها ألفاظه، قائلا: «إن القرآن خطاب تاريخي، لا يتضمن معنى مفارقا جوهريا ثابتا» [٤] .. وليس ثمة عناصر جوهرية ثابتة في النصوص، بل لكل قراءة بالمعنى التاريخي الاجتماعي - جوهرها الذي تكشفه في النص» [٥].

وإذا انتفى أي ثبات عن أية معان أو مفاهيم أو أحكام للقرآن الكريم، وجعلنا لكل قراءة - أي لكل قارئ - الجوهر والمفهوم الذي تكشفه في النص القرآني - وعلمنا، أيضا، أن الدكتور نصر يقول: «إنه لا بد من التسليم - مع «لوى التوسير» - بأنه «لا توجد ثمة قراءة بريئة» [٦] .. فآية «غاية» من العبث والعبثية تفضي إليها هذه الدعوة، التي تجعل كل قراءة غير بريئة، ولكل قراءة غير بريئة جوهرها الذي تكشف عنه في النص القرآني» [٧] .. وهل يبقى مع ذلك وبعد ذلك شيء من الذكر الذي تعهد الله بحفظه، اللهم إلا إذا كان هذا الحفظ حفظا متحفيا لصور الألفاظ التي فقدت

غلاة الباطنية - يقول الإمام محمد عبده: «فعلى المدقق أن يفسر القرآن بحسب المعاني التي كانت مستعملة في عصر نزوله، والأحسن أن يفهم اللفظ من القرآن نفسه، بأن يجمع ما تكرر في مواضع منه وينظر فيه، فربما استعمل بمعان مختلفة - كلفظ «الهداية» وغيره - ويحقق كيف يتفق معناه مع معنى الآية، فيعرف المعنى المطلوب بين معانيه .. إن القرآن يفسر بعضه ببعض، وإن أفضل قرينة على معنى اللفظ موافقته لما سبق له من القول، واتفاقه مع جملة المعنى، واتلافه مع القصد الذي جاء له الكتاب بجملة» [٨] .. فادوم قراءة القرآن، وتفهم أوامره ونواهيه، ومواعظه وعبره، كما كان يتلى على المؤمنين والكافرين أيام الوحي» [٩].

وهذا المنهج «اللاتاريخي» - أي الرافض لربط المعاني بتاريخ بعينه تطوي صفحتها بمرور هذا التاريخ - كما قدمنا - هو عند المسلمين «دين» وليس خيارا إنسانيا لمنهج من المناهج في التعامل مع النصوص، لارتباطه بختم القرآن للوحي الإلهي وختم الإسلام لشرائع السماء إلى الإنسان، وبمعنى الحفظ الإلهي لهذا القرآن .. فالقرآن ألفاظ ونظم ودلالات، وإن تكون هناك قيمة فكرية إذا وقف الحفظ عند حدود الألفاظ، مع إهدار المعاني وتجاوزها .. فعندما يقول الله سبحانه وتعالى: «إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون» [١٠] فإنه يشرع لخلود القرآن - ألفاظا ونظما ودلالات - لتظل ثوابت العقيدة والشريعة خالدة، ولتستمر

هى المادة الجدلية... وإنما يريح قارئه من عناء «الاستنتاج» عندما يصرح بذلك دونما لف أو دوران!.

فهو يتحدث عن «تاريخية المعنى Meaning» واستمرارية «المغزى Significance» فى النصوص... أى أننا نطوى صفحة المعاني التى كانت لهذه النصوص فى عصر تشكلها، بينما نصعد، متطورين دائماً وأبداً، مع «المغزى» المتطور دائماً وأبداً، لتلك المعاني التى طوت التاريخية صفحتها... ويقول لنا إن هذا هو مذهب الناقد الأمريكى «هيرش»، الذى طبقه فى «النصوص الأدبية» حتى جاءت «الهرمنيوطيقا الجدلية، بعد تعديلها من خلال منظور جدلي مادي» - بواسطة «جادامر» - فامتدت «بالتاريخية» - تاريخية المعاني - من «النصوص الأدبية» إلى «النصوص الدينية»... وجاء الدكتور نصر ليطبقها على القرآن الكريم!.

يتحدث الدكتور عن «مصادره» و«منطقاته» المادة الجدلية التى جعلته يقول: «إن القرآن خطاب تاريخي، لا يتضمن معنى مفارقاً جوهرياً ثابتاً»... فيقول: «إن «هيرش» يقيم تفرقة بين المعنى Meaning والمغزى Sig-nificance ويرى أن مغزى النص الأدبي قد يختلف، لكن معناه ثابت، ويرى أن هناك غايتين منفصلتين تتصلان بمجالين مختلفين، مجال النقد الأدبي، وغايته الوصول إلى مغزى النص الأدبي بالنسبة لعصر من العصور، أما نظرية التفسير فهدفها الوصول إلى معنى النص الأدبي، إن الثابت هو المعنى الذى يمكن الوصول إليه من خلال تحليل النص، أما المتغير فهو المغزى. إن المغزى يقوم على أنواع من العلاقة بين النص والقارئ، أما المعنى فهو

معانيها ودلالاتها بانتهاء عصر النبوة، وتغير جوهر القرآن الذى نزل به الروح الأمين على قلب محمد (صلى الله عليه وسلم)، وذلك بتعدد القراءات - مع تعدد القراء - لهذا القرآن!.

إنه تحويل لألفاظ القرآن - بعد تفرغها من المعاني التى أنزلها الله فيها - إلى مجرد أوعية فارغة، يصب فيها كل قارئ - لقراءة غير بريئة - المفاهيم - غير البريئة - التى يراها!.

تلك هى تاريخية النصوص، التى ذهبت إليها الوضعية الغربية - عندما رأى فلاسفة التنوير الغربي فى النصوص الدينية طور طفولة العقل البشرى، التى تجاوزتها الميتافيزيقا، والتى طوت الوضعية صفحتها معاً، فأقامت هذه الوضعية، وهذا التنوير الوضعى، «قطيعة معرفية» مع معانى تلك النصوص التاريخية، التى تجاوزها وطوى صفحة معانيها ودلالاتها الأصلية التطور والتاريخ.

ولقد جاءت المادة الجدلية - التى يسترشد بها الدكتور نصر - فكرست هذه التاريخية، عندما رأت أن هذه النصوص الدينية هى جزء من «البناء الفوقى»، الذى شكلته وأفرزته البنى الاقتصادية والاجتماعية «للقاعدة الأساسية للبناء التحتى» - وهى النظرية التى استلهمها الدكتور نصر فى نظريته للقرآن الكريم - فقالت المادة الجدلية بتاريخية هذه النصوص وتجاوز التطور لمعانيها ودلالاتها، تبعاً لتطور وتغير «البناء التحتى» الذى شكلها وشكل معانيها!... فلا ثبات لشيء من معانى هذه النصوص الدينية، وإنما هى «تاريخية» دائماً وأبداً... والدكتور نصر أبو زيد، لا يدع قارئه «يستنتج» - مجرد «استنتاج» أن ملهمه فى الحكم بتاريخية معانى ودلالات وأحكام القرآن،

قائم في العمل نفسه».

ثم يضيف الدكتور نصر، متحدثاً عن «النقطة النوعية» التي أحدثتها في هذه النظرية - نظرية ثبات المعنى وتحرك المغزى - المادية الجدلية، فيقول: «وتعد الهرمنيوطيقا الجدلية عند (جادامر)، بعد تعديلها من خلال منظور جدلي مادي، نقطة بدء أصيلة للنظر إلى علاقة المفسر بالنص، لا في النصوص الأدبية، ونظرية الأدب فحسب، بل في إعادة النظر في تراثنا الديني حول تفسير القرآن منذ أقدم عصوره وحتى الآن» [٧].. فـ «جادامر» عدل الهرمنيوطيقا الجدلية فجعل جعلها مادياً.. والدكتور نصر طبق هذه الجدلية المادية على تفسير القرآن!

فمن المادية الجدلية، التي أمتدت بنظرية «ثبات المعنى القائم في ذات النص» وتغير المغزى، القائم على علاقة القارئ بالنص» من نطاق «النصوص الأدبية» إلى «النصوص الدينية» أيضاً.. من هذا المنطلق، انطلق الدكتور نصر «ليعيد النظر في تراثنا الديني حول تفسير القرآن منذ أقدم عصوره وحتى الآن».. وليصل إلى أن «القرآن خطاب تاريخي، لا يتضمن معنى مفارقاً جوهرياً ثابتاً.. فليس ثمة عناصر جوهريّة ثابتة في النصوص الدينية (القرآن والحديث) - بل لكل قراءة - بالمعنى التاريخي الاجتماعي - جوهرها الذي تكشفه في النص»!

وإذا كان الدكتور نصر، قد قال - عقب صدور الحكم برده - إن معنى تاريخية النصوص عنده لا يعني «أن النصوص الدينية - [القرآن والسنة] - لم تعد صالحة لزماننا» [٨] وهو قول نتمنى أن يعبر عن موقفه الحقيقي - فإننا نسوق إليه نصوصه التي لا تدع مجالاً للشك في قوله بالتاريخية التي تهدد «المعاني

والأحكام» التي جاءت بها هذه النصوص.. نسوقها إليه، لا بهدف «السجال».. والمجادلة، وإنما طلباً للمراجعة التي تحقق الاتساق بين ما كتب وبين هذا الذي قال.. فمن نماذج كتاباته التي تلح على تاريخية المعاني والأحكام التي جاءت في القرآن الكريم: «إننا نتبنى القول ببشرية النصوص الدينية.. وإذا كانت النصوص الدينية نصوص بشرية بحكم انتمائها للغة والثقافة في فترة تاريخية محددة، هي فترة تشكلها وانتاجها، فهي بالضرورة نصوص تاريخية.. وليس معنى القول بتاريخية الدلالة تثبيت المعنى الديني عند مرحلة تشكل النصوص، ذلك أن اللغة ليست ساكنة ثابتة، بل تتحرك وتتطور.. وتطور اللغة يعود ليحرك دلالة النصوص وينقلها في الغالب من الحقيقة إلى المجاز» [٩]..

فمعاني القرآن الكريم ودلالات ألفاظه، التي كانت «حقيقة» في عصر الوحي والتنزيل، قد أصبحت - بتاريخية النصوص - «مجازاً».. عند الدكتور نصر أبو زيد.. أي أن التاريخ قد طوى وتجاوز «حقائق» القرآن الكريم!.. وتتوالى نصوص الدكتور نصر، التي تلح على تاريخية معاني ودلالات وأحكام القرآن، فتقول: «إن الخطاب الإلهي - [القرآن] - خطاب تاريخي.. لا يتضمن معنى مفارقاً جوهرياً ثابتاً له إطلاقية المطلق وقداسة الإله» [١٠].. إن القرآن نص ديني ثابت من حيث «منطوقه»، لكنه من حيث ما يتعرض له العقل الإنساني ويصبح «مفهوماً» يفقد صفة الثبات.. ومن الضروري هنا أن نؤكد أن حالة النص الخام المقدس حالة ميتافيزيقية لا ندري عنها شيئاً.. والنص منذ لحظة نزوله الأولى تحول من كونه (نصاً إلهياً) وصار فهماً (نصاً إنسانياً)، لأنه

بتاريخية المفاهيم التي طرحها النصوص من خلال منطوقها .. فليس ثمة عناصر جوهرية ثابتة في النصوص، بل لكل قراءة - بالمعنى التاريخي الاجتماعي جوهرها الذي تكشفه في النص .. ينطبق هذا على النصوص التشريعية وعلى نصوص العقائد والقصص .. إن النصوص الدينية قد «تأسست» منذ تجسست في التاريخ واللغة .. وهي محكومة بجذلية الثبات والتغير، فالنصوص ثابتة في «المنطوق» متحركة متغيرة في «المفهوم» [١٢].

ولست أدري - ولعل الدكتور نصر وحده دون الناس جميعا هو الذي يدري - لماذا يصبح القرآن منذ لحظة تفاعله مع العقل البشري وظهور معانيه متلبسة في الألفاظ العربية، (نصا إنسانيا) (لا إلهيا)؟! وهل - قياسا على هذا «المنطق» الذي اخترعه الدكتور نصر لا تصبح قصيدة الشعر، عند إنشادها لها، وبعد نظمها في لغتنا العربية، منسوبة للشاعر الذي نظمها؟! وهل انقطعت نسبة كتب الدكتور نصر إليه، بعد صياغتها العربية وقراءتها لها وتفاعل عقلا معها؟! أم أن انفصال «النص» عن قائله، منذ لحظة بروزه في اللغة والقراءة له أمر خاص بقول الله، سبحانه وتعالى، في القرآن الكريم؟! ..

إنه المنهج المادي .. فلا الخلق خلق الله .. ولا القرآن كلام الله .. وإنما هي الطبيعة تخلقت ذاتيا، والقرآن (نص بشري .. إنساني) لا ندرى شيئا عن مرحلة إلهيته - فهي ميتافيزيقا - ولا علم لنا بدلالاته في مرحلة قدسيته وإطلاقه - على فرض أنه كان كذلك؟! .. ويؤكد الدكتور نصر على أن «تاريخية المعنى»، التي تتجاوزها وتطوى صفحته، لتحل محل المعاني الثابتة «المغزى» المتغير بتغير

تحول من التنزيل إلى التأويل .. إن فهم النبي (صلى الله عليه وسلم) للنص يمثل أولى مراحل حركة النص في تفاعله بالعقل البشري، ولا التفات لمزاعم الخطاب الديني بمطابقة فهم الرسول (صلى الله عليه وسلم) للدلالة الذاتية للنص، على فرض وجود مثل هذه الدلالة الذاتية» [١١].

فالقرآن، الذي بين أيدينا، هو نص بشري، وليس نصا إلهيا، إنه ليس «التنزيل» الذي تعهد الله بحفظه، لأنه نص لغوي، فهو، لذلك، بشري، تحول عن كونه (نصا إلهيا) إلى أن أصبح منذ أول تلاوة نبوية له إلى (نص إنساني)، فهو ليس كتاب الله وإنما هو كتاب البشر - البشري - والحديث عن منطوقه الثابت والمقدس هو حديث عن «حالة ميتافيزيقية» لا ندرى عنها شيئا، وحتى ما ذكره القرآن عن هذه الحالة الميتافيزيقية فإننا نفهمه فهما إنسانيا نسبيا متغيرا لا ثبات فيه ولا قدسية له .. وعلى فرض - [وهو مجرد فرض] - أن القرآن كانت له دلالات ذاتية، فإن هذه الدلالات لم يفهمها حتى الرسول نفسه، فالرسول - لبشريته - عاجز عن فهم حقيقة الرسالة وكنه البلاغ القرآني وجوهر الدلالات الإلهية للنص القرآني؟! ..

ويمضي الدكتور نصر، ليباهي بتجاوزه بهذه النظرية كل علوم الأقدمين - علوم القرآن - فيقول عن مقاصده هو من «البعد التاريخي للنصوص الدينية - [القرآن والحديث] - : « .. وليس المقصود بالبعد التاريخي هنا علم أسباب النزول - ارتباط النصوص بالواقع، والحاجات الماثرة في المجتمع والواقع - أو علم الناسخ والمنسوخ - تغيير الأحكام لتغيير الظروف والملابسات - أو غيرها من علوم القرآن - فإن البعد التاريخي الذي نتعرض له هنا يتعلق

القراءة، والمتعدد بتعدد القراء، هو أمر مختلف عن «القياس»، ففي القياس امتداد الحكم المنصوص عليه إلى حالة غير منصوص عليها، مع الاحتفاظ بالحكم وعدم تجاوز المقيس عليه... ففيه مرونة، لكنها لا تطوى صفحة النصوص والمعاني والأحكام والأصول.

يؤكد الدكتور نصر أن تاريخية النصوص عنده ليست هي مرونة القياس... بل إنها البديل الذي يلغي المعنى ويتجاوز الحكم ويطوي صفحة الأصل، فلا يصبح هناك مجال للقياس أصلاً... «فبدلاً من الاعتماد على آلية القياس لنقل الحكم من أصل إلى فرع لاتفاقهما في العلة - التي هي مسألة اجتهادية أيضاً - فإننا نعتمد هنا على التفرقة بين «المعنى» و«المغزى»... فالمعنى يمثل الدلالة التاريخية للنصوص في سياق تكوينها وتشكلها... أما المغزى فنو طابع معاصر، بمعنى أنه محصلة قراءة عصر غير عصر النص... والذي ندعو إليه هو عدم الوقوف عند المعنى... وضرورة اكتشاف «المغزى» الذي يمكن لنا أن نؤسس عليه الوعي العلمي التاريخي» [١٣].

ولا ينسى الدكتور نصر أن يضرب لنا أمثلة - هي بمثابة «وسائل إيضاح» لتطبيقات هذا المنهج، الذي يدعو إلى تجاوز المعنى الذي دل عليه اللفظ القرآني في عصر النزول، والبحث عن المغزى من وراء الأحكام والعقائد والقصص - والذي يتجدد ويتعدد بتعدد القراءات وتعدد القراء.

فإذا كان «المعنى» القرآني قد أعطى للأئمة نصيباً محدداً في الميراث - بعد أن لم تكن ترث أصلاً - فيجب أن لا نقف عند هذا المعنى - النصيب الذي تحددها لها في القرآن - وإنما يجب تجاوز هذا «المعنى» إلى «المغزى» -

وإذا كانت «حالة» ميراث الأئمة هي مجرد مثال ضربه الدكتور نصر «للمغزى» - المضمرة والمسكوت عنه - الذي نتجاوز به المعنى «فلا يقف اجتهادنا عند حدود المدى الذي وقف عنده الوحي»... فلقد أفصحت نصوصه عن أن مقصده هو تجاوز كثير من أحكام التشريع الإسلامي، وإسقاطها، فقال: «وإذا قرأنا نصوص الأحكام من خلال التحليل العميق لبنية النصوص - البنية التي تتضمن المسكوت عنه - وفي السياق الاجتماعي المنتج للأحكام والقوانين - فربما قادتنا القراءة إلى إسقاط كثير من تلك الأحكام، بوصفها أحكاماً تاريخية، كانت تصف واقعاً أكثر مما تصنع

تشريعاً» [١٦] ٠٠ فالنص شكله الواقع ٠٠ والأحكام والقوانين انتجها السياق الاجتماعي ٠٠ ولا شيء من عند الله! ٠٠ وإذا كان الدكتور نصر قد دعا إلى عدم قصر «التاريخية» على «النصوص التشريعية، دون نصوص العقائد والقصص» [١٧] ٠٠ فلقد وجدناه - بسبب هذا التعميم - يعيب على الدكتور طه حسين [١٣٠٦ - ١٣٩٣هـ / ١٨٨٩ - ١٩٧٣م] تراجعاً عن التشكيك - الذي ذكره في كتاب (فى الشعر الجاهلي) - في القصص القرآني عن إبراهيم وإسماعيل، عليهما السلام، والرحلة الحجازية لإبراهيم، ورفعهما القواعد من البيت الحرام ٠٠ فتراجع طه حسين عن هذا التشكيك في القصص القرآني، هو - بنظر الدكتور نصر - «تردد» يعكس «التلفيق» النابع من «نقص وعي الطبقة - [التي ينتسب إليها طه حسين] - الناتج من طبيعة تكوينها الهش والجيني» [١٨] ٠٠ وهو «التردد» الذي جعل طه حسين لا يصر على تعميم «التاريخية» في القصص القرآني ٠٠ التاريخية التي قال الدكتور نصر «إنها تحرك دلالة النصوص وتنقلها في الغالب من الحقيقة إلى المجاز» [١٩] ٠٠ فيصبح القصص القرآني «مجازاً فنياً» لا علاقة له بصدق الحقيقة ولا بواقع التاريخ ٠٠

وغير تطبيق هذه «التاريخية» التي تتجاوز «المعنى» إلى «المغزى» المضمّر والمسكوت عنه والتي تنتقل بالنصوص «من الحقيقة إلى المجاز» غير تطبيقها على النصوص التشريعية والقصص القرآني، يدعو الدكتور نصر إلى تطبيقها كذلك على عقائد الإسلام ٠٠ ولست أدري ٠٠ ماذا ستكون عليه تصوراتنا للعقائد الإسلامية إذا نحن لم نقف

عند حدود المعاني التي حددها الوحي الإلهي، وذهبنا متجاوزين «المعنى» إلى البحث عن «المغزى» ومتجاوزين «الحقيقة» إلى «المجاز» ٠٠ إن عالم الغيب، والجنة والنار، والحساب والجزاء، والثواب والعقاب، بل والألوهية، والتوحيد، والخلق، والملائكة ٠٠ الخ ٠٠ الخ ٠٠ ستتحول جميعاً إلى «مجازات» وتصورات متحررة تماماً من المعاني التي حددتها لها آيات القرآن ٠

والدكتور نصر، وإن لم يضرب لنا «الأمثلة التوضيحية» للصور المجازية التي ستكون لهذه العقائد في «المغزى» المتجاوز «للمعنى» ٠٠ إلا أنه قد حدثنا عن «أن العقائد هي تصورات مرتبهة بمستوى الوعي ويتطور مستوى المعرفة في كل عصر ٠٠ وأن النصوص الدينية قد اعتمدت في صياغة عقائدها على كثير من التصورات الأسطورية في وعي الجماعة التي توجهت إليها النصوص الدينية بالخطاب» [٢٠] ٠

وهكذا تحول «التاريخية» عند الدكتور نصر الحقيقة إلى مجاز ٠٠ وتتجاوز المعنى إلى المغزى ٠٠ وتطوي صفحة الدلالات الواضحة لتستبدل بها «المضمّر والمسكوت عنه» الذي تكتشفه «القراءة غير البريئة» ٠٠ فتسقط أكثر الأحكام التشريعية ٠٠ ويصبح القصص القرآني «فناً» لا علاقة له بالحقيقة ٠٠ وتصبح العقائد الإسلامية صياغة متطورة للتصورات الأسطورية في وعي الجماهير! ٠٠

وإذا كانت هذه التاريخية، التي تسير مع «المغزى» دون الوقوف عند «المنطوق» و«المعنى»، قد تجاوزت - في نصوص الدكتور نصر - تمييز الأنثى عن الذكر في الميراث إلى مساواتها به ٠٠ أفلا يسوغ لنا - والمنطوق القرآني قد

الفكرى للدكتور حسن حنفي - مشروع اليسار الاسلامي - والذي قام فيه الدكتور حسن - تحت شعار «التجديد» - هو الآخر - بأئسنة الدين، وتفريغ الإسلام من محتواه الديني .. فحول «الإله» إلى «الكفاح المسلح» أو «الإصلاح الزراعي» وما وراء الطبيعة إلى طبيعة - الميتافيزيقي إلى فيزيقي - والوحي إلى علم إنساني .. الخ .. الخ .

لكن الدكتور نصر لم يقنع بمستوى «الكارثة» التي صاغها الدكتور حسن حنفي «مشروعاً فكرياً» لأن هذا المشروع لم يلغ «القديم»، وإنما أدى تجديده «إلى تجاوز بين القديم والجديد، ووقع في التلويح بقدر ما تباعد عن التأويل»!

غير أن «الموضوعية» دعت الدكتور نصر إلى الحديث عن «إنجازات» حسن حنفي، بعد حديثه عن «الإخفاقات» التي وقع فيها، فكانت الصفحات التي كشفت في «تاريخية النصوص» - عند الدكتور نصر - عن أبعد وأغرب مما أشرنا إليه فيما تقدم من صفحات! .

فهو لا يكتفي بتحويل حسن حنفي الألوهية إلى اختراع من اختراعات الإنسان المحيط، أضفى عليها صفات الكمال التي لم يستطع تحقيقها في واقعه، ونفى عنها صفات السلب والنقص التي ملأت عليه حياته .

ولا يكتفي بتحويل حسن حنفي الوحي إلى فكر إنساني، وخبرة بشرية، مقطوع الصلة بالألوهية .. وتحويل الحقائق الدينية إلى مجازات .. لا يكتفى بذلك، ويراه مجرد «اقتراب» من الهدف .. لأن الهدف - عند الدكتور نصر - هو «إلغاء الوحي، بكل ما يرتبط به من عقائد التوحيد والبعث والجزاء»، فلا

وحد المعبود - بعد أن كان متعددا - أن نتجاوز - مع «المغزى» - هذه الوجدانية، إلى حيث نقول بأنه «لا إله والحياة مادة» وإن هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر»!! .. فنواصل السير على طريق «المغزى» دون وقوف عند معاني القرآن الكريم؟! .

إنه نفس «منطق» المادية الجدلية، الذي استلهمه الدكتور نصر أبو زيد في تطبيقه لتاريخية النصوص على القرآن . وإذا كان القول «بتاريخية النصوص الدينية» - (القرآن .. والحديث) - قد جعل الدكتور نصر يقول:

*** إننا نتبنى القول ببشرية النصوص الدينية .. ونقل دلالاتها من الحقيقة إلى المجاز .. فالقرآن خطاب تاريخي، لا يتضمن معنى مفارقاً جوهرياً ثابتاً له إطلاقية المطلق .. وليس ثمة عناصر ثابتة في النصوص الدينية، بل لكل قراءة - بالمعنى التاريخي الاجتماعي - جوهراً الذي تكشفه في النص» .**

*** وإذا كان قد طبق هذه «التاريخية» على نصوص «العقائد» و«القصص القرآني»، وليس، فقط، على النصوص التشريعية .. لأن العقائد قد تأسست على التصورات الأسطورية في وعي الجماعة» .**

فألغى الثوابت .. وقطع صلات الدين بمصدره الإلهي - عندما «أنسن» الوحي والنبوة والعقيدة والشريعة .

إذا كان قد صنع هذا الذي سقنا فيه نصوصه العديدة .. فيبدوا أن «جعبة» التاريخية عنده لا يزال فيها المزيد! .

ففي كتاب الدكتور نصر (نقد الخطاب الديني) نشر دراسة ضافية في نقد المشروع

داعى لاستمرار هذه العقائد حتى ولو كانت فى صورة «فكر إنسانى وخبرة بشرية»!

فحسن حنفى - بنظر الدكتور نصر - «متردد» وفائدة مشروعه تتمثل فى خلقة بنية الفكر الدينى»، لكنه لم يحظ «بشرف» إلغاء الصورة الإنسانية والمجازية لعقائد التوحيد والبعث والجزاء؟! وحتى لا يرتاب القارئ فى دقة هذا الذى نقول، فإننا نقدم نصوص الدكتور نصر، التى تحدث فيها عن «إخفاقات وإنجازات» مشروع الدكتور حسن حنفى، والتى يقول فيها: فى هذا المشروع - لليसार الاسلامى - تحول هدف «إعادة البناء» - [للعلوم الاسلامية] - إلى «إعادة طلاء» وتحول التجديد إلى تجاور القديم والجديد، ووقع المشروع كله فى التلوين بقدر ما تباعد عن التأويل، لكن هذا الإخفاق الواضح على جميع المستويات لا يمثل الحقيقة كلها، فقد حقق المشروع إنجازات لا سبيل إلى تجاهلها.

فهناك جهد واضح لمحاولة تأويل العقائد، وعقيدة الألوهية خاصة، على أساس أنها محاولات من الإنسان لتجاوز اغترابه عن العالم، فيخلق فى الشعور كائنا من ذاته - على غرارها - بعد أن يضيف عليه كل صفات الكمال والقوة فى صورتها المثالية، وبعد ان ينفى عنه كذلك كل صفات الضعف التى يأنف منها .. إنها محاولة مشروعة لتحويل الألوهية إلى أنثروبولوجيا، والإلهيات إلى إنسانيات ..

وهناك الإصرار على تاريخية واقعة «الوحي» .. أى تحويل الوحي الى خبرة بشرية .. وتحويل العلم الإلهي الى علم إنسانى.

وهكذا يقارب «اليسار الإسلامى» تخوم حل ثنائية النقل - العقل حلا جدليا .. وهكذا يكاد

الخطاب اليسارى أن يحول الوحي الى الطبيعة ويرد الميتافيزيقى إلى الفيزيقى، ويبلور فهما تنويريا للعقيدة والوحي .. فالوحي اسم يطلق على النشاط الذهني للإنسان فى كل زمان ومكان. ثم يمضى الدكتور نصر، معبرا عن عدم رضائه عن هذه «الإنجازات» فهى «قاربت» مقاصد الدكتور نصر، ولم تبلغها، و«كادت» تحل المشكلة لكنها لم تحلها .. فيقول: «لقد احترزنا بالقول إن اليسار الاسلامى قارب تخوم حل ثنائية النقل - العقل حلا جدليا، دون أن نقرر أنه حلها فعلا .. فثمة سؤال جوهرى يطرح نفسه: ألا تتعارض مسألة استمرارية الوحي - ولو بالمعنى المجازي - مع تاريخيته المطروحة قبل ذلك؟ وبعبارة أخرى: ما الهدف والغاية من استمرار الوحي، بكل ما يرتبط به من عقائد التوحيد والبعث والجزاء؟» إن الإصرار على استمرارية الوحي - بالمعنى المجازي - الوحي الطبيعى - إصرار يكشف عن الطابع المتردد الذى يحاول أن يولد بالتأويل عن طريق التحويل الدلالي، فيقع فى التلوين .. وفى هذا التلوين يفقد مفهوم الوحي بعده التاريخي، ويتحول إلى مباديء ونظريات عامة ذات طابع يقينى مطلق خارج الزمان والمكان، أى خارج التاريخ. لكن هذا التردد .. على ما يؤدي إليه من نتائج ضارة على المستوى المعرفي الخاص، لا يخلو من فائدة تتمثل فيما يحدث من خلقة فى بنية الفكر الدينى المسيطر والمستقر» [٢٦]؟!

تلك هى مقاصد الدكتور نصر أبو زيد .. التاريخية، التى تلغى الوحي، حتى ولو كان بالمعنى المجازي والطبيعى، بكل ما يرتبط به من عقائد التوحيد والبعث والجزاء!! فهل تتسق أفكار الدكتور نصر، فى هذه

مبررا كى يراجع الدكتور نصر أراءه فى هذه المعتقدات الاسلامية . . فلقد قال - فى بيانه إلى الناس: «وأنا فخور باجتهاداتي العلمية وأبحاثي، ولن أتنازل عن أى اجتهاد فيها إلا إذا ثبت لى بالبرهان والحجة أننى مخطئ» [٢٢] . وهى روح علمية طيبة، نرجو أن تثمر ثمارها الطيبة إن شاء الله . . تثمر ثمارها فى حل هذا التناقض الصارخ والبادى للعيان بين أفكار وكتابات الدكتور نصر - التى أوردناها - وبين بيانه إلى الناس: .

الهوامش:

- (١) الأعمال الكاملة للإمام محمد عبده ج٤ ص ١١، دراسة وتحقيق: د. محمد عمارة، طبعة القاهرة ١٩٩٢م.
- (٢) المصدر السابق ج١ ص ٦٧.
- (٣) الحجر/ ٩.
- (٤) مجلة (القاهرة) مشروع النهضة بين التوفيق والتفريق - أكتوبر ١٩٩٢م.
- (٥) نقد الخطاب الدينى : ص ٨٣، طبعة القاهرة ١٩٩٢م.
- (٦) إشكاليات القراءة وآليات التأويل، ص ٢٢٨، طبعة بيروت سنة ١٩٩٢م.
- (٧) المرجع السابق ص ٤٨.
- (٨) مجلة (المصور) عدد ٢٣/٧/١٩٩٥م.
- (٩) نقد الخطاب الدينى، ص ١٩٧، ١٢٨.
- (١٠) مجلة (القاهرة) مشروع النهضة بين التوفيق والتفريق - أكتوبر سنة ١٩٩٢م.
- (١١) نقد الخطاب الدينى ص ٩٣، ٩٤.
- (١٢) المرجع السابق ص ٨٢ - ٨٤.
- (١٣) المرجع السابق، ص ٢١٧، ٢١٨، ١٩٣.
- (١٤) المرجع السابق ص ٢٢٢.
- (١٥) المرجع السابق ص ١٠٦.
- (١٦) مجلة (القاهرة) إهدار السياق فى تأويلات الخطاب الدينى - يناير ١٩٩٣م.
- (١٧) نقد الخطاب الدينى ص ٨٣.
- (١٨) مجلة (القاهرة) مشروع النهضة بين التوفيق والتفريق - أكتوبر ١٩٩٢م.
- (١٩) نقد الخطاب الدينى ص ١٩٨.
- (٢٠) مجلة (القاهرة) - إهدار السياق فى تأويلات الخطاب الدينى - يناير ١٩٩٣م.
- (٢١) نقد الفكر الدينى ص ١٧٢، ١٧٤، ١٧٩.
- (٢٢) الأهرام فى ١٩/١٩٩٥م.

القضايا التى عرضنا لها، مع إعلانه فى بيانه إلى الناس: «أنا مسلم، وفخور بأننى مسلم، أومن بالله، وبالرسول، وباليوم الآخر، وبالقدر خيره وشره» . . إن المؤمنين بالإسلام، لا يختلفون على:

- ألوهية القرآن الكريم وقديسيته، لأنه كلام الله القلوس .

- ومفارقة ظاهرتي النبوة والوحي للواقع والطبيعة وقوانينهما .

- والوضع الإلهي للعقيدة والشريعة - لأنهما جماع الدين - والوحي بهما إلى من اصطفاه الله نبيا ورسولا .

- وخلود المبادئ والقواعد والمقاصد والأحكام التي جاء بها النص القرآني - بحكم كونه الوحي الخاتم للشريعة الخاتمة - فلا وحي بعد القرآن، ولا نبوة بعد محمد (صلى الله عليه وسلم) ولا شريعة بعد شريعة الإسلام . . الأمر الذى يجعل تاريخية أحكام النص القرآنى هي وختم النبوة والرسالة وخلود الدين على طرفي نقيض - ناهيك عن كارثة القول بتاريخية العقيدة - عقيدة الألوهية - أيضا؟! . .

وإذا كان الإسلام قد نزع من مطلق البشر سلطان الحكم على ما فى الضمائر والقلوب . . فإننا - مع الدكتور نصر أبو زيد - بإزاء كتابات - أوردنا نصوصها الكاملة - والحد الأدنى لما يجب قوله إزاءها، هو أن المطلوب مراجعة هذه الكتابات لتتسق مع العقائد المعلومة بالضرورة من دين الاسلام، والتى لم يختلف فيها ولا عليها أحد من خاصة وعمامة المؤمنين بهذا الدين .

وعسى أن يكون هذا الذى قدمناه - حول القرآن . والنبوة . والوحي . . والعقيدة . . والشريعة . . وتاريخية النصوص الدينية -

نار جهنم

في

القصص النبوي

٣٥

وقد جاء في القصص النبوي العديد من النصوص في حقيقة جهنم ووجودها في الدنيا مما سبق ذلك في هذا البحث. ونذكر - هنا - ببعضها. من ذلك ما جاء في صحيح مسلم [٢] عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: كنا مع رسول الله (صلى الله عليه وسلم) إذ سمع وجبة [٣] فقال النبي (صلى الله عليه وسلم) تدرون ما هذا، قال قلنا: الله ورسوله أعلم، قال: هذا حجر رمي به في النار منذ سبعين خريفاً، فهو يهوي في النار الآن حتى انتهى إلى قعرها). ومن القصص أيضاً ما جاء عن عبد الله بن عمر [٤] - رضي الله عنهما - أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال: «إن أحدكم إذا مات، عرض عليه مقعده بالغداة والعشي، إن كان من أهل الجنة، فمن أهل الجنة، وإن كان من أهل النار، فمن أهل النار، فيقال هذا مقعدك حتى يبيعك الله - تعالى - يوم القيامة». ومن القصص الطوال التي عرضناها في غير هذا المكان، قصة عن البراء بن عازب [٥]، قال «خرجنا مع رسول الله (صلى الله عليه وسلم) إلى جنازة، فجلس رسول الله (صلى الله عليه وسلم) على القبر وجلسنا حوله كأن على رؤوسنا الطير». وجاء في القصة (قال: وإن العبد الكافر، إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة، نزل إليه من السماء ملائكة سود الوجوه. ويأتيه ملكان فيقولان له: من ربك؟ فيقول: هاه هاه لا أدري فيقولان له: ما هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ فيقول: هاه هاه، لا أدري، فينادى مناد من السماء: أن كذب عبيدي، فافرشوه من النار،

جهنم موجودة الآن:

من أركان الإيمان التسليم بأن لله دارين الجنة والنار بعد هذه الحياة الدنيا يقول ابن قيم الجوزية [٦] «فاقتضت حكمته - سبحانه - أن خلق دارا لطالبي رضا، العاملين بطاعته، المؤثرين لأمره، القائمين بمحابه وهى الجنة. . . وخلق دارا أخرى لطالبي أسباب غضبه وسخطه، المؤثرين لأغراضهم وحظوظهم على مرضاته، القائمين بما يكره من الأعمال والأقوال، الواصفين له بما لا يليق به، الجاحدين لما أخبرت به رسله من صفات كماله ونعوت جلاله، وهى جهنم. . . وخلق دارا ثالثة، هى كاليناء لهاتين الدارين، ومنها يتزود المسافرون إليهما وهى دار الدنيا». وعقيدة أهل السنة والحديث أن الجنة والنار مخلوقتان وموجودتان الآن، وقد جاءت النصوص بذلك مثل قوله تعالى: (ولقد رآه نزلة أخرى. عند سدرة المنتهى عندها جنة المأوى).

نم وأهوالها (الطعة الأخيرة)

بالجنة وذلك حين رأيتموني تقدمت حين قمت في مقامي، ولقد مددت يدي وأنا أريد أن أتناول من ثمرها، لتتظروا إلي، ثم بدا لي أن لا أفعل، فما من شيء توعده إلا قد رأيته في صلاتي هذه) وقد تقدمت في صدر هذا الباب قصة نقلناها عن القرطبي، ونذكر بها هنا أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال: [٩] (لما

خلق الله - تعالى - الجنة والنار، أرسل جبريل إلى الجنة... قال ثم أرسله إلى النار...) وقصة (اختصمت الجنة والنار...) وقصة (بينما أنا أسير في الجنة وإذا انبهر في الجنة...) وقصة تقول (دخلت الجنة...) وغير ذلك مما تقدم (اشتكت النار إلى ربها فقالت يارب أكل بعضي بعضاً، فأذن لها بنفسين...) فهي تتنفس في الشتاء والصيف فهي موجودة.

مثل هذه النصوص وغيرها تقطع بوجود جهنم في الحياة الدنيا.

مكان جهنم من الكون:

يفهم من أقوال المفسرين في قول الله تعالى: (فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين) أن الإعداد دليل الخلق والإيجاد، وأنها أرصدت وهيئت.

أما عن مكان جهنم فإنه جاء في رواية عن عبد الله بن سلام أن رسول (صلى الله عليه وسلم) قال: [١٠] «الجنة في السماء، والنار في الأرض» وفي تحديد أدق جاء في رواية عن أبي أسامة قال: رأيت عبادة بن الصامت على سور بيت المقدس وهو يبكي، فقلت ما يبكيك؟ قال

وافتحوا له باباً إلى النار، فيأتيه حرها وسمومها). ومما يدل على وجود النار والجنة الآن ما جاء في القصة التي رواها عبد الله بن عباس [٦] - رضي الله عنهما - قال: انخسفت الشمس على عهد رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وفيها يقول: (فقال: إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله، لا يخسفان لموت أحد ولا

لحياته، فإذا رأيتم ذلك فاذكروا الله، فقالوا: يا رسول الله، رأيك تناولت شيئاً في مقامك، ثم رأيك تَكْكَعْتَ [٧]، فقال: إني رأيت الجنة وتناولت عنقوداً ولو أصبته لأكلت منه ما بقيت الدنيا، ورأيت النار فلم أر منظراً كالיום قط أقطع، ورأيت أكثر أهلها النساء، قالوا: بم يا رسول الله؟ قال: بكفرن - قيل أيكفرن بالله؟ قال: يكفرن العشير، ويكفرن الإحسان، لو أحسنت إلى إحداهن الدهر كله، ثم رأيت منك شيئاً قالت: ما رأيته منك خيراً قط). وفي قصة عن جابر -



بقلم:
أ. د. عبد الباق
أحمد علي هويدي

- مصر -

رضي الله عنه - عن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال: (ما من شيء توعده إلا قد رأيته في صلاتي هذه، لقد جئ بالنار، وذلك حين رأيتموني تأخرت مخافة أن يصيبني من لفحها، وحتى رأيت فيها صاحب المحجن [٨] يجر قصبه في النار، وكان يسرق الحاج بمحجنه، فإذا فطن له قال: إنما تعلق بمحجني، وإن غفل عنه ذهب به، وحتى رأيت صاحبة الهرة، التي ربطتها فلم تطعمها ولم تدعها تأكل من خشاش الأرض حتى ماتت جوعاً، ثم جيء

قال: قال رسول الله [صلى الله عليه وسلم]:
(إن الأرضين بين كل أرض والتي تليها مسيرة
خمسائة عام، والعليا منها على ظهر حوت قد
التقى طرفاه في السماء، والحوت على صخرة،
والصخرة بيد الملك، والثانية سجن الريح،
والثالثة فيها حجارة جهنم، والرابعة فيها
كبريت جهنم، والخامسة فيها حيات جهنم،
والسادسة فيها عقارب جهنم، والسابعة فيها
سقر، وفيها إبليس مصفد بالحديد - يد أمامه
ويد خلفه - فإذا أراد الله أن يطلقه لما يشاء
أطلقه). وذكر ابن كثير أثرا - قال عنه إنه
غريب - قال ابن عباس: خلق الله تبارك وتعالى
من وراء هذه الأرض بحرا محيطا بها، ثم خلق
من وراء البحر جبلا يقال له قاف، سماء الدنيا
مرفوعة عليه، ثم خلق الله - تعالى - من وراء
ذلك الجبل أرضا مثل تلك الأرض سبع مرات،
ثم خلق من وراء ذلك بحراً محيطاً بها، ثم خلق
من وراء ذلك جبلاً يقال له قاف السماء الثانية
مرفوعة عليه، حتى عد سبع أرضين وسبعة
أبحر وسبعة أجبل وسبع سماوات، قال: وذلك
قوله تعالى: [وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ
أُبْحُرٍ]. وذكر ابن كثير في تفسير قول الله -
تعالى - [وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ] [١٣] قال ابن
جرير حدثنا يعقوب حدثنا ابن علية عن داود
عن سعيد بن المسيب قال: قال علي - رضي
الله عنه - لرجل من اليهود أين جهنم؟ قال:
البحر، فقال: ما أراه إلا صادقا (والبحر
المسجور - وإذا البحار سجرت). وقال ابن
عباس وغير واحد: يرسل الله عليها الرياح
الدبور فتسعرها وتصير نارا تتأجج. وعن
معاوية بن سعيد قال: إن هذا البحر بركة -
يعنى بحر الروم - وسط الأرض، والأنهار كلها
تصب فيه، والبحر الكبير يصب فيه، وأسفله
أبار مطبقة بالنحاس، فإذا كان يوم القيامة
أسجرت. وقد تقدم حديث رواه هنا في سنن

هنا أخبرنا رسول الله [صلى الله عليه وسلم]
أنه رأى مالكا يقلب الجمر كالقطف.
وجاء في أخرى عن عبادة بن الصامت -
أيضا - أنه قام على سور بيت المقدس الشرقي
فبكى، ف قيل ما يبكيك؟ قال: من ههنا أخبر
النبي [صلى الله عليه وسلم] أنه رأى جهنم.
وذكر القرطبي [١١] قصة عن عبد الله بن
عمرو - رضي الله عنه - عن النبي [صلى الله
عليه وسلم] أنه قال: (لا يركب البحر إلا رجل
غاز أو حاج أو معتمر؛ فإن تحت البحر نارا)
وقال عبد الله بن عمر - رضي الله عنه - (ولا
يتوضأ بماء البحر لأنه طبق جهنم) ولكن في
الروايتين ضعف. وقال ابن عباس - رضي الله
عنهما - في قول الله - تعالى: [وَإِذَا الْبِحَارُ
سُجِّرَتْ] قال: أوقدت فصارت نارا.
وخرج أبو داود عن أنس يرفعه إلى النبي
[صلى الله عليه وسلم] (إن الشمس والقمر
ثوران عقيران في النار) وروى عن كعب
الأخبار أنه قال: (يجاء بالشمس والقمر كأنهما
ثوران عقيران، فيقذفان في النار).
وذكر ابن كثير في تفسيره قول الله
تعالى [١٢]: [وَإِنْ جَهَنَّمُ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ] قال
شعبة عن سماك عن عكرمة قال: البحر، وعن
الشعبي أنه سمع ابن عباس يقول: (وإن جهنم
لمحيطة بالكافرين) وجهنم هو هذا البحر
الأخضر، تنتثر الكواكب فيه، وتكور فيه
الشمس والقمر، ثم يوقد فيكون هو جهنم.
وروى الإمام أحمد عن صفوان بن يعلى عن
أبيه أن النبي [صلى الله عليه وسلم] قال:
(البحر هو جهنم) قالوا ليعلى فقال: ألا ترون
أن الله - تعالى - يقول: (نارا أحاط بهم
سرادقها) قال: لا والذي نفس يعلى بيده لا
أدخلها أبدا حتى أعرض على الله، ولا يصيبني
منها قطرة حتى أعرض على الله - تعالى -
ويذكر ابن كثير قصة عن عبد الله بن عمرو

وعن أبي هريرة قال [١٧]: جاء رجل إلى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فقال: أرأيت قوله تعالى: (جنة عرضها السموات والأرض) فأين النار؟ قال: (أرأيت الليل إذا جاء ليس كل شيء، فأين النهار؟) قال: حيث شاء الله، قال: (وكذلك النار تكون حيث شاء الله - عز وجل).

قال ابن كثير: وهذا يحتمل معنيين:

أحدهما: أن يكون المعنى في ذلك، أنه لا يلزم من عدم مشاهدتنا الليل، إذا جاء النهار، أن لا يكون في مكان، وإن كنا لا نعلمه، وكذلك النار تكون حيث شاء الله - عز وجل - وهذا أظهر، كما تقدم في حديث أبي هريرة عن البزار.

الثاني: أن يكون المعنى أن النهار إذا تغشى وجه العالم من هذا الجانب، فإن الليل يكون من الجانب الآخر، فكذلك الجنة في أعلى عليين، فوق السموات تحت العرش وعرضها كما قال: (عرضها السموات والأرض) والنار في أسفل سافلين، فلا تنافي بين كونها كعرض السموات والأرض، وبين وجود النار - والله أعلم.

الهوامش:

- (١) طريق الهجرتين وباب السعادتین ص ١٥٨.
- (٢) ج ٧ ص ٢١٦.
- (٣) وجب الشيء سقط أي سمع سقطه.
- (٤) صحيح حادي الأرواح ص ٢٨.
- (٥) صحيح حادي الأرواح لابن قيم الجوزية.
- (٦) المرجع السابق ص ٤٠.
- (٧) تراجم.
- (٨) العسا معجزة الطرف.
- (٩) المرجع السابق ص ٤١.
- (١٠) منتخب كنز العمال ج ٦ ص ٩٥.
- (١١) التذكرة ص ٤٥٦.
- (١٢) ج ٣ ص ٤١٩ وص ١٤٢ وج ٢ ص ٢٢١، ص ٤٧٦.
- (١٣) سورة التكوين آية ٦.
- (١٤) ابن كثير ج ٤ ص ٢٤.
- (١٥) تفسير ابن كثير ج ١ ص ٤٠٤.
- (١٦) ج ٦ ص ٩٩.
- (١٧) ابن كثير ج ١ ص ٤٠٤.

أبي داود: (لا يركب البحر إلا حاج أو معتمر أو غاز فإن تحت البحر نار أو تحت النار بحرا).
وروى الإمام أحمد في مسنده [١٤] عن عمر بن الخطاب عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال: (ليس من ليلة إلا والبحر يشرف فيها ثلاث مرات، يستأنن الله - تعالى - أن ينفذ عليهم، فيفكه الله - عز وجل).

والجنة والنار من الغيبيات التي يجب الإيمان بها والتسليم بما جاء عنها في الكتاب والسنة، لأن مدارك البشر محدودة في الأمور الظاهرة فكيف بها في الأمور الباطنة وأمور الآخرة. ونسوق هنا بعض ما جاء في القصص النبوي مما يوضح قدرة الله، وسعة ملكوته. جاء في مسند الإمام أحمد [١٥] أن هرقل كتب إلى النبي (صلى الله عليه وسلم): إنك دعوتني إلى جنة عرضها السموات والأرض، فأين النار؟ فقال النبي (صلى الله عليه وسلم) (سبحان الله، فأين الليل إذا جاء النهار؟) وهذا جواب مسكت ومعجز.

وعن طارق بن شهاب: أن ناسا من اليهود سألوا عمر بن الخطاب عن جنة عرضها السموات والأرض، فأين النار؟ فقال لهم عمر: أرأيتم إذا جاء النهار أين الليل؟ وإذا جاء الليل أين النهار؟ فقالوا: لقد نزعنا مثلها من التوراة. وفي منتخب كنز العمال [١٦] عن طارق أيضا قال: جاء يهودي إلى عمر بن الخطاب، فقال: أرأيت قوله - تعالى: (وجنة عرضها السموات والأرض) فأين النار؟ فقال عمر لأصحاب محمد (صلى الله عليه وسلم) أجيئوا، فلم يكن عندهم فيها شيء، فقال عمر: أرأيت النهار إذا جاء الليل يملأ الأرض، فأين الآخر؟ قال: حيث شاء الله، فقال عمر: والنار حيث شاء الله، فقال اليهودي: والذي نفسي بيده - يا أمير المؤمنين - إنها لفي كتاب الله المنزل كما قلت.

تربية :

سنن الفطرة وأثارها التربوية

الهدى الصالح والسمت الصالح والاقتصاد، جزء من خمسة وعشرين جزءاً من النبوة» رواه أبو داود . ولأن الاسلام هو دين الفطرة الذي عرف أسرارها، وكشف خباياها، وسبر أغوارها، فقد قدم لها ما يصلحها وما يصلح لها من تعاليم وسنن وتوجيهات جاءت كالثوب المناسب لمختلف الأعضاء، والملام لشتى الأبعاد . لذلك كله جاءت سنن الفطرة لتشكل رافداً من روافد التربية الجمالية في حياة المسلم، ولتعرض نموذجاً مثالياً لحياة المصطفى (صلى الله عليه وسلم)، كما أنها تحقق معنى التوازن الذي تفتقده جميع الفلسفات البشرية التي عرفها الانسان قديماً وحاضراً، حيث إنها تركز مرة على الجانب الجسدي، وتارة على الجانب العقلي، وأخرى على الجانب النفسي، وهكذا . كل هذا يعني أن سنن الفطرة تضع الشخصية المسلمة في وضع متوازن عادل يمثل الوسطية المطلوبة، فلا افراط ولا تفريط . وليس هذا فحسب بل إن هذه السنن في مجموعها تمنح الإنسان تكريماً إلهياً يأتي كأبدع ما يكون التكرم .

ما هي الفطرة ؟!

قال الامام النووي - رحمه الله [١] - «وأما الفطرة فبكسر الفاء، وأصلها الخلقة أو الجبلية، قال تعالى: {فطرت الله التي فطر الناس عليها} (الروم/٣٠) . وفسرها بعض العلماء كالخطابي وغيره بالسنة . قالوا: والمعنى أنها من سنن الأنبياء . أما معناها في اللغة فقد جاء في معجم مقاييس اللغة [٢] أن معنى الفطرة: الخلقه . وقال ابن منظور في



بقلم: صالح أبو عرأه الشوي
كلية التربية/ جامعة
أم القرى - مكة المكرمة

الإسلام دين الفطرة التي قال فيها الحق سبحانه: {فطرة الله التي فطر الناس عليها} (الروم/٣٠) . وتتمثل هذه الفطرة في طهارة المسلم الظاهرية والباطنة . فأما طهارة الباطن فهي متعلقة بالقلب، وتعني تطهير النفس الإنسانية من الشرك بالله، وتتطلب اخلاص العبادة لله وحده لا شريك له، وأداء الأعمال الصالحة والأفعال الخيرة .

وأما طهارة الظاهر فهي الفطرة العملية المشتملة على كل ما له علاقة بجمال المنظر عند الإنسان المسلم وحسن سمته . لما في ذلك من ملاءمة للفطرة السوية التي خلق الله الإنسان عليها، والتزام بهدي النبوة المباركة . فعن ابن عباس - رضي الله عنهما - أن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال: «إن

وذكر صاحب فتح الباري [٩] أنه جاء عن ابن عباس - رضي الله عنهما - في قوله تعالى: «وإذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات فأنمهن» قال: ابتلاه الله بالطهارة، خمس في الرأس، وخمس في الجسد.

أنواع الفطرة:

قسم الشيخ عبد الرحمن السعدي في كتابه «بهجة قلوب الأبرار» [١٠] الفطرة إلى نوعين: أحدهما: يطهر القلب والروح، وهو الإيمان بالله وتوابعه من خوفه ورجائه، ومحبة والإناية إليه. قال تعالى: {فَأَقْمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقِيمَ وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ} منيبين إليه واتقوه وأقيموا الصلاة ولا تكونوا من المشركين (الروم/ ٣٠ - ٣١). فهذه تزي النفس وتطهر القلب وتنمي، وتذهب عنه الآفات الرذيلة، وتحليه بالأخلاق الجميلة. وهي كلها ترجع إلى أصول الإيمان وأعمال القلوب.

الثاني: ما يعود إلى تطهير الظاهر ونظافته، ودفع الأوساخ والأقذار عنه.

وهي هذه العشرة (الواردة في حديث أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها -) وهي من محاسن الدين الاسلامي، إذ هي كلها تنظيف للأعضاء، وتكميل لها، لتتم صحتها، وتكون مستعدة لكل ما يراد منها.

بعض الأحاديث التي بينت سنن الفطرة:

عن عائشة - رضي الله عنها - قالت: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): «عشر من الفطرة: قص الشارب، وإعفاء اللحية، والسواك، واستنشاق الماء، وقص الأظافر، وغسل البراجم، وبتف الإبط، وحلق العانة»

لسان العرب [٣]: «والفطرة: ما فطر الله عليه الخلق من المعرفة به، وقد فطره يفطره (بالضم) فطراً أي خلقه» وجاء في دليل الفالحين [٤]: «خصال الفطرة - بكسر الفاء - لأنها مصدر لبيان الهيئة».

وقال الحافظ بن حجر في فتح الباري [٥]: «وقد رد القاضى البيضاوي الفطرة الى مجموع ما ورد في معناها، فقال: هي السنة القديمة التي اختارها الأنبياء، واتفقت عليها الشرائع القديمة، وكأنها أمر جبلي فطروا عليها». وجاء في تعريف الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي [٦]: «الفطرة هي الخلقة التي خلق الله عباده عليها، وجعلهم مفطورين عليها». كما جاء قوله - رحمه الله - «إن الفطرة شاملة لجميع الشريعة، باطنها وظاهرها، لأنها تنقي الباطن من الأخلاق الرذيلة، وتحليه بالأخلاق الجميلة، التي ترجع الى عقائد الإيمان والتوحيد، والاخلاص لله، والإناية اليه، وتنقي الظاهر من الأنجاس والأوساخ وأسبابها. وتطهره الطهارة الحسية والطهارة المعنوية. ولهذا قال (صلى الله عليه وسلم): (الطهور شطر الإيمان)».

وقيل [٧] إن هذه السنة هي الأمور التي اختبر الله سبحانه بها خليله إبراهيم عليه السلام في قوله تعالى: {وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ} (البقرة/ ١٢٤). فكان أول من أمر بها من الأنبياء كما أورد ذلك الخطابي. قال ابن عباس [٨] رضي الله عنهما: «أمره جل وعلا بخمس خصال - ثم عددهن - فلما فعلهن قال: «إني جاعلك للناس إماماً» أي ليقبدي بك ويستن بسنتك. ويقال: إنها كانت عليه فرضاً وهن لنا سنة.

في فتح الباري [١٢] أن ابن العربي ذكر «أن خصال الفطرة تبلغ ثلاثين خصلة، فإذا أراد خصوص ما ورد بلفظ الفطرة فليس كذلك، وإن أراد أعم من ذلك فلا تنحصر في الثلاثين بل تزيد كثيراً».

أهمية سنن الفطرة:

لسنن الفطرة دور بارز في تشكيل معالم شخصية الإنسان المسلم حتى تظهر بصورة مناسبة تميزه عن غيره من المخلوقات التي تشترك معه في بعض هذه الصفات، فيكون بمحافظته عليها صحيح الجسم، سليم التفكير، قوي الهمة، عظيم النشاط.

والعجيب كما ذكر ذلك الدكتور/ أحمد الشرباصي في كتابه «توجيه الرسول للحياة والأحيا» [١٣]: «إن هذه السنن تمتد مواطنها من أعلى هامة الانسان إلى قدميه. ففي أعلى الرأس تكون سنة ترجيل الشعر وتنظيفه وتطيبه، وفي الأنف تكون سنة الاستنشاق، وفي الفم تكون سنة السواك وسنة المضضة، وفي الإبطين تكون سنة تنف الشعر، وفي وسط الانسان تكون سنة حلق العانة، وسنة الختان، وسنة الاستنجاء، وفي الكفين تكون سنة غسل البراجم، وسنة قص الأظافر، وفي القدمين تكون سنة قص الأظافر منها أيضاً» ويضاف الى ذلك: وفي الوجه تكون سنة قص الشارب وسنة اغفاء اللحية.

وذكر ابن حجر [١٤] في فتح الباري موضحاً أهمية هذه السنن: «انه يتعلق بهذه الخصال مصالح دينية ودنيوية تدرك بالتبعية، منها تحسين الهيئة، وتنظيف البدن جملة وتفصيلاً، والاحتياط للطهارتين، والاحسان الى المخالط والمقارن بكف ما يتأذى به من رائحة

وانتفاص الماء» . (رواه مسلم واحمد والنسائي والترمذي).

قال الراوي: «ونسيت العاشرة الا أن تكون المضضة».

قال وكيع: انتفاص الماء يعني الاستنجاء.

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي (صلى الله عليه وسلم) «الفطرة خمس - أو خمس من الفطرة -: الختان، والاستحداد، ونتف الإبط، وتقليم الأظافر، وقص الشارب» متفق عليه.

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: سمعت النبي (صلى الله عليه وسلم) يقول: «الفطرة خمس: الختان، والاستحداد، وقص الشارب، وتقليم الأظافر، ونتف الآباط» متفق عليه.

ومن مجموع هذه الأحاديث وغيرها يتبين أن خصال الفطرة التي وردت عن النبي (صلى الله عليه وسلم) وحثت عليها الشريعة الاسلامية كثيرة، وأنها ليست قاصرة على عدد معين.

قال الامام النووي [١١] - رحمه الله -: «وأما قوله [صلى الله عليه وسلم]: الفطرة عشرة» فمعناها معظمها عشرة، كالحج عرفة. فانها غير منحصرة في العشرة، ويدل عليه رواية مسلم: «عشر من الفطرة». وإنما أريد بالحصص المبالغة لتأكيد أمر الخمس المذكورة في الحديث، كما حمل عليه قوله [صلى الله عليه وسلم] «الدين النصيحة» و«الحج عرفة» ونحو ذلك.

ومن هنا نرى أن خصال الفطرة غير منحصرة في العشر أو الخمس، وإنما هي أكثر من ذلك. فهناك من عدها اثنتي عشرة. وجاء

وقال فيه: [لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة] {الاحزاب/٢١}. وهو الذي بعثه الله لأمته معلماً ومزكياً ومربياً. قال تعالى: [لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة] {آل عمران/ ١٦٤}. وهو الذي مدحه ربه سبحانه بما منحه فقال له

سبحانه في كلمات موجزات: [وإنك لعلی خلق عظيم] {القلم/٤}. فكان كل خلق فاضل وسلوك سليم متمثل في حياة رسول الله [صلى الله عليه وسلم] وشخصيته المتكاملة التي استوعبت كل جوانب الحياة.

وبذلك جسّد الرسول [صلى الله عليه وسلم] منهج التربية الاسلامية السامية في الواقع العملي لحياته متمثلاً في سنن الفطرة. من هنا كان للمحافظة على هذه السنن أثر تربوي عظيم يتمثل في أن التزام المسلم بها وتطبيقه لها في واقع حياته يدل على أمرين هما:

* التصديق بما ورد في سيرة الرسول [صلى الله عليه وسلم] والتقليد والاتباع لهدي التربية النبوية في كافة الأعمال وجميع التصرفات وهذا بدوره كفيل بتعود المجتمع المسلم بمن فيه من أفراد على السمع والطاعة والامتثال لأوامر الله والرسول [صلى الله عليه وسلم]، لا سيما وأن في الناس نزعة فطرية لتقليد ومحاكاة من يحبون، وليس هناك أحب عند المسلم من رسول الله [صلى الله عليه وسلم].

* اتخاذ القدوة الحسنة من المعلم الاول والمربي الأعظم [صلى الله عليه وسلم] كشخصية فذة متكاملة متوازنة. وتتضح هذه القدوة في اهتمامه بالجوانب المتعلقة بالجانب

كريمة، ومخالفة شعار الكفار والمجوس واليهود والنصارى وعباد الأوثان، وامتنال أمر الشارع، والمحافظة على ما أشار اليه قوله تعالى: {وَصَوِّرْكُمْ فَأَحْسِن صُورَكُمْ} لما في المحافظة على هذه الخصال من مناسبة لذلك. وفي المحافظة عليها محافظة على المروءة، وعلى التألف المطلوب.

من هنا نرى أن على المسلم أن يحافظ على سنن الفطرة كاملة وأن يفعلها كلها بنية الاقتداء بالرسول [صلى الله عليه وسلم] في كل شأنه، وأن يحرص على متابعة هديه المبارك، والتربي بتربيته النبوية المباركة ليحصل له بذلك الأجر والثواب وليتحقق تمسكه بالسنة النبوية فالأعمال بالنيات ولكل امرئ ما نوى.

سنن الفطرة نموذج تربوي نبوي:

تحتاج كل تربية إلى نموذج واضح يجسد معالم هذه التربية ويوضح تعاليمها بصورة واقعية تنقل المجرّد الى محسوس، والقول الى عمل، والنظرية الى تطبيق. وفي ذلك يقول سعيد حوى في كتابه: «الرسول [صلى الله عليه وسلم]» [١٥].

فالأمة بلا علم يوضح لها جوانب سلوكها، وبلا تربية يعرف بها كل فرد من أفرادها واجبه. تصبح أمة فوضوية، تصرفاتها غير متوقعة وغير منضبطة. ولكل فرد من أفرادها سلوك يخالف سلوك الآخر وعادات وتصورات تختلف. فلا تكاد أمة تغلح بهذا ولا فرد.

وفي التربية الاسلامية لا يوجد أعظم ولا أكمل ولا أفضل من شخصية سيدنا محمد [صلى الله عليه وسلم] لتكون نموذجاً حياً، وقدوة حسنة للإنسان المسلم في كل زمان ومكان. ولا ريب فهو من اصطفاه ربه جل وعلا

في:

* الطهارة الحسية الجسدية، وهي مما يحبه الله سبحانه. قال تعالى: {والله يحب المطهرين} (التوبة/١٠٨). ولما روي عن الرسول [صلى الله عليه وسلم] أنه قال: «تنظفوا فإن الإسلام نظيف» رواه ابن حبان. ويتمثل ذلك في تطهير البدن بالوضوء والغسل فينعكس ذلك بدوره على المظهر الخارجي.

* الطهارة المعنوية التي تغرس في النفوس تطهير الضمير كعبادة وطاعة وامتنال لأوامر الله سبحانه ورسوله [صلى الله عليه وسلم].

وهذه التربية الجمالية تؤدي بدورها الى تطهير النية والعمل والسلوك، فنظافة المظهر مدعاة لنظافة الجوهر، ونظافة الشكل مدعاة لنظافة الضمير، ونظافة الفرد مدعاة لنظافة المجتمع. وبذلك يتحقق بُعد تربوي اسلامي عظيم متمثل في طهارة المجتمع المسلم طهارة معنوية من الفواحش والمعاصي والذنوب والآثام، فترتفع النفس المسلمة من رجس القوضى وأحوال الوحشية إلى نظافة الأخلاق وتهذيب السلوك. ومن ثم يتم تطهير الحياة الاجتماعية عامة حتى تصبح التربية شاملة للنفس والعقل والجسم.

وليس هذا فحسب بل إن في هذه السن مدعاة لتأليف القلوب ومد جسور المحبة والمودة، وتوطيد الصلة بين الإنسان المسلم وزوجه، فتكون حياتهما مبنية على الرحمة والمودة، وقائمة على السكن والراحة والقبول، وليس أجمل من أن يكون كلا الزوجين مناسباً للآخر، وملائماً له، مقبولا عنده في شكله وهيئته لأن ذلك مدعاة للاتئلاف والرضى، وسبب مباشر لقناعة كل منهما بالآخر. وهذا بدوره سيؤدي

الجسمي والنظافة العامة حينما يتفقد المسلم أظافره فيقصها، وفمه فينظفه، وأسنانه فيسوكها، وشاربه فيقصه، وإبطيه فينتفهما... إلخ.

وهذا بدوره ينفي الزعم الباطل القائل بأن الاسلام لا يهتم بالناحية الجسمية بل ويؤكد قضية التوازن في اهتمام التربية الاسلامية ورعايتها لمختلف الجوانب الجسمية والروحية والعقلية، فلا يستغرب بعد ذلك أن يُعرف المسلم لأول وهلة حين يُرى سمته ووقاره، وهيئته الخارجية وشكله العام الذي يميزه عن غيره من الناس. لأن هذه السن في مجموعها جعلت له شخصية مميزة ومظهراً خاصاً ونموذجاً فريداً يقتدي فيه بإمام الطاهرين وقدوة الناس أجمعين [صلى الله عليه وسلم].

سنن الفطرة والتربية الجمالية:

تدعو التربية الاسلامية دائماً، وتحث على الاهتمام بالمظهر الشخصي والناحية الجمالية، ليكون المسلم جميلاً في مظهره، متناسقاً في هندامه، بعيداً عن الدروشة والقذارة والاهمال. قال تعالى: {يا بني آدم خذوا زينتك عند كل مسجد} (الاعراف/٣١).

قاله سبحانه كما جاء في الحديث: «جميل يحب الجمال». وليس هذا فحسب بل ان في ذلك اشباع لحاسة الجمال في نفس المسلم، فيتولد في اعماقه إيمان شديد بعظمة الخالق سبحانه الذي أحسن كل شيء خلقه، والذي صورنا فأحسن صورنا، وخلقنا في أحسن تقويم.

ومن عناية الاسلام بالمظهر الحسن والهيئة الجميلة أمره للمسلم وحثه إياه للالتزام بسنن الفطرة التي تربي المسلم تربية جمالية تتمثل

يهمل على حساب الجانب الآخر. وهذا هو ما نلمسه في هذه السنن التي إلى جانب كونها من المظاهر الدنيوية فهي عبادة يثاب عليها المرء، وتكسبه الأجر والثواب متى ما قصد بها وجه الله سبحانه والإقتداء بهدي النبوة. وهذا بدوره يربط بين الهدفين الديني والدنيوي للتربية الإسلامية. وبذلك يتحقق التوازن في شخصية الإنسان المسلم حينما نرى أن التزامه بهذه السنن يجعل الجسم يحظى بحقه من العناية والرعاية والاهتمام فيما يخص المظهر الخارجي والشكل العام اللائق المقبول. فبدل ذلك على أن الإنسان ينعم بعقل راجح وتفكير سديد، ومدارك واسعة وفهم عميق لحقائق الأشياء وجوهرها. الأمر الذي يدفعه من ثم إلى السمو الروحي والرفعة الإنسانية والتعالي عن سفاسف الأمور وصغائرهما وحطامها المادي الحقيقير. كما أن في اتباع المسلم لما يسمى بسنن الفطرة يؤدي بطبيعة الحال إلى ما يسمى بالقبول الاجتماعي للفرد. حيث يقترب منه الناس ويطمئنون إليه ويعاملونه بكل حب وتقدير واحترام لأنه يفرض ذلك عليهم بحسن مظهره وحسن تدييره.

لذلك كله نقول ونؤكد أن دين الاسلام هو الدين الوحيد القادر على ربط الإنسان بخالقه واصلاح حاله في كل زمان ومكان حينما يمشي على الارض بجسمه، ويتوجه بروحه إلى السماء ليستمد منها أنوار الهداية والمعرفة فيحكم عقله فيها ويختار منها ما يناسب حاله، ويوافق قدراته، ويلبي حاجاته، فتفسير حياته وفق منهج مستقيم وهدى قويم.

سنن الفطرة دليل تكريم الله للإنسان المسلم:

لما كان الدين الاسلامي هو المنهج الرباني

إلى استمرارية سعادتهما الزوجية بإذن الله . ولقد كان النبي صلى الله عليه وسلم قدوة تحذى في هذا الشأن. يقول ابن الجوزي: «كان النبي (صلى الله عليه وسلم) أنظف الناس وأطيب الناس». وقد قالت الحكماء: من نظف ثوبه قلَّ همُّه، ومن طاب ريحه زاد عقله، ومن طال ظفره قصرت يده». ثم إن المسلم بالتزام سنن الفطرة يقرب من قلوب الخلق، وتحبه النفوس لنظافته وطيبه. كما أن سنن الفطرة تنمي لدى الإنسان الاحساس بالجمال، وتنمي طاقاته وملكاته المستشعرة لمعنى الجمال في خلق الله سبحانه.

وأحسب أن قول النبي (صلى الله عليه وسلم): «إن الله جميل يحب الجمال» إنما هو دعوة إلى التخلق والتخلي بالجمال الذي هو البهاء والحسن وجمال الصورة وجمال المعنى على حد سواء.

سنن الفطرة والتوازن في شخصية المسلم:

مما لا شك فيه أن الكيان البشري يشتمل على عدة وحدات هي: الجسم والعقل والروح. ولذلك فإن التربية الإسلامية حرصت على الربط بين هذه الوحدات لتجعل منها كياناً واحداً مترابطاً، واختطت لذلك منهجاً مزيدياً في احاطته بجميع الجوانب الإنسانية، فجاء هذا المنهج متوازناً مهتماً بالذات الإنسانية في كل حالاتها. ولا ريب فهي تربية للإنسان كله جسمه وعقله، روحه ووجدانه، خلقه وسلوكه، سرائه وضرائه، شدته ورخائه، أي أنها تشمل كل الجوانب الشخصية دون قهر أو كبت أو فوضى أو تسبب أو افراط أو تفريط.

ولذلك جاءت شخصية الانسان المسلم متوازنة سوية متكاملة، لا يطغى فيها جانب أو

المتكامل والمناسب تماماً للفطرة الانسانية، لأنه جاء من عند الخالق عز وجل لصياغة شخصية الانسان صياغة متوازنة متكاملة، لا ترفعه الى مقام الالهية، ولا تهبط به الى درك الحيوانية أو البهيمية، وإنما لتجعل منه خير نموذج على الارض. فقد خصه جل وعلا بتكريم يليق به لكونه جُعل في الارض خليفة ليعمرها وينشر منهج الله بين ربوعها ويقيم شريعته فيها. ثم لأنه - جل وعلا - خلقه في أحسن تقويم فكرمه بالصورة الحسنة والمظهر الجميل، فكانت سنن الفطرة عاملاً مهماً في ابراز هذا الجمال والحفاظ عليه، وليس هذا فحسب بل ان الله كرم الإنسان بأن نفخ فيه من روحه، قال تعالى: {إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن طِينٍ. فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ} (سورة ص/ الآية ٧١ و ٧٢) فكان ذلك تكريماً للكائن البشري وتمييزاً له عن سائر المخلوقات، إضافة إلى ما خصه الله به من نعمة العقل. فكان للجانب العقلي انعكاس على سلوكه وتصرفاته تجعله يحكم ذلك العقل كثيراً، لا سيما وأن ذلك العقل يعد مناط التكريم الالهي للإنسان.

ولعلنا لا نبالغ اذا قلنا أن في هذه الخصال والسنن النبوية نمط تربوي اسلامي يتناسب تماماً مع مسئوليات هذه الخلافة ووظائف تعمير الكون، الى جانب كونها تحقق مبدأ التكريم الالهي للإنسان في هذه الحياة الدنيا. وهو أمر يميز به الإنسان عن غيره من الكائنات الحية الاخرى لقوله تعالى: {ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلاً} (الاسراء/ ٧٠). ففي قص

الافاضر مثلاً تمييز للإنسان المسلم عن غيره من الكائنات ذات المخالب من كواسر وقوارض ونحوها. وفي خلق الشعر وقصه ونتفه تمييز للإنسان المسلم عن غيره من المخلوقات ذات الشعور المرسله والمسدلة على أجسادها بلا ترتيب ولا انتظام. وفي السواك والمضمضة تمييز للإنسان المسلم عن غيره من الكائنات التي لا تنظف أفواهها ولا تعتني بنظافة اسنانها. وهكذا.

وهذا فيه رفع لمستوى الإنسان المسلم وتكريم له على غيره من الكائنات والمخلوقات الاخرى لذا كان على الانسان المسلم أن يحترم هذه المكائنة التي أنزله الله اياها، والا يهبط بها عن مستواها الانساني الرفيع الذي خصه الله به عن سواه. ومن هنا نرى أن سنن الفطرة دليل على تكريم الخالق سبحانه للإنسان المسلم لأمرين هما:

* أن تكريم الله سبحانه للإنسان نابع في الأصل من كون هذا الانسان يحمل منهج الله في الارض، وأن هذا المنهج يعتمد على مصدرين رئيسيين أحدهما متمثل في اتباع الهدي النبوي والسنة المطهرة.

* أن من السنة الاقتداء بالرسول (صلى الله عليه وسلم)، وهذا يحصل للمسلم عن طريق محافظته على سنن الفطرة - إن شاء الله.

سنن الفطرة والاستقامة الإسلامية:

من المسلمات أن التربية الاسلامية تسعى الى تحقيق غاية عظمى، وهدف أسمى يتمثل في استقامة النفس البشرية على نهج الإيمان الواضح الصحيح الذي لا تشوبه شائبة. وذلك أمر لا يمكن تحقيقه الا بممارسة شرائع الاسلام واتباع تعاليمه، والانقياد لأوامره

وصدق المثل الأعلى والصورة الحية للاستقامة
الإيمانية قولاً وعملاً.

الهوامش :

(١) الأمين الحاج محمد أحمد، سنن الفطرة، ١، مكتبة دار
الطبوعات الحديثة بجدة، ١٤١٠هـ - ص ١١ نقلاً عن المجموع
شرح المذهب للنووي.

(٢) أحمد بن فارس بن زكريا، معجم مقاييس اللغة، ٢،
مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ١٣٩١هـ -
١٩٧١م، ج ٤ ص ٥١٠.

(٣) الأمين الحاج محمد أحمد، سنن الفطرة، ١، مكتبة دار
الطبوعات الحديثة بجدة، ١٤١٠هـ - ص ٩ نقلاً عن لسان العرب
لابن منظور.

(٤) محمد بن علان الصديقي، دليل الفالحين لطرق رياض
الصالحين، الطبعة الأخيرة، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي
وأولاده بمصر ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م، ج ٢ ص ٦٧٧.

(٥) الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، فتح الباري
شرح صحيح البخاري، دار المعرفة ببغداد، ج ١٠ ص ٣٣٩.

(٦) عبد الرحمن بن ناصر السعدي، بهجة قلوب الأبرار وقرّة
عيون الأخبار في شرح جوامع الأخبار، الرئاسة العامة لإدارات
البحوث العلمية والافتاء والدعوة والإرشاد، ١٤٠٥هـ - ص ٤٧.

(٧) الأمين الحاج محمد أحمد، سنن الفطرة، ١، مكتبة دار
الطبوعات الحديثة بجدة، ١٤١٠هـ - ص ٧ نقلاً عن معالم السنن
للخطابي.

(٨) المصدر السابق، ص ٦.

(٩) الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، فتح الباري
شرح صحيح البخاري، دار المعرفة ببغداد، ج ١٠ ص ٣٣٧.

(١٠) عبد الرحمن بن ناصر السعدي، (مرجع سابق)،
ص ٤٧.

(١١) الأمين الحاج محمد أحمد، سنن الفطرة، ١، مكتبة دار
الطبوعات الحديثة بجدة، ١٤١٠هـ - ص ١٢ نقلاً عن المجموع
للنووي.

(١٢) الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، فتح الباري
شرح صحيح البخاري، دار المعرفة ببغداد، ج ١٠ ص ٣٣٧.

(١٣) أحمد الشريافي، توجيه الرسول للحياة والأحياء، دار
الجيل ببغداد، ص ١٣٠.

(١٤) الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، فتح الباري
شرح صحيح البخاري، دار المعرفة ببغداد، ج ١٠ ص ٣٣٩.

(١٥) سعيد حوى، الرسول (صلى الله عليه وسلم)، ٢، دار
الكتب العلمية ببغداد، ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م، ص ١٨٠.

والابتعاد عن نواحيه. فالاستقامة إذاً مرحلة
ثانية تأتي بعد الإيمان لأنها أثر من آثاره
ونتيجة من نتائجها. قال تعالى:

«ومن أحسن ديناً ممن أسلم وجهه لله وهو
محسن واتبع ملة إبراهيم حنيفاً» (النساء
١٢٥). وقال صلى الله عليه وسلم: «قل أمنت
بالله، ثم استقم» رواه مسلم. فهذه الاستقامة
الإيمانية لا تتحقق إلا بالفقه الشرعي ومعرفة
أمور الدين، والاحاطة بتعاليمه، ورعاية الأخلاق
وتطبيقها في واقع الحياة ليصبح الإنسان
المسلم بذلك كله قدوة صالحة وأُسوة حسنة. ثم
لأنه متى استقام قلب المسلم على معرفة الله
سبحانه وعلى خشيته وتقواه في كل لحظة وفي
كل صغيرة وكبيرة: استقامت جوارحه كلها
على الطاعة والامتثال. وهذا يؤهل من قام به
والترزاه ليكون من حملة الرسالة الخالدة الذين
قال الله سبحانه فيهم: {إن الذين قالوا ربنا
الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا
تخافوا ولا تزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم
توعدون} (فصلت/٣٠).

ومن هنا يمكن القول بأن من ثمرات التزام
المسلم بسنن الفطرة ما تحققه من ملامح
الاستقامة الإيمانية عنده حينما يطبقها بشكل
مناسب ومقبول يعتمد في المقام الأول على
الاعتدال والاتزان والاتباع لهدي النبي (صلى
الله عليه وسلم) دوناً إفراط أو تفريط. إضافة
إلى تربية المسلم على الاستمرارية والمواصلة
والمحافظة على هذه السنن المباركة والخصال
الحميدة بما فيها من خير للفرد وصالح
للمجتمع.

وقيل هذا أو ذاك فهي سنن جاء بها المربي
العظيم (صلى الله عليه وسلم) الذي هو بحق

في ظلال القرآن:

إحصاء لفظ الجلالة [الله] والرب والإله في المصحف الشريف ودلالة ذلك على الإيمان بالله تعالى

وتارة يذكر صفات أخرى».

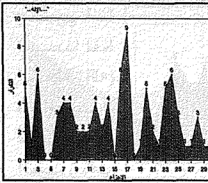
واستترسل فقال: «إنه تبين لذلك لا تكاد صفحة من المصحف الشريف تخلو من لفظ الجلالة [الله] أو إشارة إلى ذاته الكريمة بلفظ [رب] أو أسمائه وصفاته سبحانه وتعالى وهي تكاد تكون موزعة توزيعاً منتظماً على المصحف الشريف» ثم حاول بطريقة مبسطة إحصاء هذا العدد للفظ الجلالة [الله] وانتهى إلى (أنه قد تكرر حوالي ثلاث آلاف مرة) شغلني هذا المعنى وقررت إجراء هذه الدراسة وعهدت بإحصاء لفظ الجلالة في جميع أوضاعه مثل «لله ، بالله ، تالله ، فوالله، والله ... الخ» إلى طالبين نجيبين من الكلية في الفصل الدراسي الأول لعام ١٤١٥هـ وقد أنجزا هذه المهمة باقتدار فجزاهما الله خيراً والطالبان هما: عمر علي باسيف وبندر محمد صالح الحسني. وقد تم مقابلة إحصائهما بالحاسب على ما هو موجود في المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم للأستاذ محمد فؤاد عبد الباقي.

قمت بعد ذلك بإحصاء اللفظين الكريمين (رب) و(إله) في جميع أوضاعهما على أجزاء المصحف الشريف باستخدام البرنامج «قرآن، Quranā على حاسب متوافق مع I.B.M وهذا البرنامج يتيح البحث بطريقة قواعد البيانات على مستوى الحرف وعلى مستوى الكلمة وخلافه وتم مقارنة الأعداد الناتجة من الإحصاء مع مثيلتها في المعجم المفهرس لألفاظ القرآن

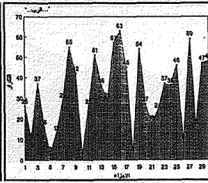
بقلم: د. مجدي الطويل كلية
المعلمين - مكة المكرمة

حدثنا الأستاذ الدكتور عبد الستار فتح الله سعيد أستاذ التفسير في جامعتي الأزهر الشريف وأم القرى بمعنى عظيم شغلني التفكير فيه فترة من الزمن. قال الشيخ: «إن المصحف الشريف يكاد يكون كتاباً يتحدث فيه الله عن نفسه الشريفة فيعرف نفسه لعباده حتى يوقوه حق قدره العظيم وينشغلوا بعبادته وحده لا شريك له بعد أن أقام عليهم الحجة وأطنب في تعريف نفسه لعباده بطرق مختلفة، فتارة يذكر اسمه لفظ الجلالة [الله] والذي ليس له سمي في القديم أو الحديث.

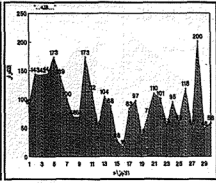
وتارة يذكر لفظاً يدل على ذاته الكريمة وهو لفظ [رب] وأحياناً يذكر لفظ [إله] وتارة يشير إلى نفسه بالضمير وتارة بالأسماء الحسنى



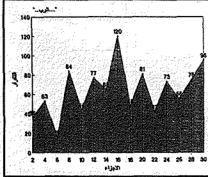
شكل (١ - ج)



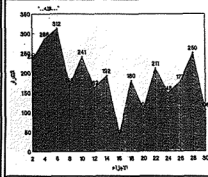
شكل (١ - ب)



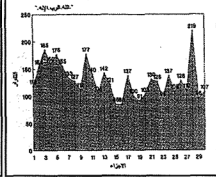
شكل (١ - ا)



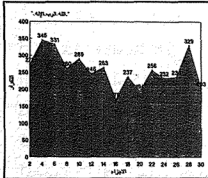
شكل (٢ - ب)



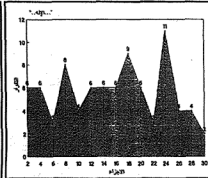
شكل (٢ - ا)



شكل (١ - د)



شكل (٢ - د)

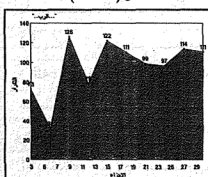


شكل (٢ - ح)

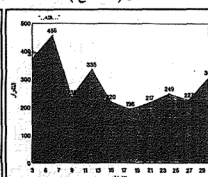
الكريم وتطابقت الأعداد بحمد الله بعد استيعاد بعض الألفاظ التي لم يقصد بها الرب الخالق وكذلك الألفاظ التي لم يقصد بها الإله الواحد كما سنبين فيما بعد .

منهج البحث:

هو المنهج الإحصائي في أدواته ودلالاته . فقد صمم الطالبان استمارة تفي لهذا الغرض وتم الاتفاق على الاستشهاد بطبعة الملك فهد للمصحف الشريف وكل جزء



شكل (٣ - ب)



شكل (٣ - ا)

ضمن السورة المشتمة عليها وبذلك زدنا في إحصائنا على الحاسب عدد مائة وأثنى عشر لفظاً عما هو موجود في المعجم المفهرس

فيه يقع في عشرين صفحة تقريباً . وقد اعتبرت الفاتحة من الجزء الأول وتم أخذ فاتحة السور «بسم الله الرحمن الرحيم» من

ألفاظ جاءت
في سورتي
يوسف
والأنعام
كالآتي:

١ - الأنعام
(٧٦): {فلما
جنّ عليه الليل
رأى كوكباً
قال هذا ربّي
فلما
أفل...}

٢ - الأنعام
(٧٧): {فلما

رأى القمر بازغاً قال هذا ربّي فلما أفل
...}

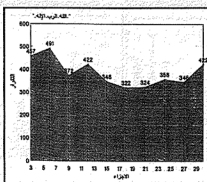
٣ - الأنعام (٧٨): {فلما رأى الشمس
بازغة قال هذا ربّي ...}

٤ - يوسف (٤١): {يا صاحبي السجن أماً
أحدكما فيسقي ربّه خمرأً وأمّاً الآخر ...}
٥ - يوسف (٤٢): {وقال الذي ظنّ أنّه ناج
منهما اذكرني عند ربك فأنساه الشيطان ذكر
ربّه فلبث في السجن بضع سنين}.

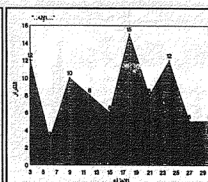
٦ - يوسف (٥٠): {وقال الملك أثتوني به
فلما جاءه الرسول قال ارجع إلي ربك فأسأله
ما بال النسوة ...}

ولقد تمّ استبعاد ألفاظ جمع رب مثل:
أرباب ، ربانيون ... الخ، لأنها لا تدل على
المعنى المقصود .

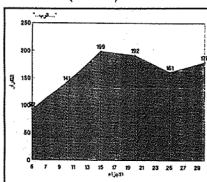
كذلك تمّ استبعاد الألفاظ التي لا تدل على
الإله المعبود الواحد الأحد وهي كالآتي:



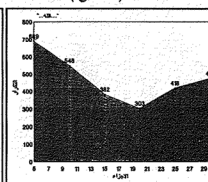
شكل (٣ - د)



شكل (٣ - ج)



شكل (٤ - ب)



شكل (٤ - ا)

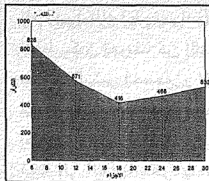
بسبب أننا
عددنا لفظ
الجلالة (الله)
في البسملة
في أول جميع
السور وهي
مائة وثلاثة
عشر عدّ
المعجم
المفهرس منها
بسملة سورة
الفاحة فقط .

ثم قمّت
باعداد جداول

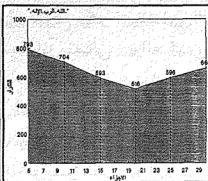
خاصة لإحصاء اللفظ الكريم (رب) مع
استبعاد الألفاظ التي لم يقصد بها الرب
الخالق العظيم كما سنبين بعد قليل كذلك
تمت دراسة اللفظ الجليل (إله) بشكل مماثل
كما سبق مع استبعاد ما لا يدل على الإله
المعبود . وبعد إعداد البيانات تمّ رسمها
باستعمال راسم هارفرد Harvard
(2.3) . وقد تم رسم بيانات لفظ الجلالة
(الله) ثم لفظي (رب) و (إله) وذلك على عدة
مستويات من تجميع الأجزاء جزء ثم جزآن
وهكذا حتى ستة أجزاء . وذلك لدراسة ظاهرة
الانتظام . ثم تمّ الجمع بينهم في دراسة
تجميعية .

المستبعد من الألفاظ في الإحصاء:

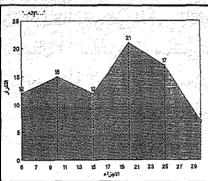
استبعدت الألفاظ التي لم يقصد بها الرب
الخالق العظيم سبحانه وتعالى وهي سبعة



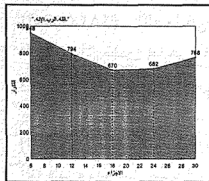
شكل (١ - أ)



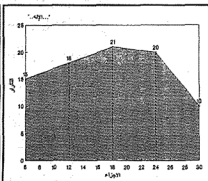
شكل (٢ - ب)



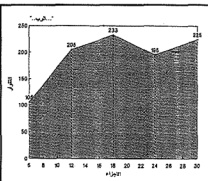
شكل (٣ - ج)



شكل (٤ - د)



شكل (٥ - هـ)



شكل (٦ - و)

المساحة على مستوى جزئيين .
شكل (٣): التوزيع التكراري معد بطريقة
المساحة على مستوى ثلاثة أجزاء .
شكل (٤): التوزيع التكراري معد بطريقة
المساحة على مستوى خمسة أجزاء .
شكل (٥): التوزيع التكراري معد بطريقة
المساحة على مستوى ستة أجزاء .

وفي هذه الأشكال يمثل «أ» التوزيع
التكراري للفظ الجلالة «الله» ويمثل «ب»
التوزيع التكراري للفظ الكريم «رب» ويمثل
«ج» التوزيع التكراري للفظ الجليل «إله» بينما
يمثل «د» التوزيع التكراري لمجموع هذه
الألفاظ .

المناقشة والنتائج:

إن دلالة ذكر لفظ الجلالة (الله) أو (رب)
أو (إله) في القرآن الكريم دلالة عظيمة . وفي

لفظ [إله]: الأنبياء/ ٢٩ ، المؤمنون/ ٩١ ،
القصص/ ٣٨ ، (اللفظ الأول فقط) ، طه/ ٨٨ .
لفظ [إله]: الأعراف/ ١٣٨ ، الحجر/ ٩٦ ،
الإسراء/ ٢٢ ، الإسراء/ ٣٥ ، الكهف/ ١٤ ،
المؤمنون/ ١١٧ ، الفرقان/ ٦٨ ، الشعراء/ ٢٩ ،
الشعراء/ ٢١٣ ، القصص/ ٨٨ ، ق/ ٢٦ ،
الذاريات/ ٥١ .

لفظ [إلهك]: طه/ ٩٧ .
لفظ [إلهكم]: طه/ ٨٨ .
لفظ [إلهه]: الفرقان/ ٤٣ ، الجاثية/ ٢٣ .
لفظ [إلهه]: النمل (من ٦٠ إلى ٦٤) .
كذلك تم استبعاد الألفاظ التي تدل على
مثنى أو جمع «إله» مثل إلهين وآلهة .

الأشكال:

شكل (١): التوزيع التكراري معد بطريقة
المساحة على مستوى جزء واحد .
شكل (٢): التوزيع التكراري معد بطريقة

مستوى الجزء الواحد يقع في الجزء الثامن والعشرين ، شكل (١ - أ) ، وكله مدني من بداية سورة المجادلة إلى نهاية سورة التحريم . ومن المعلوم أن المعاملات والجهاد والأحكام والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر غالبية في ذكر الآيات المدنية وهذا يدل على أصالة التصاق هذه المعاملات بمعرفة الله سبحانه وتعالى وتقديره وتعظيمه حق شأنه حتى لا تكون هذه الأعمال هباءً منثوراً .

وفي الجانب المقابل نجد أن الأجزاء الست الأولى تحتوي على نسبة ١٠٪ تقريباً من تكرار لفظ [رب] ونجد أن الجزء الثامن والعشرين يحتوي على ١٦ تكراراً فقط من مجموع ٩٦٤ تكراراً للفظ الكريم [رب] وملحقاته . أمّا بالنسبة للفظ الجليل [إله] فإن سدس التكرار تقريباً يقع في الأجزاء الست الأولى مع ملاحظة أن أعداد لفظ [إله] تأتي في كل جزء بالآحاد ، بينما أعداد لفظ [رب] بالعشرات . أمّا لفظ الجلالة فهو بالمئات غالباً .

ثانياً:

أقل تكرار للفظ الجلالة [الله] يقع في الجزء السادس عشر وهو ١٦ مرة ، انظر شكل (١ - أ) . وهو جزء يحتوي على نهايات سورة الكهف وسورة مريم وسورة طه وفيها استغراق في ذكر قصص الأنبياء والصالحين بشكل مفصل . وعلى سبيل التعويض نجد أن هذا الجزء يحتوي على أكبر تكرار للفظ الكريم [رب] على مستوى الجزء الواحد وهو ٦٣ مرة ، انظر شكل (١ - ب) . الأجزاء الست الأخيرة تحتوي على ٢٥٪

الغالب (والله أعلم بمراده) فإن موقع ذكر اللفظ يكون تعريفاً من الله سبحانه وتعالى بنفسه للبشر أجمعين . انظر سورة البقرة مثلاً : [ليس عليك هداهم ولكن الله يهدي من يشاء] (البقرة/٢٧٢) ، [واتقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله] (البقرة/٢٨١) ، [واتقوا الله ويعلمكم الله والله بكل شيء عليم] (البقرة/٢٨٢) ، [الله ما في السموات وما في الأرض وإن تبذروا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله على كل شيء قدير] (البقرة/٢٨٤) . وهذا التعريف بالله يعلمنا به الله قدره ويلزمننا الحجة بالعبودية له وحده واتباع شريعته وحده ولذلك نجد الأجزاء عامرة بذكر لفظ الجلالة (الله) أو ذكر اللفظ الكريم (رب) أو اللفظ الجليل (إله) ولقد تكرر لفظ الجلالة (الله) في جميع أوضاعه (٢٨١٤) مرة موزعة على الأجزاء كما هو مبين في شكل (١ - أ) . أمّا اللفظ الكريم (رب) في جميع أوضاعه فقد تكرر (٩٦٤) مرة كما يبين شكل (١ - ب) . ويبين شكل (١ - ج) تكرار اللفظ الجليل [إله] في جميع أوضاعه وهو (٨٤) مرة . وبدراسة الأشكال يمكن أن نخلص إلى النتائج التالية:

أولاً:

حوالي ثلث تكرار لفظ الجلالة [الله] في جميع أوضاعه يقع في الأجزاء الست الأولى كما هو موضح بالشكل (٥ - أ) على سبيل المثال . وهذه الأجزاء تحتوي على السور المدنية الطويلة: البقرة وآل عمران والنساء والمائدة . . ونلاحظ أيضاً أن أكبر تكرار على

فإن معدل ذكر هذه الألفاظ يكون لفظاً واحداً لكل سطرين أو تقريباً ٧ ألفاظ لكل صفحة. وهذا يعطي دلالة على أن الله سبحانه وتعالى أراد أن يذكر عبادته بذاته وصفاته حين يقرعون القرآن من خلال كل صفحة من صفحات المصحف الشريف أو من خلال كل سطرين تقريباً سواء كان قارئاً من حفظه أو تالياً في المصحف.

النتيجة العامة:

اجتماع الألفاظ الكريمة [الله] و[الرب] و[الإله] في جميع أوضاعها يؤيد ما ذهب إليه الأستاذ الدكتور عبد الستار إلى أن الله سبحانه وتعالى قد وزع ذكر اسمه وصفاته على صفحات المصحف الشريف توزيعاً منتظماً شاملاً وهذا يبرهن على الإعجاز القرآني وأنه كتاب منزل من لدنه سبحانه وتعالى ولا يستطيع أن يؤلفه بشر ما، والبرهان الكامل لهذه الحقيقة القرآنية يتطلب إحصاء الآتي:

أ - لفظ الجلالة [الله].

ب - اللفظ الكريم [رب].

ج - اللفظ الجليل [إله].

د - أسماء الله الحسنى.

هـ - الضمائر العائدة إلى الله تعالى.

نرجو من الله أن يمكننا من الخطوتين «د» و«هـ» ليتم هذا العمل وأن يجعله في ميزان حسناتنا يوم القيامة. وجزى الله شيخنا الكبير الأستاذ الدكتور عبد الستار خيراً عن علمه وتواضعه لإعطائي وقتاً ثميناً من وقته المحدود في مناقشة وتنقيح هذا البحث ونتأجبه.

تقريباً من تكرار اللفظ الكريم [رب] بينما تحتوي على ١٨٪ تقريباً من تكرار لفظ الجلالة [الله] و ١٢٪ من تكرار اللفظ الجليل [إله].

ثالثاً:

الأجزاء الخمسة عشر الأولى يتكرر لفظ الجلالة [الله] ١٦١٩ مرة بينما يتكرر في الأجزاء من السادس عشر إلى الثلاثين ١١٩٥ مرة. أما بالنسبة للفظ الكريم [رب] لنفس الأجزاء على الترتيب السابق فهي: ٤٣٢ و ٥٣٢. وهي ٣٩ و ٤٥ بالنسبة للفظ الجليل [إله] وعند إضافة أعداد الألفاظ الثلاثة إلى بعضها تكون كالاتي: ٢٠٩٠ و ١٧٨٢ وهما بذلك أقرب للانتظام بين شطري المصحف الشريف فالنسبة تتحسن من ١٣٥ (قسمة ١٦١٩ على ١١٩٥) إلى ١٨١ (قسمة ١٦١٩ + ٤٣٢ على ١١٩٥ + ٥٣٢) إلى ١٧ (قسمة ٦١٩ + ١ + ٤٣٢ + ٣٩ على ١١٩٥ + ٥٣٢ + ٤٥) على الترتيب. وهذا يدل على أن الألفاظ المذكورة تدور في القرآن الكريم على نظام بالغ الدقة والإعجاز.

رابعاً:

كما هو موضح بالأشكال (١، ٢، ٣، ٤، ٥ - د) على مستوى الأجزاء المختلفة، نجد أن إضافة لفظي [الرب] و[الإله] إلى لفظ الجلالة [الله] أدّى إلى تقارب التوزيع وانتظامه في الأجزاء المختلفة. فإذا كان معدل السطور في الصفحة الواحدة في القرآن الكريم، طبعة الملك فهد، هو ١٥ سطراً ومجموع الألفاظ الثلاثة في المصحف الشريف هو ٢٨٧٢ لفظاً

في كل أسرة مسلمة.

إن الحياة الاقتصادية القاسية - وفي أيامنا هذه خاصة - قد فرت أفراد كل أسرة بحسب الأعمال المختلفة التي يقوم بها أعضاء كل أسرة. إن أعضاء الأسرة الواحدة لا يعملون في العادة عملاً واحداً ولا يعملون في مكان واحد - من أجل ذلك يقل وجود أعضاء الأسرة الواحدة في بيت الأسرة في وقت واحد - وفي العالم أسر قلما يجتمع أفرادها في كل يوم أو في كل اسبوع. أما في

رمضان فإن مناهج العمل تتبدل وأنماط الحياة تتغير، والوقت الواحد للسور والوقت الواحد للإفطار

يجتمعان أهل البيت الواحد في وقت واحد على طعام واحد - إن هذا الكسب الاجتماعي في الأسرة قلما يستطيع الإنسان أن يقدره قدره. ولا ريب في أن هذه الصلة الوثيقة في الأسرة في العالم الإسلامي - وهي صلة قد فقدت فقداً تاماً في العالم الأوروبي والأمريكي - راجعة إلى العنصر الاجتماعي البارز في شهر رمضان. ومن بركة شهر رمضان في الجانب الاجتماعي من الحياة وجه يدعو الإنسان المفكر إلى كثير من العجب والدهشة ثم يكشف عن قيمة اجتماعية لا يكاد المرء يتخيل مثلها - فضلاً عن أن يرى مثيلاً لها - في وجه اجتماعي آخر!!

في كل شعب قوم متدينون وقوم مهملون وقوم عاصون. كذلك كان البشر من قبل بعثة الأنبياء، وكذلك هم إلى اليوم. ولعلهم سيقون على ذلك إلى ما

شاء الله.

أما في الإسلام فإذا جاء رمضان فإن هذه الصورة تتبدل تبدل كبيراً، فإن نفراً من المهملين الغافلين ومن العصاة الجاهرين يرجعون إلى الله مولاهم فيقيمون الصلاة ويعملون الصالحات ويهجرون الخمر والفسق ويتبدلون بعادتهم الأولى من الاستهتار والانحراف سمناً معتدلاً من التقوى والخشوع. ومع أن جانباً من هؤلاء

رمضان شهر الصوم. والصوم في الأديان قديم: قال الله تعالى: {كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ} (البقرة/183)، ولا شك في أن الأديان أصلها واحد من عند الله، وجاء الدين صالحاً حكيماً مفيداً، ذلك الدين الأول الذي أوجاه الله تعالى إلى أنبيائه ورسله مرة بعد مرة.

ومن الإسلام هذا الصوم الذي ينعم به المسلمون في كل عام شهراً كاملاً. ويبدو لي أن الذين قالوا في الصوم قد قالوا كثيراً في وجوهه الدينية والصحية والروحية والنفسية. وأحسب أنهم لم يكتفوا القول بعد في الجانب الاجتماعي.

اجتماعي. فحُب أنا أن أتناول هذا الوجه الاجتماعي بشيء من التفصيل، وبالإضافة إلى أن الصوم في الإسلام عبادة مفروضة وطاعة لله تعالى: {كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ}، فإن للصوم في الإسلام مظهرين اجتماعيين بارزين لا يزالان إلى اليوم واضحين في جميع البلاد الإسلامية وفي جميع البيئات. ما إن يطل رمضان على المسلمين، وقبل أن يطل أيضاً، تتبدل حياة المسلمين صغاراً وكباراً، وفقراء وأغنياء، ومتساهلين ومتشددين، ثم يبيو الشهر وكأنه من أوله إلى آخره عيد يعم المسلمين كلهم بالسرور. فهذا أول مظهر اجتماعي لشهر رمضان: شهر يضع المسلمين كلهم في حياة واحدة فيشعر كل فرد فيها أنه جزء ملازم من هذا الجسم الكبير في العالم كله.

في غير رمضان تحاول الحياة القاسية أن تقطع الناس طبقات كثيرة تنصرف كل طبقة منها إلى العمل الذي تقوم به في سبيل معاشها، وقلما يشعر بعض الناس في أثناء ذلك أنه مرتبط بسائر الناس الذين يعيشون معه في بلد واحد أو مكان واحد أو حي واحد. أما في رمضان فإن هذه الألفة تعود إلى طبيعتها في المجتمع الكبير الذي يضمهم. وأعظم من تلك الألفة العامة بين عامة المسلمين في رمضان تلك الألفة الخاصة

فيصل صالح أسعد - جده -

أكانوا أقارب أو غير أقارب ما داموا على مستوى واحد في السلم الإجتماعى أو على درجات متقاربة من ذلك السلم. أما المظهر الإجتماعى الثانى من صيام رمضان في الإسلام فهو مظهر النفع الإجتماعى بين أغنياء المسلمين وغير الأغنياء من المسلمين.

من أعظم فضائل رمضان أن الإسلام ربط الصيام فيه بصنقات من التطوع ثم بصدقة مفروضة هي صدقة الفطر أو زكاة الفطر. ولقد جعل الإسلام لهذه الصدقة خاصة وجهاً اجتماعياً براقاً. إن قيمة زكاة الفطر عن أهل بيت واحد هي مقدار ما ينفقه أهل ذلك البيت على طعامهم وشرابهم في يوم واحد بحسب درجتهم من الثروة، قل ذلك أو أكثر. ومن أراد أن يزيد فيها فهو خير له. ثم إن أئمة المسلمين استحسنتوا في إخراج هذه الزكاة طريقة نافعة. لقد أحبوا ألا تجزأ هذه الزكاة بين الأفراد كما يجوز في صدقات التطوع، بل أثروا أن تبقى زكاة الفطر عن أسرة واحدة مبلغاً واحداً مجموعاً وأن يعطى هذا المبلغ الواحد إلى أسرة واحدة حتى تستطيع هذه الأسرة بهذا المبلغ كله أن تشارك المسلمين كلهم في يوم عيد الفطر في سعادتهم وأقاربهم.

هذان الوجهان الاجتماعيان من شهر رمضان - الوجه الإجتماعى المعنوى والوجه الإجتماعى المادى - هما مظهران بارزان في الإسلام يشدان كل مسلم إلى كل مسلم آخر برباط من الأخوة الصحيحة ومن العطف المفيد النافع، والذي يعجب منه العاقل أن العالم يسعى إلى أشياء من الإصلاح الإجتماعى في ميادين الحياة المختلفة ثم لا نراه يحقق نفعا صغيراً في جانب من الناس إلا بعد أن يحدث أثراً سلباً في جانب آخر. ولو أن هؤلاء المربين للإصلاح التفتوا إلى الإسلام التفتات عاقلين لوجدوا فيه العلاج الصالح للأواء التي يشكو منها أقوامهم. ولعلمهم فاعلمون!! وأخيراً...

نتبهي إلى الله أن يجمعنا على الحق وينصرنا بالإرادة القوية. . وأن يعيد هذا الشهر الكريم على القبلية الأولى وقد تحرر مسجداً الأقصى وتحررت كل بلاد المسلمين مما تعانيه، وتطهرت قلوبنا ونفوسنا بالإسلام ومجد الإسلام وعزة الإسلام.

يعود بعد رمضان سيرته الأولى في الحياة، فإن جانباً آخر منهم تثبت قدماء على الصراط المستقيم. إن هذه القيمة الإجتماعية تأتي في الواقع من أن الإنسان الفرد قد تأثر بالخير تأثراً شخصياً فطبع ذلك في نفسه من الأثر مالا تستطيع طبعه النصائح المختلفة ووسائل الإقناع من صناعة المنطق!!

ونعود إلى الأسرة مرة جديدة:

إن رب الأسرة يشعر في رمضان شعوراً جديداً، سواء أكان أفراد أسرته صغاراً في السن أو كانوا كباراً، ترى البخيل في رمضان قد أصبح على جانب من الكرم، ثم ترى الكريم قد ازداد كريماً وأنا لا أقصد هنا الكرم المادى وحده، ولكنني أقصد الكرم المعنوى، فإن الإنسان يصبح بالصوم في رمضان أكرم خلقاً في نفسه وأحسن سلوكاً في الناس وأنبى عملاً في المجموع. وفي صوم رمضان حقيقة قلما وقأها المتكلمون في رمضان حقها من الإشارة. إن رمضان يقطع الإنسان عن نفسه الداخلية ثم يبرزه لعالمه الخارجى، ذلك لأن حاجات الجسم التي ضعفت نزعاتها بالصوم تريد أن تعبر عن توقها إلى العمل العام الصالح. إن الإنسان في العادة يقضي وقتاً طويلاً من يومه في طعامه وشرابه ولهوه باللباحات. فإذا حل رمضان واستغنى الجسم عن هذه كلها أصبح محتاجاً إلى أن يملأ ما فرغ من وقته بأعمال جديدة. من أجل ذلك نجد أن الصائم الحق أحسن في رمضان أعملاً منه في كثير من سائر أشهر السنة.

أما أسمى صور هذا التحول النبيل من حياة الصائم الداخلية إلى حياته الخارجية فتتبدى في المعارك التي خاضها المسلمون في شهر رمضان المبارك. وأشير هنا إلى ثلاث معارك، واحدة من تاريخ الإسلام الأول هي معركة بدر الكبرى التي أرسيت قواعد الدولة الإسلامية ودلت على أن المسلمين قد أصبحوا قوة عسكرية مرهوبة الجانب، ثم معركة عين جالوت التي رد فيها المسلمون عن بلاد الإسلام وعن الإسلام جحافل التتار ثم معركة وادي لكة، وهي التي فتحت بلاد الأندلس للفتح الإسلامى والإسلام زماناً طويلاً وللحضارة الإسلامية إلى اليوم. ذلك كان المظهر الإجتماعى الأول، المظهر الإجتماعى الخالص، المظهر الذى يربط بعض الناس ببعض، سواء

وما النجر إلا من عند الله:

برغم أن موقعة بدر لم تستمر لأكثر من نهار واحد، وأن الأعداد التي شهدتها لم تكن بالكثرة التي شهدت باقي معارك المسلمين، فإنها كانت بحق من أهم المعارك الإسلامية نوداً عن الرسالة، كما إن تحقيق الانتصار فيها كان بداية لانتصارات دكت حصون الكفر والضلالة، وقادت البشرية إلى نور الحق والهداية.

فقد غرست هذه الموقعة في الأرض شجرة الحرية حيث أرسدت الدعائم الأولى لحرية العقيدة والرأي والتفكير، فما شهر المسلمون فيها سيفاً ضد عابد قانت، لكنهم أزالوا أن يمارسوا حقهم الكامل في حرية العبادة والعقيدة، فاعترضتهم قريش تريد أن يظلوا على دين الآباء والأجداد... وهو اغتيال ومصادرة لحياتهم... فمن يلوهم!!

وكم أرسى الإسلام في بدر مبدأ الحرية، فقد أرسى مبدأ آخر لا يقل أهمية عنه. إنه نظام الشورى، فهذا نبي يعلم ويسمع، بل

يقدم نفسه مرة

باعتباره رسولاً

نبيّاً وأخرى

باعتباره بشراً

عادياً... وهكذا

حتى

استأنسوا منه هذه الصفة بالممارسة وعرفوا

جيداً كيف يفرقون بين كلام الله وقالة الناس،

وبين ما تطاله أيديهم وما لا ينبغي لهم النظر

فيه كما تعلم المسلمون من هذه الموقعة أن

القوة لا تغني عن الحق

شيئاً، وأن المؤمن مطالب -

وهو في نزوة النصر- أن

يميز ما بين الاستعداد والمدة وأن يأخذ

بالأسباب التي توصله لتحقيق كل منهما.

وفوق ذلك كله فقد وقع هذا الحدث العظيم

في تاريخ المسلمين في رمضان، وفيه من

الدلالة ما يكفي لو قدره الناس حق قدره...

مع بدر يوم التقى الجمعان

وتاريخاً أسفرت عن نتائج سياسية واجتماعية نوت في الأرض نوباً كبيراً لأنها نصر الله، كما نوت في السماء نوباً عظيماً لأنها إرادة السماء، وكانت فتحاً ونصراً فصل بين عهدي الذلة والعزة والضعف والقوة.

لذلك لا عجب أن نرى هذه

الموقعة تحظى باهتمام الكثير

من المؤرخين والكتاب خاصة وأن كل ما تلاها

من فتوح وما تحقق من انتصارات إنما هو

مدین للفتح المبين في ميدان بدر يوم الفرقان

كما أسماه رب العزة في محكم كتابه حين

يقول: [وما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان يوم

بظلم: هـ - ناول عبد الهادي - المغرب

عن عددهم - إنهم كثير لا يحصى عددهم، فاستفسر عما ينحرون من إبل؟ فأجيب بأنهم ينحرون يوماً تسعاً ويوماً عشراً فقال: هم بين تسعمئة وألف، فكانوا خمسين وتسعمئة ، وسأل عن رجالاتهم، فعرف منهم عتبة بن ربيعة وأخاه شيبه وغيرهما .

تجاوب الأنصار :

لقد جرى العمل في السرايا التي كان يقوم بها المسلمون مع بداية قيام دولة الإسلام بالمدينة أن يُعهد بها إلى المهاجرين بون الأنصار فلم يندب النبي (صلى الله عليه وسلم) لمثلها أحداً منهم ولم يحدث ذلك إلا في بدر، وذلك على اعتبار:

١ - أن المهاجرين هم الذين أوزوا في أبدانهم وجرحوا في مشاعرهم وكرامتهم، وبالتالي فهم أشد الناس رغبة في القصاص ممن أنوهم ومن ثم فهم أولى ببقاء قريش من غيرهم .

٢ - كما أنهم هم الذين استضعفوا وأراد أهل الشرك إذلالهم فكان لقاءهم بهم وفرار الآخرين منهم أكثر تعبيراً عن أن الحق قد علا وأن الله قد مكّن لهم في الأرض .

٣ - ثم إنهم هم الذين أخرجوا من ديارهم وخلفوا وراءهم أموالهم فكانوا أحق القوم مطالبة بحقوقهم المفتصّب وديارهم المسلوبة ومنعاً لأهلهم ونويعهم الذين لم يهاجروا وكفایتهم شرور هؤلاء الجبابرة .

٤ - على أن أهم الأسباب وأقواها في ذلك هو أن عهد النبي (صلى الله عليه وسلم) مع الأنصار إنما كان على الإيواء والنصرة، وأن يمنعوه مما يمنعون منه أنفسهم ونساعهم

التقى الجمعان} (الأنفال/٤١) ليؤكد من خلال هذه التسمية أنها فرقت بين الحق المستضعف والباطل المتغطرس . وأنه سبحانه أعز بها الحق وأذل الباطل .

ومن المفيد أن نذكر لمحة تاريخية خاطفة عن هذا اليوم نستخلص من أحداثه العبر والدروس . . . فما أشبه الليلة بالبارحة! وما أشبه اليوم الحاضر بالأمس الدابر، أو ربما يعيد التاريخ نفسه كما يقولون .

وكان من خبر هذه الواقعة أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) سمع بمقدم أبي سفيان من الشام في عير عظيمة لقريش فيها أموالهم وتجارتهم، وكانت الأخيرة ممعنة في تصديها للدين الجديد صداً عن سبيله، وإقامة للعثرات في وجه أتباعه، فما أن سمع الرسول بأمر أبي سفيان، وكان من أشد الناس عداوة للإسلام، حتى ندب الناس للخروج إليه تعويضاً لهم عما خلفوه وراءهم بمكة من أموال، وما إن علم أبو سفيان بخروج المسلمين للملاقاة قافلت حتى غير طريقه وأرسل يستصرخ قريشاً كي تمنعه وقافلته، ونهض أهل مكة مسرعين فحشدوا من حولهم من قبائل العرب، ويرغم إفلات أبي سفيان بعيره فإن زعماءهم أصرروا على المداومة والنزال .

ذهب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) إلى بدر ليدرك العير فلم يدركها، وأدركه النفير فلم يكن من القتال بد، وقد أقبلت قريش بخيلها وخيلاتها، وتعرّف النبي القائد إلى العدو فقدّره ما بين التسعمئة والألف وذلك من خلال ما كانوا يعقرون من إبل فقد قيل له - وقد سأل

لكاني أنظر إلى مصارع القوم. فكان هذا أول أمر قيادة بالتحرك للقتال من وادي نهران، وتقدمت القوة بين ثنایا الوديان تجنباً لظهورها ووقاية من عيون العدو.

التحرك بتشكيل القتال:

كان ذلك يوم الإثنين لثمانی لیال خلون من شهر رمضان في العام الثاني للقرار بالمدينة، حيث خرج رسول الله في ثلاثمئة وثلاثة عشر رجلاً لم يكن معهم إلا فرسان وسبعون بغيراً يعقب الإثنان والثلاثة منهم على البعير الواحد يستوي في ذلك الجندي والقائد والتابع والمتبوع، فكان منهم رسول الله وأبو بكر وعمر وكبار الصحابة، ودُفع باللواء إلى مصعب بن عمير وراية المهاجرين إلى علي بن أبي طالب، وراية الأنصار إلى سعد بن معاذ، وكان التحرك منظماً بتشكيل القتال لأول مرة في تاريخ العرب، حيث قسمت القوة إلى مقدمة وكتائب أساسية ومؤخرة، فالمقدمة كان مهمتها تأمين القوة الأساسية من المفاجآت، وقد انطلقت منها طليعة أمامية للاستكشاف والحصول على معلومات تفيد المسلمين، وتآلفت القوة الرئيسية من كتيبة المهاجرين تتبعها كتيبة الأنصار ولكل منهما رايتها السوداء، وتقدمتهما جماعة القيادة برابيتها البيضاء التي حملها مصعب. في حين أسند أمر حراسة الجوانب لكل من الزبير بن العوام على الميمنة والمقداد الكندي على الميسرة، أما حراسة المؤخرة فقد عهد بها إلى قيس بن أبي صعبعة وجماعته.

الرسول ينزل على رأي الجباب:

حقق الرسول القائد بهذا التشكيل النظامي

ونرياتهم، ولم يكن في ذلك حض على الخروج معه في حرب، وإن كان يفهم منه ضمناً أنهم معه في الحرب والسلام، غير أنه صلوات الله وسلامه عليه لم يرد أن يخرجهم معه فيما لم يتقرر صراحة بنص البيعة ولذلك لم يدعم للمشاركة في هذه السرايا التي سبقت بداراً.

وما إن جد الجد وخرجت قریش لمواجهة نور التوحيد بجيش كثيف من أهل الشرك قوامه قرابة الألف حتى بدا له أن يشاورهم ويناقشهم في الأمر حتى يستيقن ويعلم ما عندهم فقال: أشيروا علي أيها الناس (يريد الأنصار). وتكلم المهاجرون فأحسنوا ثم تكلموا فأحسنوا. وحين أعادها فهم الأنصار أنه يقصدهم فبادر سعد بن معاذ قائلاً: والله لكأنك تريدنا يا رسول الله؟ لعلك تخشى أن تكون الأنصار ترى حقاً عليها ألا تتصرك إلا في ديارهم؟ إني أقول عن الأنصار وأجيب عنهم: فاطعن حيث شئت، وصل حبل من شئت، واقطع حبل من شئت، وخذ من أموالنا ما شئت، واعطنا ما شئت، وما أخذت منا كان أحب إلينا مما تركت، وما أمرت فيه من أمر فأمرنا تبع لأمرك. فامض يا رسول الله لما أردت فنحن معك، فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ما تخلف منا رجل واحد، وما نكره أن تلقى بنا عدونا غداً، إنا لصبر في الحرب، صدق في اللقاء، لعل الله يريك منا ما تقر به عينك، فسر بنا على بركة الله، فسر رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بقولة سعد وقال: سيروا وأبشروا فإن الله وعدني إحدى الطائفتين، والله

جدول رقمي إحصائي عن غزوة بدر:		
الموضوع:	مقارنة رقمية	(السلعون -)
عدد المقاتلين في معركة بدر	٣١٤	نحو ١٥٠
عدد الفرسان والخيول	٢	٢٠٠
عدد الإبل	٧٠	نحو ٣٥٠
عدد القتلى	١٤ شهيداً	٧٠ قتيلاً
عدد الأسرى	—	٧٠ أسيراً
ملاحظة: كانت كتيبة المهاجرين مؤلفة من ١٢ وكتيبة الانصار مؤلفة من ٦١ من الأوس - ١٧٠ من الخزرج		

مباشرة إدارة المعركة والتخطيط للعمليات، حتى لو اضطر المسلمون للتراجع أمام ضغط القوى المعادية يستطيع الرسول من مقر القيادة تنظيم خطة الانسحاب إلى المدينة دفاعاً عنها، ويُني المقر (عريش) على تل يطل على ساحة المعركة. وعقيب تمامه خرج صلوات الله وسلامه عليه يخاطب جنده ليرفع من معنوياتهم ويحفزهم على الثبات بقوله: «والذي نفسي بيده لا يقاتلهم اليوم رجل صابراً محتسباً، مقبلاً غير مدبر إلا أدخله الله الجنة».

وبعد تمام الشحن المعنوي على هذا النحو عاد إلى مقر قيادته ليصدر التعليمات إلى جنده، ويأمر تسوية الصفوف وأمرهم ألا يسيئوا القتال حتى يتلقوا أوامره، كما رسم طريق التعاون بين حملة السيوف وحملة السهام فقال: «إذا اكتفكم العدو (أحاط بكم)

مبدأ الوقاية فكانت أول مرة في تاريخ الإسلام والعرب يطبق فيها مثل هذا الأمر، ونزلت القوة بأرض بدر، وقام الرسول بنفسه يتبعه أحد أصحابه يستكشف المنطقة فعرف أن قريشاً على مقربة منه، وعاد ليرسل بدورية أكبر للاستكشاف الموسع ضمت علي بن أبي طالب والزبير بن العوام وسعد بن أبي وقاص وبعض الرجال فعدوا بغلامين من سقاة قريش أمكن الرسول أن يتعرف منهما إلى حجم القوة المعادية، وكانت دورية أخرى قد انطلقت إلى ماء بدر لمعرفة موعد وصول تلك القوة إلى بدر، وبعد أن توافرت المعلومات ووضحت الصورة كاملة صدر الأمر بالتحرك لتكون الوثبة التالية إلى مياه بدر، واستقر جيش التوحيد بأدنى مصادر المياه غير أن الحباب بن المنذر أشار بالتقدم لأقرب موارد المياه لجيش العدو، وطمس باقي الآبار حتى لا يظل على الساحة سوى مورد واحد بأيدي المسلمين يبنون عليه حوضاً يملؤونه فيشربون منه ويمنعونه عن عدوهم، وهو ما حدا بالرسول وهو القائد أن ينزل على رأي الحباب لما رأى فيه من تحقيق لمصلحة جيش المسلمين. حيث نهض ومن معه من الناس حتى إذا أتى أدنى ماء من القوم نزل عليه وأمر بالآبار فاقسدت وبني حوضاً على البئر الذي نزل عليه فمليء بالماء.

عسكرية قيادية:

اقترح سعد بن معاذ أن يبيني المسلمون مقراً للقيادة العامة استعداداً للطوارئ بحيث يكون مقراً ثابتاً يستطيع النبي القائد منه

فانضحوه بالنبل».

وهكذا تجلت عبقريته القيادية - بجوار رسالته العظمى التي هي الأساس ومصدر الإلهام والهداية - في قيادته لجنده، وتعبئته الحكيمة . وسدّه لمنافذ الخطر والهجوم، وتقديره الصحيح لقوة العدو وعدده ومواقع نزوله . . على النحو الذي فصلته وفاضت به كتب السير والمغازي .

والنتقى الجمعان :

نزلت قریش بالجانب الغربي بالعدوة القصوى، وهي كتيب من الرمل مرتفع بعيد عن بدر، ونزل جند المسلمين بالعدوة الدنيا منها، ولما تراعى الجمعان إذا برسول الله يتوجه إلى الله طالباً النصر الذي وعده فيقول: «اللهم هذه قریش جاءت بخيلائها وفخرها تحادّك وتكذّب رسولاك» .

وكانت ليلة الجمعة السابعة عشرة من رمضان، فلما أصبحوا أقبلت قریش في كتائبها التي يبلغ قوامها تسعمئة وخمسين رجلاً معهم سبعون فرساً والكثير مما يركبونه وينبحوه لماكلهم . . غير أنهم مع كثرة عددهم وعنتهم كانت تنقصهم العزيمة والإيمان بل والرغبة القاطعة في القتال، وما إن رأى المشركون المؤمنين بعين المتحسس منهم هالهم حالهم فاسترهبوهم على قلتهم .

وبذلك فقد أرى الله المؤمنين المشركين قلة يستهان بها ولا يهولهم حالها، ولقد رأى الرسول ذلك في رؤياه الصادقة، وراؤهم كذلك رأي العين وهو قوله تعالى: (إِذْ يُرِيكُمُ اللَّهُ فِي

مناماك قليلاً ولو أراكم كثيراً لفشلتم ولتنازعتهم في الأمر ولكن الله سلّم إني عليه بذات الصنور * وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ التَّقِيتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ) (الأنفال/ ٤٣ - ٤٤).

دعاء وقضرة :

رُوي عن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - أنه قال: لما كان يوم بدر نزل رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وأصحابه «ثلاثمئة وتسعة عشر رجلاً» فاستقبل النبي القبلية ثم مد يديه فجعل يهتف بربه: «اللهم أنجزني ما وعدتني، اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام لا تعبد في الأرض» .

فقد علم الرسول أنه لو وكل المسلمون لأنفسهم وقوتهم فالنتيجة معلومة واضحة، ولما رأى الكفتين غير متكافئتين كان لا مفر له من الاستغاثة بالله الذي لا معقب لحكمه ولا رادّ لقضائه كي يرجع كفة القلة المؤمنة فأخذ يبتل إلى الله بهذا الدعاء الذي تجلت فيه الثقة والسكينة والافتقار لنصر الله سبحانه . وما ذاك إلا ليعلم جند الحق يوماً أن يدينوا بأن القوة والحماسة وعُد الحرب كلّها وخططها جميعها مغلولة القوى، مسلوية القدرة، طائشة المرعى ما لم تكن مؤيدة بنصر الله وتوفيقه .

وبهذه العقيدة يقدمون على عدوهم مزودين بقوى كثيرة، فالسلاح - وإن قل - بأيديهم، والحماسة تملأ نفوسهم، والتدبير المحكم متوفر

الكافرين} (الأنفال/ ١٧، ١٨).

وكانت البداية بالمبارزة التمهيدية حيث أمر الرسول ثلاثة من نوي قرياه بالخروج للنزال فصرعوا مبارزتهم، وبدأ هجوم قريش حيث ثبت المسلمون التزاماً بتعاليم الرسول وانضباطاً في السلوك وبالسيطرة على النفس والسلاح، وأخذ النبي يقاتل معهم ويشد من عزيمتهم وذلك في صفوف متراسة فاجؤوا بها عدوهم بأسلوب وتنظيم لم يألّفه المشركون ولا باقي العرب من قبل، بما اعتانوه في الحرب من كر وفر وهو ما زادهم إرهاباً وتدهوراً وعجل بهزيمتهم وفرار من بقي منهم أمام جيش التوحيد الذي ظل يبدر ثلاثة أيام بعد المعركة أمام احتمال عودة القلوب الهاربة لهجوم مضاد.

وهكذا كانت الحال يوم بدر، عدد وعدة وكفة راجحة لمصلحة معسكر الشوك، وكذا كانت الحال دائماً في معارك الإسلام الأولى، وكان للمسلمين الغلبة والنصر بتأييد من الله سبحانه..

أما المواقع التي هُزم فيها المسلمون فكان القصد منها تأديب الغرور، واستخلاص العبرة، وتعليم المقاتل ألا يزهو بنصره ويتعالى بقوته، وينظر بمرآة الغرور بنشوة وخيلاء.

فما أحرانا اليوم أن نستفيد من بدر ودروسها في كيفية إدارة صراعنا مع أعدائنا، خاصة ونحن نواجه من التحديات أكثر وأخطر مما يمكن لأمة أن تقوى على مواجهتها والتغلب عليها.

في قيادتهم، وفوق هذا وذاك فإن قلوبهم متيقنة أنهم إذا ما حققوا النصر فإنما هو ثمرة نصر الله وتأييده علاوة على ذلك.

السماء تستجيب للدعاء:

وظل رسول الله [صلى الله عليه وسلم] يبتهل إلى الله ويتضرع إليه أن ينجز ما وعد، وما زال يستغيث حتى استجاب الله سبحانه لتضرع عباده الصالحين فأنزلت السماء عليهم مطراً شديداً شرب منه المسلمون وتطهروا، وذهبت عنهم وساوس الشيطان أن أعداءهم قد يهزمونهم، وثبتت الرمال تحت أقدامهم فسهل عليهم السير إليهم، ولم يقف الأمر عند هذا الحد بل أمدهم الله بجند من ملائكته أنزوا دعاء الحق، وبثوا الرعب في قلوب أهل الباطل، فهزموهم بإذن الله وهم الأقل عدداً والأضعف عُدّة، وهو قوله تعالى:

{إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِالْفِ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرَدِّينَ} * وما جعله الله إلا بشرى وتطمئنن به قلوبكم وما النصر إلا من عند الله إِنْ اللّٰهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ * إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنْزِلُ عَلَيْكُمْ مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُم رَجَزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ * إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبَّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأَلْتَنِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرِّعْبَ فَأَصْرَبُوا فُوقَ الْأَعْنَاقِ وَاصْرَبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ} (الأنفال/ ٩ : ١٢).

وقوله تعالى: {.. وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى وليبلي المؤمنين منه بلاء حسناً إِنْ اللّٰهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ} * نالكم وأن الله موهن كيد

رمضان في الأدب السعودي المعاصر

للناس من ظلم قسا .. وعداء
** ثم نجد الشاعر الكبير ينادي رمضان باسم
البائسين على أن لهم أملاً كبيراً فيه، حيث البؤساء
ينتظرون الخير في هذا الشهر المبارك فيقول:

رمضان إن البائسين تطلعوا
أملا اليك .. فجد على البؤساء
بالخير تشملهم به وببسمه
يشتاقها العانون للتساء
من ذا أحق بذاك منك وأنت في

عالي الذي متريح ببهاء
الله من مكنت من آلائه
فاشكره - بالنعمة - على الآلاء
فإذا نظرت من المشارف للورى

فرأيت ثم اللهو في الأبهاء
** وللشاعر البديع حسين عرب حضور دائم لدى
مناسبة دينية أو وطنية، ولشهر الصيام عند حسين
عرب انطباع خاص ومبدع
في شعره، فنجد ينادي
شهر رمضان بقوله:

الشرق يرقب في هلاك طالعا
يعنوليه ، الكفر والطغيان
ويك استهام فؤاد كل موحد

يسموبه الإخلاص والإيمان
** ثم يواصل شاعرنا الكبير في ابتداعاته
الشعرية حيث ربط المناسبة الدينية وهي شهر
الصيام بمناسبة وطنية وهي القضية الفلسطينية
فيقول:

أشرق بنورك في الربوع، وكن لها
أملا، يزول بلمحه العنوان
وانكر «فلسطين» الذبيحة، أرضها
مجلى الردى وسماؤها نيران

لشهر رمضان المبارك مركزه العظيم بين
المواسم الاسلامية التي يتجلى الله عز وجل فيها
على عباده بالرحمة والمغفرة والرضوان، ما أقبلوا
عليه ولأنوا به وأنابوا اليه .

وقد تميز شهر رمضان من بين سائر شهور
العام بأنه شهر الفضائل التي يسبغها الله تعالى
على خلقه، ويغمر بها عباده، وأنه شهر الآلاء
الكبرى والأبدى البيضاء التي حبا الله بها البشر،
وأنعم بها عليهم .

ولو لم يكن من فضائل شهر رمضان سوى أنه
كان ظرفاً لنزول القرآن العظيم الذي شرف الله به
الخلق من حيث غدا أعظم منهج خاتم عرفته الدنيا
لكفى . .

القرآن الكريم الذى هو أقوم طريق علوي جمع
الله فيه أطراف الخير وجوهر الحق، و خلاصة ما
يتطلع اليه البشر في مجالات العقيدة والشريعة،
والخلق، والسلوك، والمبادئ والمثل .

ونجد الشعراء السعوديين يتناولون
الصيام وشهر رمضان ما بين
ترحيب بمقدمه وتوديع له مع استقبال العيد، هذا
فضلا عن تناولهم لأخلاقيات المسلم في هذا الشهر
المبارك وسلوكياته التي يجب ان يلتزم بها .

ففي قصيدة «رمضان» للشاعر الكبير محمد
حسن فقي يقول:

رمضان .. ما أدري ونورك غامر
قلبي فصبحى مشرق ومساوى
أنال بعد مثالي ومساوى
بك منهما، بعد القنوط شفائي
ويأتني سائل منك حمايتي
ووقايتي من معضل الأرزاء
ما أنت إلا رحمة ومحبة

وهوى فى الأعــــــــــــــــراض
ينهبشها ويقطع كالحمام
يا ليتـــــــــــــــــه إذ صام صام
عن النمــــــــــــــــائم والحرام
واســــــــــــــــتاك إذ يستاك عن
كــــــــــــــــذب وزور والحرام

* ثم يختم الشاعر السنوسى أبياته هذه بأن
شهر رمضان نجوى مخلصه للمسلمين وفرصة لبث
روح السلام بينهم فيقول:

رمضان نجوى مخلص
للمسلمين وللسلام
تسمو بها الصلوات
والدعــــــــــــــــوات تضطرم اضطرام
لله جل جلاله
ني البر والمعن الجسام
أن يلهم الله الهداة
الرشد فى كل اعــــــــــــــــتزام

ورمضان بالنسبة للغزوى فترة روحية يتصل
فيها العبد بربه ويتخلص من عبودية المادة.
ليت هذا العام كله شهر صوم
وخشوع وخشية واقتراب
تتسامى الأرواح فيه انطلاقا
فى رضاء المهيمن التواب
انما الصوم جنة وهو دُرَّة
من سقام وعصمة من عذاب
ينضج الخير ما أطل علينا
ويعيد الرشاد للألباب
أصبح الناس صائمين وكل
قــــــــــــــــانت خاشع تقى منيب
ذاكر شاكر سميع مطيع
وبه خشية وفيه وجيب

فجر اليهود بها، وزاد فجورهم
مستعمر، بعهوده خوان
دارت عليها الدائرات فأنصبت
ينساب فيها، البؤس والأحزان
شيخ تخضب بالدماء، ومصلح
ينفى، وحام للنمار يهان
وفتى يعذب فى السجون، وغادة
تُسبى، وطفل دمعه هتان
* أما الشاعر محمد بن على السنوسى «رحمه
الله» فقد تناول شهر رمضان فى شعره بإبداع
حيث تناوله بأنه أمل النفوس الظامنة الى السلام
وأنه نور من الفرقان آياته تشفى السقام. . . يقول:
رمضان يا أمل النفوس
الظامــــــــــــــــات إلى السلام
يا شهر بل يا نهر ينهل
من عــــــــــــــــنوتيه الأنام
طافت بك الأرواح سباحة
كأسراب الحمام
* ومنها:

سور من الفرقان يرفعها
إلى أسمــــــــــــــــى مقام
آياته تشفى السقام
ولفظه يطفى الأوام
رمضان معذرة فلنا
لا وراء ولا أــــــــــــــــمام
* ثم نجد الشاعر محمد على السنوسى يتناول
حديث رسول الله (صلى الله عليه وسلم) القائل . .
ليس الصيام عن الطعام والشراب، وإنما الصيام
عن اللغو والرفث . . الحديث . . يتناول هذا
حديث الشريف فى أبياته فيقول:
رمضان رب فم تمنع
عن شــــــــــــــــراب أو طعام
ظن الصيام عن الغذاء
هو الحقيقة فى الصيام

شهر الأمنيات

أشرق النور هلالاً من حنايا الداجيات
يحمل البشري رجاء للنفوس القانطات
فينير الروح صفواً كالدراري الزاهرات
يتجلي الحق فيه للقلوب الطاهرات
والمعاني فيه تسمو عن وضيع الرغبات
والأمانى في شذاها كالزهور اليانعات
رمضان شهر طهر وشعار الطيبات

* * *

أنت يا شوق الأمانى للرياض الخالدات
أنت لي انسام عطر كالورود الناضرات
أنت لي نور يقيني من صنوف المويقات
أنت لي مصباح فكر يرتقي للسابحات
يهتدي فيك انطلاقي للأمور المعجزات

* * *

فيك يحلو نكر أي وابتهاال في الصلاة
والتساييح اشتياق وعناق الصالحات
في ثنایا العشر يخفى كنز كل الأمنيات
ليلة القدر تجلى للقلوب الزاكيات
تنزل الأملاك والروح بانوار الهبات
من لدن رب كريم خالق للكائنات

أهلاً رمضان

رمضان شهرك بالأفضال متصل
فيك الثواب ، وعنك الشر مرتحل
من صامه بتقى ، جاء الخير ينهمل
إن في لياليك للديان يبتهل

فيك الملائك بالقرآن قد نزلوا
آياته لجميع الخلق تشتمل
بشرى لمن صامه ، بشرى لمن بذلوا
بشرى لمن من عطاء الله قد نهلوا

في ليلة القدر يأتي الخير والامل
وكانها ألف شهر كلها عمل
فيها السلام وفيها الامن لا الوجل
فالخير منطلق ، والشر معتقل



الصوم والصحة

صوموا
تصوموا:

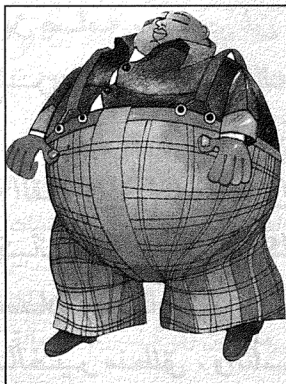
بقلم:
د. هادي الدين
لبنية
المدينة
المنورة

الفضيل بما فيه عدم
الأسراف في تناول
الطعام والشراب
والاقلال من وجود
أطباق الأغذية الغنية
بالسكريات والدهون
على مائدة الطعام والتعجيل بالفطر
وتأخير السحور.

في حالة عدم تحمل سكر الجلوكوز:

اهتمت الديانات السماوية بشؤون
حياة الانسان واختص الإسلام
بالشمول فطلب ما يستحق أن يطلب
لما فيه الفائدة وأباح ما فيه عوناً له
على فعل ما فرض عليه من واجبات
وليس في الدين الإسلامي ما يمكن
القول ليت أنه لم يطلب هذا أو لم ينه
عن هذا أو لم يحل هذا، وفرض صوم
شهر رمضان كأحد الأركان الخمسة

للإسلام، والصيام
نظام حياتي
يمارسه المسلم في
رمضان يجب
التزامه بأدابه
لتحقيق المنفعة
المرجوة منه روحياً
ونفسياً وصحياً
وتقليد سلوك
المسلمين الأوائل
في هذا الشهر

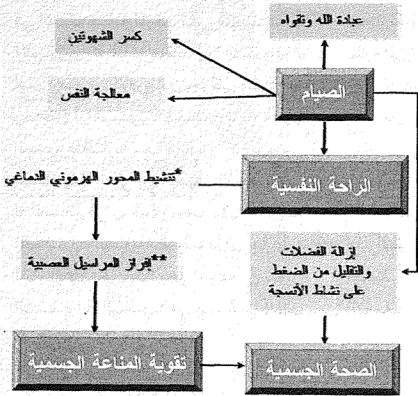


اصطلاح الأطباء
تسمية ارتفاع مستوى
السكر في الدم بين
١٠٧ و ١٢٠ ميلي
جزيين/ليتر أو بين
(١٢١ و ١٨٠ ملجم/
١٠٠ ملليتر) بعد
امتناع عن الطعام
خلال الليل، وبين ٧٨
و ١١٠ ميلي جزيين/ ليتر
أو بين (١٤٠ و ١٩٨
ملجم/ ١٠٠ ملليتر)

بعد ساعتين من تناول الطعام بحالة عدم تحمل سكر الجلوكوز وينتشر حدوثها بين الأشخاص زائدي الوزن وتحسن هذه الحالة باتباع حمية غذائية قليلة السعرات الحرارية وخلال ساعات الصوم وقد يخفى عندما يتخلص المريض من وزنه الزائد، لكنها تسوء في رمضان عند اسراف المريض في تناول أصناف الطعام وألوانه بين الافطار والسحور.

تأثيراته على الصفحات الدموية:

يعاني بعض مرضى القلب زيادة في قابلية الصفحات الدموية لديهم على التجمع والالتصاق ببعضها وتكوين الخثرات الدموية التي قد تسبب حدوث انسداد في أحد الشرايين الدموية الكبيرة في الجسم وظهور أعراض صحية خطيرة؛ ولقد أجرى فريق من الأطباء مؤلف من الدكتور محمود كردي وزملائه بقسم علم الوظائف - Physiol



ميكانيكية تقوية الصيام للجهاز المناعي في الجسم

*Hypothalamic - pituitary - adrenal (HPA) axis
 **Serotonin, Norepinephrine, Acetylcholine, Dopamine etc.

ogy بكلية الطب جامعة الملك/ سعود دراسة حول تأثيرات صوم رمضان على سلوك الصفحات الدموية في ٣٢ متطوعاً صحيح الجسم، ويؤثر الاجهاد الذي يتعرض له جسم الانسان على وظيفة الصفحات الدموية في التجمع وانحلال الليفين ويسبب الصوم في الطقس الحار مع العمل الشاق خلاله حدوث حالة الاجهاد في

على وزن جسم الانسان أجرى الدكتور حامد تكروري بقسم التغذية وعلوم الأغذية بكلية الزراعة في الجامعة الأردنية في عمان دراسته على ١٣٧ شخصاً بالغاً (٩١ ذكراً و٤٦ أنثى) تراوحت أعمارهم بين ١٩ و٥٩ سنة، نشرتها المجلة الطبية السعودية في ١٩٨٩م اكتشف فيها حدوث نقص في أوزانهم في نهاية شهر رمضان، ولاحظ أن هذا النقص بين زائدي الوزن كان اكبر في النصف الأول من شهر رمضان عنه في النصف الثاني منه، وبلا شك فان هذه النتائج خاصة بأشخاص لهم عاداتهم الغذائية الخاصة في شهر الصوم، ويختلف ذلك عما يحدث لآخرين في بلد إسلامي آخر يحولون معظم نهارهم في رمضان إلى نوم وكسل ويسهرون خلال لياليه وتكون موائد طعامهم عامرة بما لذ وطاب ومفتوحة بين غروب الشمس والسحور.

همية غذائية قليلة السعرات (مقترحة):

- * وجبة افطار رمضان:
- ٥ حبات من البلح أو التمر
- ربع دجاجة أو ١٥٠ جم من اللحم بدون عظم أو سمك.
- صحن خضروات سلطة (خيار - خس - بندورة).

الجسم، واكتشف أولئك الباحثون انخفاضاً في استجابة المركب ثاني فوسفات الأدينوزين A D P بمقدار ٢ ميكروغرام/ليتر وهرمون الأدرينالين ومركب الكولاجين وحمض أراشيدونيل للجمع اثناء شهر الصوم بالمقارنة مع الشهور الأخرى من السنة، وهذا يعني أن الاجهاد الذي يتعرض له الصائم في رمضان كما يظهره تجمع الصفحات الدموية يقل معدله عن ما عليه أثناء أيام الفطر وهذا يعني قلة فرص تكوين الخثرات الدموية في مرضى القلب الصائمين خلال شهر رمضان.

في علاج البدانة:

هناك اعتقاد شائع بين عامة الناس أن صوم شهر رمضان يفيد في انقاص وزن الجسم ويتحقق ذلك عند اتباع الصائم التعاليم الإسلامية في الصوم بما فيها الاعتدال في تناول الطعام والشراب والاكتفاء بوجبتين خفيفتين من الطعام عند الافطار والسحور والابتعاد عن تناول أطباق الحلويات والأغذية الأخرى التي توفر سعرات حرارية كثيرة وممارسة نشاط عضلي بشكل كاف لصرف جزء من الطاقة عوضاً عن تخزينها في أنسجة الجسم على شكل دهون، وحول تأثيرات صوم رمضان

- نصف رغيف خبز
صغير أو ١٠ ملاعق
طعام من الأرز
المطبوخ أو البرغل أو
المكرونه أو حبة
بطاطس كبيرة.

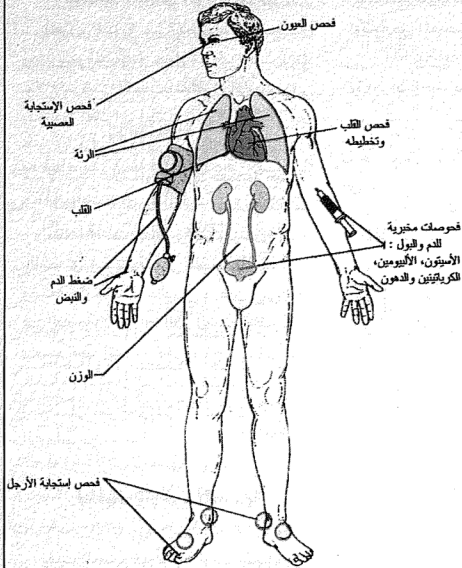
- ١٠ ملاعق طعام
خضروات مطبوخة.

* وجبة السحور:
- كأس لبن زبادي
أو حليب أو لبن رائب
(ربع لتر) فاكهة
واحدة برتقاله أو
تفاحة أو كمثرى أو
موزة.

أمراض الجهاز الهضمي:

يكون الجهاز
الهضمي من أكثر

أجزاء جسم الانسان تأثراً في شهر الصوم
فخلاله يرتاح الفم والمعدة والامعاء من العمل
أثناء ساعات الصوم، واكتشف الأطباء
فائدة الصيام في تخفيف حدة بعض
أمراض الجهاز الهضمي كالت التهابات المعدة



على الصائم المصاب بالسكري أن يراجع طبيبه لإجراء المزيد من الفحوصات
المخبرية والسريية بشكل دوري.

وعسر الهضم وغيرها، لكن لابد من
التأكيد على أهمية عدم الاسراف في تناول
الطعام والشراب بأنواعها بين الافطار
والسحور لتحقيق الفوائد الصحية المرجوه
من الصوم.

التهاب المفاصل الروماتيزمي:

أجرى فريق من الأطباء النرويجيين تجاربهم العلمية حول فوائد الصوم في علاج مرضى التهاب المفاصل الروماتيزمي ودرسوا تأثيرات امتناعهم عن الطعام بين ٧ و ١٠ أيام وتناولهم بعد ذلك أغذية نباتية فترة سنة، فلاحظوا حدوث تحسن ملحوظ في الحالات المرضية التالية ضعف المفاصل ، وانتفاخ المفاصل ، والشكوى من الألم ، والشعور بخشونة في المفاصل صباحاً وضعف قوة المسك باليدين ومعدل الترسيب في الدم وعدد كريات الدم البيضاء للمرضى وتفيد هذه الدراسة في فتح المجال أمام علماء المسلمين لدراسة تأثيرات صوم رمضان على مرضى التهاب المفاصل الروماتيزمي.

تخفيف الرغبة الجنسية:

يفيد الصوم في تقوية ارادة المسلم على مجاهدة نفسه والابتعاد عن اتيان المعاصي والتفكير بها، ويساهم شعور الصائم بالوهن والضعف في جسمه أثناء ساعات النهار في تخفيف حدة رغبته الجنسية وينصرف جُلُّهم إلى اشباع غريزتي الجوع والعطش لديه، وجاء في صحيح البخاري قول الرسول (صلى الله عليه وسلم) «يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه اغض للبصر وأحصن للفرج، ومن لم

يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء» - أي وقاية من المعاصي.

وهناك حاجة لاجراء دراسات علمية حول تأثيرات الصوم على مستويات الهرمونات في الجسم لاكتشاف دورها في سلوك المسلم خلال شهر رمضان.

فوائده النفسية:

لقد فرض الله تعالى الصوم وفيه يمسك المسلم عن المفطرات من طلوع الفجر الى غروب الشمس طاعة وامتنالاً لأمره وطمعاً في نيل الأجر والثواب في دار الآخرة، وفي ذلك اطمئنان للقلوب وراحتها لوعده الله عز وجل، وهناك أحاديث عديدة تذكر فضل الصيام، فروى الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): قال الله عز وجل (كل عمل ابن آدم له إلا الصيام فإنه لي وأنا أجزي به والصيام جنة)، وقال أبو عبيد: انما خص الله تبارك وتعالى الصوم بأنه له وهو يجزي به وإن كانت أعمال البر كلها له وهو يجزي بها لأن الصوم ليس يظهر من ابن آدم بلسان ولا بفعل فتكتبه الحفظة إنما هو نية في القلب وامساك عن حركة المطعم، وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال: «لا يصوم عبد يوماً في سبيل الله إلا باعد الله بذلك اليوم النار عن وجهه سبعين خريفاً» رواه الجماعة إلا أبو داود.

أمراض تضاد الصيام:

اكتشف الأطباء وجود حالات مرضية تضاد الصيام أهمها:

- * عند دخول المريض المستشفى لعلاج الحالات الحادة لعلل صحية أملت به، مثل القرحة المعدية والمغص الكلوي أو المعوي وداء النقرس والذبحة الصدرية واحتشاء العضلة القلبية.

- * في المراحل المتقدمة لمرض الكبد مثل التليف الكبدي المصحوب بالحين ASCITES
- * مرضى السكر عند عدم نجاحهم في ضبط مستوى سكر الدم قريباً من حدوده الطبيعية.

- * عند اجراء عملية جراحية للمريض.
- * عند تعاطي المريض أدوية بشكل منتظم وعدم توفر ما يؤخذ منها عن طريق الحقن بالعضل أو تحت الجلد مثل مضادات تخثر الدم وموسعات الأوعية الدموية.

- * عند الإصابة بالسرطان.
- * في المرضى الذين يعانون من حالات فرط افراز هرمون الأنسولين ونتيجة أورام في البنكرياس أو تناول أدوية معينة.
- * في حالات انخفاض سكر الدم التفاعلي.
- * عند الإصابة بأمراض مثل البرداء

(الملاريا) والكوليرا والدوسنتاريا.

- * عند حدوث أمراض تزداد شدتها نتيجة الصوم مثل حالات فقر الدم الشديد وسوء التغذية.

نصائح:

يمكن تحقيق الفائدة المرجوة من الصوم عند الالتزام بأدابه التي تشمل ما ذكره بعض السلف مثل:

- التعجيل بالافطار عند غروب

الشمس.

- أن يوفر طعام الإفطار احتياجات الجسم من العناصر الغذائية الضرورية بعد ساعات الصوم.

- تأخير السحور وتناول طعام فيه يوفر طاقة كافية لخلايا الجسم والكبد لاستخدامها خلال ساعات النهار.

- الاقلال من تناول الطويات والأغذية الدسمة لما توفره من سعرات حرارية كثيرة قد تسبب له التخمة وعسر الهضم.

- الابتعاد عن تناول الأغذية الملحة كالمخللات اثناء وجبة السحور خاصة لأنها تزيد الشعور بالعطش خلال ساعات الصوم.

الجنة بابا يقال له الريان يدخل منه الصائمون يوم القيامة لا يدخل منه أحد غيرهم فإذا دخلوا أغلق فلم يدخل منه أحد} (رواه البخاري ومسلم والنسائي والترمذي).

* وعن أبي سعيد رضي الله عنه قال:

قال رسول الله

{صلى الله عليه

وسلم}: {ما من

عبد يصوم يوما

في سبيل الله تعالى إلا باعد الله بذلك

اليوم وجهه عن النار سبعين خريفا} (رواه

البخاري ومسلم والترمذي والنسائي).

* عن أبي هريرة رضي الله عنه عن

النبي {صلى الله عليه وسلم} قال: {من قام

ليلة القدر إيماناً واحتساباً غُفر له ما تقدم

من ذنبه، ومن صام رمضان إيماناً

واحتساباً غُفر له ما تقدم من ذنبه} (رواه

البخاري ومسلم، وأبو داود والنسائي،

وإين ماجه مختصراً.

* وعن سلمان رضي الله عنه قال:

{خطبنا رسول الله {صلى الله عليه وسلم}

في آخر يوم من شعبان قال: يا أيها

الناس قد أظلكم شهر عظيم مبارك، شهر

فيه ليلة خير من ألف شهر، شهر جعل الله

صيامه فريضة، وقيامه له تطوعاً، من

* روى عن ابن عمر رضي الله

عنهما قال: قال رسول الله {صلى

الله عليه وسلم}: {الأعمال عند الله

عز وجل سبع: عملان موجبان،

وعملان بأمثالهما، وعمل بعشر

أمثاله، وعمل

بسبععمائة،

وعمل لا يعلم

ثواب عامله

إلا الله عز وجل ، فأما الموجبان:

فمن لقي الله يعبدده مخلصاً لا

يشرك به شيئاً وجبت له الجنة، ومن

لقى الله قد أشرك به وجبت له النار،

ومن عمل سيئة جُزي بها، ومن أراد

أن يعمل حسنة فلم يعملها جُزي

مثلاً، ومن عمل حسنة جُزي عشرًا

ومن أنفق ماله في سبيل الله ضعفت

له نفقته: الدرهم بسبععمائة، والدينار

بسبععمائة، والصيام لله عز وجل لا

يعلم ثواب عامله إلا الله عز وجل {

رواه الطبراني في الأوسط

والبيهقي}.

* وعن سهل بن سعد رضي الله عنه عن

النبي {صلى الله عليه وسلم} قال: [إن في

بشرى للصائمين

باختصار عنهما).

* وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله {صلى الله عليه وسلم} قال: [إذا جاء رمضان فتحت أبواب الجنة، وغلقت أبواب النار، وصُفدت الشياطين] (رواه البخاري ومسلم).

* وعن أبي هريرة رضي الله عنه أيضاً أن النبي {صلى الله عليه وسلم} كان يصوم الإثنين والخميس، ف قيل: يارسول الله إنك تصوم الإثنين والخميس، فقال إن يوم الإثنين والخميس يغفر الله فيهما لكل مسلم إلا مُهْتَجِرَيْن يقول: دعهما حتى يصطلحا] (رواه ابن ماجه، ورواته ثقات).

* عن أبي قتادة رضي الله عنه قال: سئل رسول الله {صلى الله عليه وسلم} [عن صوم يوم عرفة قال: يُكْفَرُ السَّنَةُ الماضية والباقية] (رواه مسلم).

* عن أبي قتادة رضي الله عنه أن رسول الله {صلى الله عليه وسلم} سئل عن صيام يوم عاشوراء فقال: [يكفرُ السَّنَةُ الماضية] (رواه مسلم).

[رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ] (سورة البقرة/ ٢٠١).

[رَبَّنَا ءَامِنًا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ] (سورة المؤمنون/ ١٠٩).

تقرب فيه بخصلة من الخير كان كمن أدى فريضة فيما سواه، ومن أدى فريضة فيه كان كمن أدى سبعين فريضة فيما سواه، وهو شهر الصبر، والصبر ثوابه الجنة، وشهر المواساة، وشهر يُزَادُ في رزق المؤمن فيه، من فطَّر فيه صائماً كان مغفرة لذنوبه وعتق رقبته من النار، وكان له مثل أجره من غير أن ينقص من أجره شيء. قالوا يارسول الله: ليس كلُّنا يجد ما يفتقر الصائم، فقال رسول الله {صلى الله عليه وسلم}: يُعْطِي الله هذا الثواب من فطر صائماً على تمر، أو على شربة ماء أو مذقة لبن، وهو شهر أوَّلُه رحمة، وأوسطه مغفرة، وآخره عتق من النار، من خفف عن مملوكه فيه غفر الله له، وأعتقه من النار، واستكثروا فيه من أربع خصال: خصلتين ترضون بهما ربكم، وخصلتين لا غناء بكم عنهما، فأما الخصلتان اللتان ترضون بهما ربكم: فشهادة أن لا إله إلا الله، وتستغفرونه، وأما الخصلتان اللتان لا غناء بكم عنهما: فتسألون الله الجنة، وتعدون به من النار، ومن سقى صائماً سقاه الله من حوضي شربة لا يظلم حتى يدخل الجنة] (رواه ابن خزيمة في صحيحه، ثم قال صح الخبر، ورواه من طريق البيهقي، ورواه أبو الشيخ ابن حبان في الثواب

للشاعر:
يس قطب الفيل
- مصر -

رمضان .. بالحب تأتي

بالحب تأتي، وبالإيمان تألق
وبالهداية فوق الأرض تنطلق
تأتي .. فتوقظ من ضلت مشاعرهم
ومن تردوا، وفي آثامهم غرقوا
تدعو إلى الله في صمت، تحيط به
سكينة ، من زوايا النفس تنبثق
في كل عام - إذا ما جئت - تحملنا
إلى السماوات آمال ، بها نثق
وحين ترحل عنا .. والفراق لظى
نظل عامما بنار الشوق نحترق
نظل ننتظر اللقيا ، على أمل
أن لا تحيد بنا عن غاية طرق

شهر الصيام .. على الإيمان تجمعنا
فلا يطيش بنا في لحظة نزق
نننوا من الله شهرا ، ليس يعدُّه
في العام شهر ، لمن في صومهم صلوا

ونستحي من خطايانا وقد كثرت
ويسـتـبـد بنا في ليلنا أرق
ونطرق الباب ، تستجدي مشاعـرنا
من يستجيب ، لمن أبوابه طـرقوا
ونحن في كل ما نأتيه ، يؤلنا
أنا على الشوق يوما سوف نفتـرق

شهر الصيام .. وهذي أمة جمحت
والثوب من حولها عاثت به فرق
والخوف والجوع والإملاق أرقها
والناصرحون لها مما رأوا صـُـعـقوا
شهر الصيام .. تعالى الله خالقنا
ما شاء كان ، وحر الحانق اللبق
فانقل إلى الملأ الأعلى توجـعنا
لأمة لم يعد في رشدها رـمـق
وكن لنا سندا فوق الصراط غدا
إذا تمايل ساق .. والتوت عنق
وعـد كما أنت نبراسا يضيء لنا
وكن إلى النور بابا ليس ينغلق

السواك .. مظهرة للفم مرضاة للرب!

السواك .. في معامل البحث

الاعتراف بقيمته الصحية وتفوقه، بل لملي
أعده من أرقى وسائل تنظيف الأسنان..
وما هي تجاربي تؤكد على احتوائه على
مركبات قاتلة للميكروبات تشابه في تأثيرها
فعل البنسلين».

ونقرأ لغير العالم الألماني، أنهم في جامعة
منيسوتا الأمريكية أجروا دراسة مسحية
للتعرف على الوضع الصحي لأفواه مجموعة
كبيرة من الزنوج المسلمين،
ظهر منها أن هؤلاء الذين
يستعملون السواك سليمو
الأسنان واللثة مقارنة بمن
يستعملون الفرشاة

بقلم:

د. فوزي عبد القادر الفيثاوي

كلية الزراعة - جامعة أسيوط - مصر -

والمعجون.

شاهد آخر (من أهلها) هو الباحث الطبي
«كينيث كيويديل»، يقف أمام المؤتمر الثاني
والخمسين للجمعية الدولية لأبحاث الأسنان،
في أتلانتا الأمريكية، معلناً: «إن عديداً من
التجارب العلمية تثبت بما لا يدع مجالاً للشك،
وجود مادة تمنع تسوس الأسنان ضمن
مكونات السواك، كما تؤكد الدراسات المسحية
تمتع مستعملي السواك بأسنان صحية قوية،

الباحث الألماني «رودات» مدير معهد
الميكروبيولوجيا والأوبئة بجامعة «روستوك»
الألمانية تجربة مثيرة بحدثنا عنها فيقول:
«قرأت ذات مرة كتاباً لرحالة أوروبي
يصف أسفاره ومشاهداته في بعض البلدان
العربية والإسلامية، وقد استلقت نظري
سحريته اللاذعة من أهل هذه البلاد الذين
ينظفون أسنانهم - في القرن العشرين -

بقطعة من الخشب يسمونها
(السواك Siwak) ..

وعلى خلاف ما يوحي به
أسلوبه الساخر الجارح،
فقد قفز في ذهني فجأة

سؤال جاد وحيوي: ترى أكون وراء هذه
القطعة الخشبية حقيقة علمية باهرة؟ لشد
ما أتمنى إجراء بحوث علمية ودراسات على
فرشاة الأسنان العربية تلك!! ولحسن الحظ،
لم يمض وقت طويل حتى تحقق ما تمنيت،
اذ هُيئت لي الفرصة كي أفحص السواك
وأخضعه لسلسلة من تجاربي الكيميائية
والميكروبيولوجية.. واليوم لا يسعني إلا

قليلة - ما بين علل الأفواه، وعلل الأبدان من صلات قوية لا ريبه فيها . ألم يكشفوا النقاب مؤخراً عن مخاطر البؤر الصديدية العفنة بالأفواه المعتلة، حينما تنساب ميكروباتها وسمومها - عبر تيار الدم - إلى سائر أعضاء البدن فتصيبها في الصميم؟ هذا كله صحيح، فهم كثيراً ما يحدثننا عن آثار تلك البؤر وهي تمتد بخطرهما الى العيون والجيوب الأنفية، ويذكرون أيضاً أنها قد تسبب التهابات في الأغشية المخاطية المبطنة للمعدة، أو ينشأ عنها التهاب في القولون والزائدة الدودية، وربما تقرح بسببها الاثنى عشرى، أو التهاب المرارة والرتتان والكليتان، وكذلك يصاب الجلد . واذ يستفحل ضررها تعتل مفاصل البدن ويكون من وراء ذلك ألم شديد .

وقصارى القول، فان الضريبة التي تفرضها علل الفم والأسنان على سائر أعضاء البدن تكون باهظة في كثير من الأحيان . واذن فلم يكن غريباً على دين يعد المؤمن القوي (فى كل أحواله) هو الأحب الى الله من المؤمن الضعيف، أن يوجه بعض عنايته الى سلامة وصحة أفواه المسلمين، ضماناً لسلامة أبدانهم وحفظاً لعافيتهم .

وهكذا وجدنا فى الاسلام، فضلاً عن المضمضة اللازمة لغسل الغشاء المخاطي للحلق والزور، وهى التى تعتبر جزءاً من الوضوء الذى يسبق الصلوات الخمس اليومية، رأينا النبي (صلى الله عليه وسلم) يحض

مما شجع العديد من شركات الأدوية والمستحضرات الطبية، على انتاج معاجين جديدة للأسنان مزودة بخلاصة السواك الطبيعية، تلك شهادات بعض الباحثين من أهل الاختصاص . . ولا تزال شهادات أخرى كثيرة تتوالى . . ولا تزال معجزة السواك - فى قلب معامير البحث - تتفجر!

معجزة السواك ..

هدية الاسلام إلى الناس:

الاسلام، كما جاء به الرسول صلوات الله وسلامه عليه، دين ودنيا، ثم هو عطاء حضارى متجدد، سبق زمانه بعدة قرون . . فهو في كل عصر يومض فى العقل البشرى ومضات مضيئة هادية، تبهر ألباب الأبعدين والأقربين وتتلج صدور المؤمنين . وما نحن اليوم فى حضرة احدى هذه الومضات المعجزة . . أجل، فالسواك - وهو هدية الاسلام الصحية الى الناس - هو بلا ريب معجزة صحية شاء المولى عز وجل أن تتفجر بعد ألف وأربعمائة عام من حديث المصطفى (صلى الله عليه وسلم) وهذا حق، ففي معرض حرص الاسلام على صحة الأبدان، لفت الرسول (صلى الله عليه وسلم) أنظار المسلمين - على نحو غير مسبوق - إلى العناية بنظافة الفم والأسنان، فى عشرات الأحاديث الشريفة . وهو أمر مازال يثير دهشة وعجب أطباء الأسنان والباحثين من أهل الاختصاص، وهم الذين عرفوا - منذ سنوات

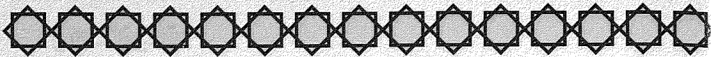
فان السواك مطهرة للفم مرضاة للرب» (رواه البخاري). وتقول أيضا (رضي الله عنها): «ما زال النبي (صلى الله عليه وسلم) يذكر السواك حتى خشيت أن ينزل فيه قرآن» (الامام الطبراني في الكبير). وجاء في صحيح مسلم، عنها (رضي الله عنها): «أن النبي (صلى الله عليه وسلم) كان اذا دخل بيته بدأ بالسواك». وأخرج الطبراني في معجمه، عن زيد ابن خالد الجهني قال: «ما كان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يخرج من بيته لشئ من الصلوات حتى يستاك». وعن عامر بن ربيعة قال: «رأيت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ما لا أحصى يستاك وهو صائم» (رواه أصحاب السنن وابن خزيمة). وأخرج البخاري عن أنس بن مالك، أن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال: «لقد أكثرت عليكم في السواك» وعن ابن عباس «أنه صلى الله عليه وسلم كان يستاك من الليل مرارا» (رواه الامام أحمد). وأخرج الامام أحمد في مسنده، عن ابن عباس قال: «لم يزل يأمرنا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بالسواك حتى ظننا انه سينزل عليه فيه شيء». وعن ابن عباس قال: «كان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يصلي بالليل ركعتين ركعتين ثم ينصرف فيستاك» (رواه الامام النسائي وابن ماجه والحاكم وصححه على شرطهما). وعن أبي أمامة أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال: «تسوكوا فان السواك مطهرة للفم مرضاة للرب، ما جاعى

المسلمين على استعمال السواك في تنظيف الأسنان وإزالة ما يعلوها أو يتخللها من فضلات الطعام التي تؤدى عند تحللها وتعفنها لكثير من العلل والأدواء. وسوف يلحظ الناظر فى عشرات الأحاديث النبوية إحاطة واسعة بأمر صحي بشكل دقيق ومعجز، فى حقبة من الزمان لم تكن المعارف الطبية المتداولة قد عرفتة أو سمعت به.

السواك .. سنة وبركة وخير:

ربما لا نجاوز الحقيقة اذا قلنا إن السواك لم يكن ليفارق النبي (صلى الله عليه وسلم) فى كل أحواله... فى غدوه ورواحه... فى يقظته ومنامه... وفى ليله ونهاره. وعلى ذلك كان أصحابه (صلى الله عليه وسلم)، حتى أنهم كانوا يروحون والسواك على آذانهم... وفى ذلك يقول أبو سلمه: «رأيت زيدا يجلس فى المسجد وإن السواك من أذنه موضع القلم من أذن الكاتب، وكلما قام الى الصلاة استاك» (نصب الراية للإمام الزليعي).

وها هو أبو هريرة رضي الله عنه - وقد وعى توجيه النبي وحته الدائم على الاستياك - يقول: «لقد كنت أستاك قبل أن أنام وبعدما أستيقظ وقبل ما أكل وبعدما أكل حين سمعت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يقول ما قال...» والآن، ماذا يقول النبي (صلى الله عليه وسلم) عن فضائل السواك ومكرماته؟ عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، أن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال: «تسوكوا



ويرضى الرب، ويعجب الملائكة، ويكثر الحسنات».

ولا ريب أن ذلك كله، انما يدعوننا أن نسأل أهل العلم والباحثين من رجال الاختصاص عن ذلك السر الخفي، الذي أودعه الله في بنية السواك وتركيبه، فاستحق به ما ذكرنا من تكريم عطر وثناء... أجل فلنسألهم... (يكون السر حقاً فيما عرفتوه عنه من روعة البناء، وما يحويه من نافع مركبات الكيمياء؟).

في معامل البحث: السواك تحت المجهر:

إن أول ما يخبرنا به رجال العلم عن السواك، هو أنه يجلب عادة من شجرة خاصة تنتمي للفصيلة السلفادورية، تعرف بالأراك، اسمها العلمى (سلفادورا برسيكا). وهذا بعينه هو سواك النبي (صلى الله عليه وسلم) الذي يحدثنا عنه ابن مسعود رضي الله عنه فيقول: «كنت أختبئ لرسول الله (صلى الله عليه وسلم) سواكاً من أراك». وكذلك يقول أبو خيرة الصباحي: «كنت في الوفد فزودنا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بأراك وقال استاكوا بهذا».

ونعود نسأل العلماء عن شجرة الأراك: ما صفتها؟ ونعرف أنها مما يكثر في الأودية الصحراوية ويقل في الجبال، أما الأجواء الحارة والاستوائية فهي مناخ نموها الأمثل، ولذا توجد في مناطق عديدة بالملكة العربية السعودية مثل عسير وأبها وجيزان، وكذلك توجد في السودان واليمن وإيران وشرق الهند

جبريل إلا أوصاني بالسواك حتى لقد خشيت أن يفرض عليّ وعلى أمتي ولولا أني أخاف أن أشق على أمتي لفرضته عليهم، وإني لأستاك حتى خشيت أن أحفي مقاديرهم» (رواه ابن ماجه). وعن أبي هريرة، عن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال: «لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة» (رواه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه والامام أحمد). وقد روى ابن حبان في صحيحه عن عائشة رضي الله عنها، أن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال: «لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك مع الوضوء عند كل صلاة». ويعلق الفقهاء على ذلك، بأن المنفى إنما هو فرضية الاستياك خوف المشقة، ثم هم يجمعون على سنته عند كل صلاة. وحول هذا المعنى يقول الامام ابن قدامة في كتابه (المغنى في الفقه): «واتفق أهل العلم على أنه سنة مؤكدة لحث النبي (صلى الله عليه وسلم) ومواظبته عليه وترغيبه فيه ونديه اليه وتسميته اياه من الفطرة». وفي معرض الحديث عن السواك ومآثره، نقرأ في كتاب (زاد المعاد في هدي خير العباد) للامام ابن القيم «أن السواك يطلق اللسان، ويمنع الحفر، ويطيب النكهة، ويبقي الدماغ، ويشهي الطعام، ويطيب الفم، ويشد اللثة، ويقطع البلغم، ويجلو البصر، ويصح المعدة، ويصفي الصوت، ويعين على هضم الطعام، ويسهل مجاري الكلام، وينشط للقراءة والذكر والصلاة، ويطرده النوم،



خشبي، وكما يبدو، فهما يشكلان الجزء الخارجي الواقى، الذى يحمى بداخله طبقة الألياف الداخلية حيث روعة البناء. فالألياف هنا مرتبة بنظام دقيق فى حزم متراصة الى جوار بعضها البعض، وفى كل حزمة تتراص عشرات الليفات الدقيقة، ليصنع الجميع أروع فرشاة أسنان بشهادة أهل الاختصاص. هل تصدق؟ مازال خبراء صناعة فرشاة الأسنان - حتى اليوم - يحاولون تقليد السواك كفرشاة، ويسعون بهمة للإفادة من خصائص أليافه السيليولوزية المدهشة فى صناعة شعيرات الفرشاة!

سائل يسأل عن العلة، ونقول بأن الروعة الحقيقية فى بناء الألياف تكمن فى صفتين اثنتين لا نظير لهما، وهما: قوة البناء، ومرونته فى نفس الوقت. فالألياف على درجة من القوة تكفى لتنظيف الأسنان وإزالة ما يلتصق بسطحها من طلع جراثيمية، بغير أن تؤذى اللثة أو تدميها. هذه واحدة، والثانية أنها على قدر من المرونة يكفى للولوج بسهولة بين الأسنان وفى الشغرات، بغير أن تتعرض للتقصف والتكسير.

وصفوة القول، ان السواك يعد - من وجهة النظر البنائية - أفضل منظف ميكانيكى، وليس أفعل لصحة اللثة والأسنان والأفواه من منظف ميكانيكى كفاء السواك. هكذا يقول باحثو

وفى بعض نواحي مصر كالوجه القبلى وشبه جزيرة سيناء. والأراك شجرات جميلة دائمة الخضرة طول العام، قصيرة من حيث الطول ولا يزيد قطر جذعها عن قدم واحد، وأطرافها مغزلية، أما أوراقها فلامع سطحها، وهى تخرج زهراً أصفر اللون مشرباً بخضرة محببة. ومن الزهر يخرج ثمر يؤكل، وهو بحجم حبات الحمص.

لكنكم وصف للأراك، فماذا عن السواك؟ إنه يؤخذ عادة من جنور الشجرة وهى بنت عامين أو ثلاث، وقد يؤخذ من أغصانها أيضاً، وإذا ذاك يكون جافاً وربما أخضر يتميز برائحة طيبة وطعم مميز، ولكن لا بد من تجفيفه، ثم يحفظ فى مكان جاف لا تصله الرطوبة، إلى أن يجهز للاستعمال الشخصى. ويلزم عند تجهيزه نقع طرفه فى الماء بعض الوقت، ثم يدق حتى تسقط قشرته الخارجية وتتباعد أليافه، فيبدو عندئذ كآله فرشاة. وإن شئت الدقة قل: إنه أفضل وأكمل فرشاة عرفها الانسان. وهو قول لا نسوقه جزافاً، بل هكذا أثبت العلماء، وقيمون الدليل على صحته من تحت المجهر، حينما يفحصون قطاعاً عرضياً منه.

ها هو السواك يبدو أمام الفاحصين، وكأن الله قد هياه على أكمل وجه وأحسنه لتنظيف وحماية الأفواه والأسنان. ففى القطاع المعروض، يلحظ الرأى ثلاث طبقات متعاقبة: واحدة من نسيج فلبى، وأخرى من نسيج

واعتواً مكونة لطعاً جرثومية Bacterial Plaque تبدو على هيئة طبقة طرية لزجة يميل لونها الى البياض، وأحياناً تبدو بلا لون، وهى تحتضن عدداً هائلاً من البكتيريا، يقدر بنحو ٣٠٠ مليون خلية فى كل ملليجرام (الملليجرام يمثل جزءاً من ١٠٠٠ جزء من الجرام). انن لقد بدأ الخطر الحقيقى يزحف على الأسنان. فثمة سلالات من بكتيريا البلاك من أمثال: Strep-tococci & Lactobacillus & Actinomyces لا تزال سادرة فى غيها حتى تتخر بعض الأسنان. وهى مهمة ليست سهلة بطبيعة الحال، اذ تقتضى فى البداية اطلاق انزيمات خاصة على بقايا السكريات، لتحويلها الى سكريات أبسط كالجلوكون، الذى لا تزل محللة اياه، حتى ينتج عنه جملة من الأحماض العضوية كاللاكتيك والبيروفيك والخليك والبروبيونيك. ولا يخفى ما لهذه الأحماض من قدرة على اذابة وتحليل الجزء الصلب الملاصق لها من ميناء الضرس، محدثة ما يسمونه «فجوة تسويس الحامض»، عندها يبدأ سطح الضرس فى التآكل، ممهداً لدخول موجات جديدة من البكتيريا إلى أعماق أبعد وأبعد حتى يصل الهدم إلى غايته فيموت الضرس بموت خلاياه الحية، ويتكون «خراج» عند جذوره.

الآن، صدق من قال: «لا تسويس بدون البلاك» أو بشكل آخر «لا وقاية ضد التسويس بدون ازالة البلاك» ولكن من يزيل البلاك؟ دعنا

أمراض الفم والأسنان، وهكذا تدل عليه بحوثهم.

خطر الأفواه يدعى (البلاك):

بعد سنوات طويلة قضاها باحثو أمراض الفم والأسنان، سعيًا وراء علة الأفواه، خرجوا من بحثهم بثلاث عبارات ذهبية نسوقها:

١ - لا تسويس يصيب الأسنان فى غيبة البلاك.

٢ - لا التهابات تطال اللثة فى غيبة البلاك.

٣ - لا صحة للأسنان واللثة والأفواه بغير ازالة البلاك.

ولكن ما هو البلاك؟ وفيم خطره؟ ومن يقدر على ازالته؟ وماذا عن السواك والبلاك؟ أسئلة عديدة تحتاج لمن يجيب عنها، ولكن لابد أن نعلم أولاً أن فى فمى وفمك أعداداً هائلة من البكتيريا عدها البعض فبلغت زهاء ٥٠٠ مليوناً من الخلايا فى كل سنتيمتر مكعب من اللعاب. ولللعاب - كما تعرف وأعرف - هو ذلك السائل الذى تسبح فيه الأسنان دوماً، بحيث تكسو كل سن منها طبقة رقيقة منه، على أن المهم، أن بكتيريا الفم ليست أبداً ساكنة هادئة، بل هى وافرة النشاط لا سيما فى وجود بقايا من مواد سكرية بين الأسنان، اذ تشرع على الفور فى استغلالها لإنتاج جزئيات طويلة من مادة جيلاتينية، تلتصق بقوة على سطوح الأسنان. وكما تتوقع تماماً فان ملايين البكتيريا سوف تستمرى العيش فى كنف تلك الطبقة الجيلاتينية، حيث تزداد نمواً وتكاثراً



بكتيريا الصديد مع سمومها الى بقية أجزاء الجسم - عبر تيار الدم - على النحو الذي أسلفنا . يا لها من نهاية مخزنة، ما كانت لتحدث بإزالة واعية للبلاك . . أليس كذلك؟ معك كل الحق، ولكن أما أن نعرف شيئاً عما يزيل البلاك؟ .

السواك في وجه البلاك:

الباحث الطبى الألماني «فريدريك فيستر» باحث أصيل ومثابر، أنفق من عمره سنوات قبل أن يجيب عن سؤالنا الآنف. وما هو ذا يقول: «لا حل لمعضلة البلاك بغير التنظيف الميكانيكي للأسنان مرات عديدة فى اليوم . . ذلكم هو السبيل الأمثل لصحة الفم والأسنان» . . ثم يضيف مفجراً قنبلة علمية غير متوقعة: «اننى شخصياً - طوال السنوات السبع الأخيرة - لم أستعمل فى تنظيف أسنانى غير فرشاة الأسنان وحدها، وبدون معجون . . وأستطيع أن أوكد بكل ثقة على أن لثنى وأسنانى لم تكن فى يوم من الأيام بأفضل مما هى عليه اليوم . . فلا التهابات فى اللثة، ولا نخر فى الأسنان» .

حقاً؟ فرشاة أسنان عادية (مسكينة) تفعل كل هذا! ترى ماذا يمكن أن تفعله فرشاة الأسنان (المثالية) المعروفة بالسواك؟ إن الأمر سيغزو مبهراً لا شك فى هذا . . ولكن يبدو أن ثمة مفاجأة أكبر تنتظرنا حينما ننظر بعُمق يتزايد بإطراد فى مقولة البروفيسور فيستر بشأن «التنظيف الميكانيكى للأسنان مرات

نؤجل الاجابة حتى ننظر فى القاعدة الذهبية الثانية القائلة: «لا التهابات لثوية بدون البلاك» . . حقاً؟ ولكن ما معنى هذا؟ القول الحق، ان طبقة البلاك الرخوة - إن هى أهملت - لا تلبث أن تتصلب قليلا فى غضون ١٢ - ٢٤ ساعة، بحيث تغدو عسوية على فرشاة الأسنان . ويدهى أن تزيد صلابة مع توالى الأيام، ومع استمرار الاهمال، لتصبح على هيئة «رواسب جيرية» قوية، وهذه لا تزال تتآزر (بل تتآمر) مع فضلات الطعام التى تنتشر هنا وهناك على سطح الأسنان، حتى تفرخ المؤامرة التهاباً بسيطاً فى اللثة . إنه بسيط حقاً، ولكن اعطه زمناً ومزيداً من الاهمال، وستجد المفاجأة، اذ يتغلغل شيئاً فشيئاً فى خيوط النسيج الرقيق الذى يثبت الأسنان فى مواقعها، والذى يربط جذور الأسنان بعضظام الفك المحيط بها، ومن ثم يزداد التهاب ضراوة، مما ينذر بتاكل شديد يصيب العظام . لقد تمت فصول المؤامرة على أكمل وجه، وعما قليل تتكون بؤرة صديدية عفنة فيما بين جذور الأسنان والعظام، لا تزال تمتليء بخلط من صديد ممتزج بخلايا ميتة وكائنات دقيقة وفضلات طعام، حتى يصاب المرء «بالبيوريا» ويصبح معرضاً لفقد أسنانه . وحتى قبل السقوط الحتمى، يظل الجسم معرضاً للأخطار . . فالصديد العفن يتحلب فى فمه ليل نهار، ومن الفم يسير قدماً إلى بقية جهازه الهضمى فيمرضه، وكثيراً ما تتسرب

وعن عائشة رضي الله عنها «أن النبي (صلى الله عليه وسلم) كان لا يستيقظ من ليل أو نهار إلا تسوك قبل أن يتوضأ» (رواه أحمد وأبو داود). أبعد هذا ما يقال؟ معذرة، إن الحديث لا يزال في مطلعه، فبعد وقفنا أمام روعة البناء، ندلف إلى المختبر نسأل عن تركيب السواك، وما يحويه من نافع مركبات الكيمياء.

فرشاة طبيعية

ذات قوة تنظيف ثلاثية:

قليلون هم الذين يعرفون أن السواك هو فرشاة الأسنان الوحيدة ذات قوة التنظيف الثلاثية: ميكانيكية، وكيميائية، وحيوية. فالسواك - من الوجهة الميكانيكية - يفيد في طرح بقايا الطعام الكامنة بين الأسنان، كما يزيل عن سطوحها الأوساخ والصبغات واللطع الجرثومية. ويتفق هذا - كما ذكرنا - مع طبيعة أليافه السليولوزية من حيث القوة والمرونة. بقي أن نعرف شيئاً عن خواصه الكيميائية، وهي كثيرة ومبهرة، منها أن بالسواك نسبة حسنة من الفلورايد، وهو عنصر حيوي يمنح ميناء الأسنان صلابة ومقاومة ضد التأثير الحامضي للتسوس. ومما يستطاب ذكره، أن باحثاً في جامعة جراتز النمساوية، كان أول من كشف هذه الحقيقة، إذ لاحظ عند تحليله لمادة البازلت الصلبة، أن الفلورايد هو العنصر الوحيد الذي تتفرد به عن بقية المواد الأخرى الأقل صلابة. وهكذا تولدت في ذهنه نظرية جديدة تقول بإمكانية تقوية الأسنان بواسطة الفلورايد. ولم

عديدة في اليوم» ثم نمنع النظر فيما أوصانا به رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، وإذن لا يسع المرء إلا أن يغرق في تأمله حائراً واجماً... ألم يوصنا عليه الصلاة والسلام باستعمال السواك (وهو أكفأ أداة للتنظيف الميكانيكي) مرات عديدة أقلها خمس مرات في اليوم، كما في الحديث المشهور «لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة». ولنلحظ النظرة العلمية الشاملة في الحديث، لا سيما وقد دلت دراسات الباحثين على إمكانية حدوث تراكم للبكتيريا بعد وقت قصير من عملية تنظيف الأسنان. وهكذا كانت الوصية بالإستياك مرات عديدة في اليوم بغية التخلص أولاً بأول من اللطع الجرثومية المترسبة على الأسنان، وإزالة طبقة البلاك وهي لم تزل بعد بكرة لم تتضج فتزداد التصاقاً وعتواً على أنسجة الفم الرخوة والصلبة على حد سواء.

شيء آخر لا بد من ذكره، فالباحثون يرون في ركود اللعاب - كما يحدث عند النوم - تنشيطاً لعملية ترسيب اللطع الجرثومية. وربما يفسر ذلك ما ورد عن النبي (صلى الله عليه وسلم) من أنه كان أشد حرصاً على السواك كلما قام من الليل، ففي الصحيحين عن حذيفة بن اليمان قال: «كان النبي (صلى الله عليه وسلم) إذا قام من الليل يشوص فاه بالسواك». وعن عمران عن النبي (صلى الله عليه وسلم) «أنه كان لا ينام إلا والسواك عنده فإذا استيقظ بدأ بالسواك» (رواه أحمد وأبو داود).

اللازمة من الفلورايد هي ٢٥. ٠ ملليجرام للأطفال حتى سن عامين، ٥٠. ٠ ملليجرام للأطفال في عمر ٢ - ٣ سنوات، واحد ملليجرام فيما يزيد على ٣ سنوات حتى سن البلوغ. ومعنى ذلك أن قدرة الفلورايد على حفظ الأسنان لا تقف تماماً بعد اكتمال نموها، بل تستمر ولكن من خلال تشجيعه إعادة معدنة التهاك المجهرى قبل الوصول الى مرحلة التاكل وحدوث النخر.

عود الى المختبر:

وغير الفلورايد يوجد في السواك بللورات صلبة من مادة السيليس، تبلغ نسبتها ٤٪، وهى احدى المواد الزالقة ذات الفعل التنظيفي، حيث تحك طبقة البلاك وتخلص الأسنان منها. وتوجد أيضاً مادة بيكربونات الصوديوم التى أوصى مجمع معالجة الاسنان التابع لجمعية أطباء الاسنان الامريكية بإضافتها الى معجون الأسنان. ويكشف التحليل عن وجود كمية وافرة من مادة السيستستيرول، إلى جانب كمية من فيتامين ج. وكلا المركبين هامين فى تقوية الشعيرات الدموية المغذية للثة، وبذلك يتوفر وصول الدم اليها بالكمية الكافية. وتدل التحاليل على أن بالسواك كمية حسنة من مواد قابضة تمنع نزيف اللثة وتساعد على تقويتها، نذكر منها: مادة العفص (حامض التنيك)، وهذه المادة تستخدم فى إيقاف النزيف الذى قد يحدث بعد خلع الأسنان، كما تعمل على

يمض وقت طويل حتى شاعت نظريته، وباتت الدول المتقدمة صحياً تعتمد هذه الخطة كأسلوب فاعل فى الوقاية الفمية الشاملة. وقد دلت دراسات الباحثين، على أن أكثر المستفيدين من خطة الفلورايد هم الأطفال، إذ تكون أسنانهم فى مرحلة النمو والتكون. فالثابت، أن ميناء الأسنان الدائمة يتم تكوينه - تقريباً - فى السنوات الثمانية الأولى من عمر الانسان. وهذا صحيح، ففى هذه المرحلة يشق الفلورايد طريقه الى الأسنان قيد النمو، حيث يحل محل ذرات أقل تفاعلية مثل الصوديوم والبيوتاسيوم فى البنية التحتية لميناء الأسنان، وتكون الروابط الذرية التى تشكلها المادة الجديدة أقوى بكثير من روابط العناصر التى حلت محلها، وهو ما يؤدى الى أن تصبح الأسنان أكثر قوة وصلابة. ويكفى أن نذكر أن تعرض مادة الميناء - فى هذه المرحلة - للفلورايد يحولها من الصورة (Hydroxyapatite) إلى صورة أخرى أكثر صلابة هى (Flou-roapite). وللمرء أن يأمل بحق فى أن يعود الآباء أطفالهم - لا سيما فى مرحلة تكوين ميناء الأسنان - على استعمال السواك، فقد تبين أن استعمال أملاح الفلورايد موضعياً على الأسنان - علي نحو صحيح - يضمن حمايتها بمشيئة الله من التسوس طيلة العمر كله. وهنا لابد أن نشير إلى المستوى الصحى اللازم، الذى أقرته منظمة الأسنان الأمريكية والاكاديمية الطبية للأطفال ٠٠. فالجرعة اليومية

مواد عطرية زيتية طيبة الرائحة تخلص الأفواه من كريه الرائحة وتعطرها بأريجها الفواح. وغير ما ذكرنا، فقد دل التحليل على وجود مادة «الأنثرا ليتون» ضمن مكونات السواك، وهى مما يساعد على تمام نظافة الأفواه وفتح الشهية أول الهضم وتنظيم حركة الأمعاء. ومن آخر ما كشف عنه الباحثون، أنهم وجدوا للسواك تأثيراً مضاداً للأورام السرطانية، كما تآكدوا من وجود مواد مثبطة لنشاط خلايا السرطان. ولا يزال الباحثون اليوم قائمين على كشف المزيد من عجائب مركبات السواك التى لا تفتأ تثير إعجاب الكثيرين.

البكتيريا الفمية وقوة السواك الحيوية:

ترى أياك أن السواك دور حيوي مباشر فى قتل جحافل البكتيريا الفمية؟ سؤال قد يبدو بسيطاً، غير أن الإجابة عنه اقتضت اجراء مئات البحوث، فلعل المشكلة الحقيقية تكمن فى أفواه الناس، إذ هى تعد - برأى الباحثين - محاضن مثالية لنمو وتكاثر الميكروبات. ففى تجويف الفم أنواع عديدة من البكتيريا فى حالة مدهشة من التوازن، فبعضها لا يمكنه الاستغناء عن الهواء، بينما يتسمم بعضها الآخر فى وجود أكسجين الهواء. جيوش بكتيرية رهيبة يزيد عددها فى المليجرام الواحد من اللطعة الجرثومية، على ٢٠٠ مليون خلية. إنها أسباب لعل الأفواه عظيمة، لا يدري الناس من أمرها شيئاً، ولكن العلماء

تضميد اللثة بعد عملية مضغ وتقطيع الطعام، فتمنع نزيف الدم منها وتشفى جروحها الصغيرة. ومما يستطاب ذكره، أن أطباء الأسنان درجوا على توصية مرضى التهاب اللثة بتدليك لثاهم بمزيج يتكون من ٢٠٪ حمض التنيك مع ٨٠٪ جليسرين، وهى تركيبة مفيدة ولكن يعيها طعمها الحريف اللاذع غير المقبول. هذا، فى حين، أن وجود حامض التنيك ضمن مكونات السواك وبنفس النسبة تقريباً، لا يؤثر سلبياً على طعمه، بل إن للسواك طعماً محبباً لدى الكثيرين. وعلى ذكر الطعوم، فقد عرف أن لطعم السواك دوراً فى زيادة افراز الفم لللعاب. والفم - كما نعلم - يفرز من اللعاب ما بين ١٠٠٠ إلى ١٥٠٠ سنتيمتر مكعب فى الأربع والعشرين ساعة، وهو دائم الافراز لترطيب الفم وزيادة دفاعه العضوى وتنظيفه وتزليج أجزائه وتسهيل حركات اللسان فيه والكلام.

وثمة وظيفة أخرى للسواك لا تقل أهمية وهى تعطير الأفواه وإزالة ما يجتاحها أحياناً من روائح كريهة بسبب إهمال نظافتها. فالفضلات الغذائية، إذ تتجمع بين الأسنان أو على سطوحها المختلفة أو فى فجوات الضروس المتسوسة، تشجع ملايين الخلايا البكتيرية على العمل والتحليل وانتاج مواد كالأحماض الدهنية وكبيريتور الأيدروجين، وهى مركبات ذات روائح نفاذة قوية، تجعل رائحة الفم كريهة منفرة. ولقد تبين أن بالسواك نحو ٨٪ من

(أليل) مع سكر الجلوكوز اليميني. وزيت الخردل هو بيت القصيد، نظراً لما يتميز به من رائحة حادة وطعم حراق وتأثير مطهر قوي وقدرة عالية على قتل الميكروبات. وعلى هذا، فقيمة السينجرين الحقيقية هي في وجود هذا الزيت، الذي لابد أن ينفصل أولاً عن الجزء السكرى، وهو ينفصل بفعل انزيم طبيعي في اللعاب يسمى (Myrosin)، وبدون ذلك لا يظهر أثره المبيد على الميكروب. وكما نعلم، فإن لكل كشف علمي قصة، وقصة الكشف عن المبيدات الحيوية بالسواك تبدأ بمجموعة من الباحثين الأصلاء استلقت ثراء مكونات السواك أنظارهم، فراحوا يستخلصون مركباته واحداً واحداً، ثم شرعوا في دراسة تأثير كل منها على جماعات بكتيرية بغية الإمساك بالمركب الفاعل (قاتل الميكروبات)، وطال البحث، ولم يعثروا على قرينة هادية، وهنا تساءلوا: لم لا نغير خطتنا ونبحث في مركبات السواك وهي في لعاب الإنسان... وسطها الطبيعي؟ وكانت المفاجأة، فقد عثروا في اللعاب على مركبات جديدة لم يسبق التعرف عليها في خلاصة السواك العملية. وكان السؤال الحيوي: من أين جاءت هذه المركبات؟ وبعد تجارب تحليلية دقيقة تبين أن المركبات هي في الأصل من مكونات السواك الطبيعية، غير أنها تتواجد فيه متحدة كيميائياً بمركبات أخرى تقيدها فلا يظهر تأثيرها المرغوب... وهكذا، ما ان حانت لها فرصة الفكك من قيدها بواسطة

لأخطارها واعون فاهمون. ولقد أبدوا منذ زمن إصراراً وحزماً على المواجهة، فابتكروا معاجين للأسنان مزودة بأنواع من مضادات الحيوية. غير أنها لم تكن صاحبة حظ، حيث عارضها الأطباء بعد وقت قليل، بعد ما تسببت في الاخلال بالتوازن الطبيعي لبكتيريا الفم.

ليس هذا فحسب، بل انها تسببت في نشوء سلالات بكتيرية مقاومة للمضادات، مما كان ينذر بشيوع هذه الصفة على أوسع نطاق في بقية السلالات. معاجين أخرى ظهرت تخلو من مضادات الحيوية، ولكنها تحتوى على مركبات معقدة ومبيدة للميكروبات، وهذه أيضاً تعرضت لهجوم من بعض الباحثين منهم البروفيسور الألماني فيستر. وهؤلاء يرون أن معاجين الأسنان «المعقدة» و«القاتلة» لجميع أنواع البكتيريا الفمية تقضي حتماً إلى الاخلال بالتوازن الحيوي الدقيق السائد في تجويف الفم، مما ينذر بحدوث اضطرابات فمية ويمهد لتسويس الأسنان. لعل البعض يتساءل الآن: أهو عود إلى بدء؟ أليس ثمة حل عملي يكفل القضاء على البكتيريا الفمية (الضارة) من دون الاخلال بالتوازن الطبيعي المنشود؟

السواك يجد الحل:

أجل هنا يبرز الدور الحيوي للسواك، فهو من هذه الوجهة يعد البديل المثالي الذي يطلبه الباحثون من أهل الاختصاص، فلقد عثر المحللون في السواك على مادة عضوية كبريتية تدعى «سينجرين» وهي - في لغة الكيمياء - مادة جليكوزيدية تتكون من اتحاد زيت الخردل

الأنواع - عن تسهيل عملية انزلاق الفرشاة على الأسنان أثناء تنظيفها، توقياً من أضرار الاحتكاك، بل وحتى معاجين الأسنان الحديثة التي أضافوا إليها مركبات عديدة كالفلورايد وموانع التعفن وقاتلات الميكروب، لم تف بالقدر اللازم للمحافظة على صحة الفم والأسنان، كما أخلت بالتوازن الحيوي في تجويف الفم، وما يعنيه ذلك من اضطراب - من كل هذا الذي وصفنا نرى أن ثمة فروقاً جوهرية بين السواك وبين المعجون، ففي الوقت الذي تكشف فيه آثار المعجون السلبية، تأكدت وبقوة فوائد السواك ومنافعه الصحية.

حقاً إنه لأمر شديد الاثارة أن نسبح رجالاتنا من أهل الاختصاص يحملون القضية في سطر واحد «إننا مقتنعون تماماً بتفوق السواك على جميع وسائل تنظيف الفم الأخرى» سبحانه يا الله ٠٠ بعد أكثر من أربعة عشر قرناً من حديث المصطفى (صلى الله عليه وسلم) عن السواك، وفي عصر الطب النووي، وعصر التكنولوجيا الباهرة التي استحدثت من الجديد المثير ما لم يخطر في بال أو يسرح في خيال، لا يزال السواك في المقدمة، ولا تزال معجزته في كل يوم تتفجر - وهي معجزة طبية وصحية ما كان لأحد من الناس أن يتعرف على شيء منها في زمن النبوة، فمن ذا الذي أبلى محمداً (صلى الله عليه وسلم) بها، وهو النبي الأمي الذي لا يكتب ولا يحسب - إنها - وأيم الله - لمعجزة خالدة متجددة نزلت من السماء، على لسان خاتم الأنبياء.

انزيمات اللعاب حتى راحت تصول وتجول بين جحافل بكتيريا الفم الضارة، بحيث قضت في زمن قياسي على نحو ٩٧٪ من أفرادها - على أن القصة لم تنته بعد، فثمة مفاجأة أخرى عرفها الباحثون، حينما كشفوا النقاب عن دور عكسي تقوم به انزيمات اللعاب صوتاً للمادة الفعالة الزائدة من الضياع. فلو حدث وكان معيار المادة الفاعلة أكبر من حاجة الفم في لحظة ما، فإن الزيادة تتقيد ثانية مع مركبات في الفم وتحت تأثير انزيمات اللعاب، وعندئذ تفقد ولا شك سطوتها على الميكروبات. ولكن كل شيء هنا بحساب ومقدار، فما ان تتغير حموضة اللعاب بفعل النشاط الميكروبي، حتى ينقلب الحال، فتتنشط انزيمات اللعاب، لتحرر جزءاً من المادة الفاعلة التي تتولى سريعاً مهمة قتل البكتيريا الضارة بحكمة واتزان. ويتكرر نفس السيناريو مرات عديدة على مدار اثنتي عشرة ساعة. وتلك هي الحقيقة التي نود أن نعيها، فالسواك ليس منظفاً عادياً للأسنان، بل انه منظم حيوي (مستمر)، وهو في ذلك يختلف تماماً عن معاجين الأسنان، التي يعدها الباحثون مجرد منظفات (مؤقتة)، اذ يعود المستوى الميكروبي الى سابق عهده، بعد عشرين دقيقة من الاستعمال. ولابد الآن من اذاعة الحقيقة. فلا ينبغي أن تصدق مطلقاً أن أيّاً من معاجين الأسنان له أي وظيفة علاجية لأي مرض من أمراض الفم والأسنان، فالحقيقة أن وظيفة المعجون لا تزيد - في معظم

مناجم :

المعجم المعاصر .. والتكنولوجيا الحديثة

وقد اعتنى احمد فارس الشدياق في كتابه «الجاموس على القاموس» عناية واضحة «بالقاموس المحيط» وقد نسق فكره وأراده سهل الترتيب واضح التعاريف، وأن يشمل الألفاظ والكلمات التي استعملها قادة الألب العربي في النثر والشعر في أزهى عصور اللغة العربية. ناعيا على الفيروز ابادي التزامه بالايجاز حتى أصبح ضربا من الألفاظ.

ولم يكن الشدياق أول من نقد المعاجم نقد اللغوى البصير فقد سبقه محمد مصطفى زاده عندما ألف (الدر اللقيط في أغلاط القاموس المحيط)[٢].

وكانت حركة طبع المعاجم وتصويبها ونشرها حركة نشطة مما دعا الى تأليف معاجم جديدة تكون سهلة التراكيب، واضحة المعنى ميسرة الأسلوب، فألف (أقرب الموارد) الذي رتب حسب حروف الهجاء (ومحيط المحيط) و(متن اللغة) و(الوجيز) و(الوسيط).

وانتشرت الدعوة الى تسهيل تصنيف المعاجم وتبسيط اسلوبها ودقة معاني ألفاظها ووضوح التبويب تأثرا بالمعاجم الغربية[٣] والسير على أسلوبها في الكشف عن الكلمات والألفاظ.

ومحاولة التخلص من التعاريف العامة مثل شجر

كانت العناية بالمعاجم العربية جزءاً من احياء تراث الأمة وحضارتها في بداية عصر التنوير، ونشر مخطوطاتها أسوة بالكتب الأدبية والتاريخية والعلمية، فقد نشر وحقق عدد من هذه المعاجم كالقاموس المحيط، ولسان العرب، وأساس البلاغة ومختار الصحاح .. لأن اللغة العربية هي الوعاء الذي حفظ الثقافة العربية والحضارة الاسلامية[٤].

وقد نقد العلماء نصوصها وفحصوها بعناية كبيرة للتخلص مما بها من تحريف وتصحيف وأغلاط جاءت من النسخ، وتلافي ما فيها من عيوب وادخال الجديد من اللغة فيها،



بقلم:
أ.د. يوسف عز الدين
جامعة ام القرى - كلية التربية

معروف أو ضرب من الحيوان[٤].

ولعل سبب هذا الاختصار هو نقل المؤلفين عن سبقهم مع بعض التغيير في الشكل أو الترتيب كما صنع ابن دريد عندما غير أسلوب كتاب (العين) الصوتي الذي اعتمد على مخارج الحروف والأصوات ودلالاتها حسب موضع خروجها من داخل الفم، واتخذ الألف باء منهجا في التصنيف ٠٠ حتى هاجمه بعض العلماء[٥] واتهمه معاصره نفلويه بسرقة الجهرة من (العين) ومسحها بالتغيير والتبديل قال:

ابن دريد بقـره

وفـيه عـي وشـره

ويدعي من حمـقه

وضع كتاب الجـهره

وهو كتاب العين إلا

أنه قد غـيره

وقد جاء نقد المعاصرين للمعاجم بالخير على المعاجم فقد شُدِّبَتْ ونُقِّحَتْ ودُرِّسَتْ أَسَانِيدُهَا وَمَنَاهَاجُهَا وَحُقِّقَتْ أَعْلَامُهَا وَشُرِّحَتْ بعض غوامضها .

غير أن الحياة المعاصرة وكثرة المخترعات والمكتشفات الجديدة التي لم تكن تخطر على بال الأسلاف دعت الى ضرورة وضع ألفاظ ومصطلحات ومعاجم جديدة تلائم هذا التطور الحضاري، وإذا كان الأسلاف قد وضعوا حوالي الألف ونصف الألف من المعاجم ومع ذلك فقد قال جامع أسمائها: «انه قصر في الفهرسة واكتفى بالمعاجم التراثية دون

سواها مما مسته الحداثة بأثر قليل أو كثير» .

ولابد أن أذكر أن عصر محمد علي باشا اهتم بالمعاجم والمصطلحات التي احتاجها في الطب والهندسة والفنون الأخرى، واهتم بالمعاني اهتماما واضحا، فقد وجدت معجما للكلمات الفرنسية والايطالية والانكليزية مقابل الكلمات العربية لتسهيل دراسة العلوم، ويمكن ملاحظة أثر هذا المعجم بالمصطلحات التي استعملت في كتب الطب والعلوم وهي مطبوعة وفي (روضة المدارس) و(يعسوب الطب) غير الكاملة في دار الكتب المصرية دليل على أن اللغة العربية لغة مرنة يمكن الاشتقاق منها بسهولة والاستفادة منها في وضع المصطلحات

وهذا ما قامت به المجامع، وقد استفاد منها الباحثون فائدة واضحة وصدرت بعض المعاجم مستفيدة من جهود العلماء في عصر محمد علي العلمية، ونقد القديمة منها، فقد كتب احد الباحثين[٦] أن بعض المعاجم لا تفرق بين الجذب والقحط والمحل، ولا بين الرسن والعنان والزام والقياد، واضطرت الى الاستعانة باللغة الانكليزية لتمييز معنى عن معنى آخر ٠٠ والواقع أن هناك مصادر للبحث عن الخيل وعن أدوات هذه الخيل[٧] يمكن أن نجد فصلا كاملا في ذكر آلات الخيل كاللجام والعنان والشكيمة والمهماز والسروج[٨] ويمكن مراجعة المخصص[٩] وفي المغرب[١٠] والصاحح[١١] ويظهر أن

وضوح القصد حال دون مثل هذه التعاريف، ولما وصلت الخيل الى أوروبا وضعت لها التعاريف والحدود كما وضع غير العرب من المسلمين النحو.

أما ما جاء في تعاريف الخيل وأنواعها وأصولها فقد كان حفظا للأنساب وضرورة معرفة الجيد منها من غير الأصل ولا يهم الراكب أن يصف نوع الرسن والجام بقدر معرفة أصل الفرس والحصان لذلك أطنب العرب في ذكر أدوات القتال كالسيف والرمح والترس مع أصول الخيل وأنواعها.

لا جدال بأن المعاجم العربية المعاصرة تطورت تطورا كبيرا وقد أخذت جانبا من المصطلحات الجديدة ولا سيما الوسيط والكبير مما يقوم به المجمع، ولكن ما هي خطط المستقبل في المعجمات التي سوف توضع أمام هذا الزخم الكبير من المخترعات التي تتوالى علينا كل يوم وتطورها السريع في مختلف الفنون والعلوم، وقد تنبّه مجمع اللغة العربية الى دخول العلوم التقنية الى العربية بمجلته منذ عددها الأول الصادر سنة ١٩٥٧م ولا يكاد عدد من أعداد مجلة المجمع يخلو من مجموعة من هذه المصطلحات [١٢].

المفروض أن المعجم يحوي جميع اللغة بأشكالها المتعددة وتطور ألفاظها واختلاف مصطلحاتها العلمية والفنية والأدبية، وأن يكون المعجم قادرا على استيعاب تطور اللغة باستمرار والا أصبح قاموسا بعيدا عن حياة

الفكر المعاصر والحياة الحضارية المتطورة، فهل يقدر المعجم العربي المعاصر على استيعاب هذا الزخم الحضاري من الاكتشافات والمخترعات وامكانات العرب العلمية والمالية كبيرة ولكن الحضارية محدودة بحدود ضيقة؟ وليس هناك وعي عند الأغنياء والمسؤولين لدعم المعاجم ومساندة اللجان التي تقوم على وضعها وتطويع المصطلحات الجديدة ووضعها في معجم كبير شامل للجديد المستحدث مع أصول اللغة العربية وجنودها التي جاوزت مئات السنين ولم تأت هذه المخترعات والمكتشفات اليوم انما هي وليدة حضارة الغرب وثوراته الصناعية، فالثورة الصناعية كما تعلمون مرت بعدة أنوار أولها: دور اختراع الدواب والعجلة حتى القرن التاسع عشر الميلادي عندما اكتشف جيمس واط البخار وأدار به المحركات وزاد من انتشاره والاستفادة العملية منه عندما اخترع المهندسون الاحتراق الداخلي لهذه المحركات ووجدنا طفرة كبيرة في المخترعات التي استعملت المخترعات الحديثة بالوانها المتعددة في البحر أو في السماء أو تمشي على الأرض، ويمكن أن نقف مع الثورة الثانية في أوائل القرن العشرين الذي شهد غزارة في المخترعات وتطورها وتعقدها، فما نصنع اليوم بالحسابة وآلاتها والعالم المتطور يطورها تطورا سريعا بل تتطور كل يوم وكل ساعة وكل دقيقة وتأتي بأشياء متنوعة واستعملت لأغراض متعددة..

والمخترعات والأدوات فقد صنعوا بطارية توضع في (الروبوت) الذي لا يزيد حجمه على الغرامات المحدودة ليسير في جسم الانسان ويرسل بأخباره الى شاشة التلفاز يصف حالة دم المريض وقلبه وشرائينه وأوردته والتغيرات التي تحدث له، فما هي الأسماء التي وضعت لهذه الاختراعات والآلات؟ ولا شك في أن المعاجم الغربية قد حوت أسماء هذه الآلات الصغيرة والكبيرة منها بل تعدى أمر العناية باللغة ذاتها وبدأوا يدرسونها ويصدرون قاموسا الكترونيا للاستثناءات النطقية في اللغة الانكليزية، وقد خصصت جامعات (أندبرة) مليونين ونصف المليون جنيهاً استرلينياً لوضع هذا المعجم فما مقدار ما خصص للقواميس العربية من الدول العربية الغنية، والبلاد العربية تمر بأغنى فترة من فترات حياتها الاقتصادية، وما مقدار ما خصصت هذه الدول للترجمة ووضع المعاجم لغير العرب الناطقين باللغة العربية؟؟؟

ان فرنسا أسست جامعة تعني بالفرنكفونية ومعناه العناية بكل الأمم التي تتكلم اللغة الفرنسية وصرفت الملايين في سبيل نشر لغتها وبث آدابها بين هذه الأمم والحفاظ على الصلة اللغوية بينها وبين هذه الأمم والشعوب.

أقول بصراحة أن مصر التي جاهدت في نشر اللغة العربية بذلت كل طاقتها في سبيل ذلك عندما كانت غنية ونحن العرب كنا نعيش

مما لا نعرفه. لأن الدول المتقدمة مازالت تحافظ على سرية الأجيال الجديدة المتطورة وتبيع الأجيال الأولى لعالمنا الشرقي بأثمان عالية. ما يكون موقف المعجم الجديد من رقائق الالكترون المتعددة، اضافة الى مخترعات تجزها الدول المتقدمة لنفسها للمستقبل المجهول!!!

لا شك بأن الغرب لم يرسل للشرق الا الأجيال الأولى من المخترعات والصناعات والتي انتفت حاجتهم منها، فقد كنت مدعواً لزيارة أحد مصانع المعاهد العلمية التقنية في بريطانيا وأخذني مدير المعامل بزورة في أرجاء المعهد ووجدت ماكينة ضخمة لا تعمل وحسبت أن فيها عطلا فنيا فسألت المدير عنها فقال: أصبحت قديمة وسوف نبيعها للشرق الأوسط.

واذا تركنا المكائن والسيارات والقطارات سوف نجد في الطب تقدما كبيرا فقد استعمل الطبيب أشعة الليزر عوضا عن المبضع والمشرط وأصبحت أدوات الجراحة طريقة قديمة في المعالجة وأخذ العلم يدرس حياة الطفل وهو في رحم أمه ويتابع التطورات التي تطرأ عليه ويقوم بالأعمال الجراحية له.

أما ميدان الزراعة فقد تطور باستخدام الموروثات في تطور الزراعة والاستفادة من التربة واستعمال الحشرات لمكافحة الحشرات.

والاتجاه الآخر هو تصغير هذه الآلات

فالموسوعة البريطانية على ضخامتها وضعت في اسطوانة واحدة لا تكاد تخرج عن حجم الكف وتوضع في آلة تعطيك الكلمة بسهولة ويسر وتصور لك الآلة نفسها ما تريد من الكتب الأخرى المصغرة.

وقد دخلت رقائق السليكون والترانزستور في كل حاجاتنا الضرورية وأخذت المخترعات تعمّر طويلا وتكلف قليلا، وقد حولت الترانزستورات الى رقائق السلكون بأعمال متعددة وصغرت هذه الآلات وتبارت دول العالم في تطوير الأجهزة الدقيقة في التسجيل والتصوير والسينما وجميع أدوات الانسان اليومية، لست مهندسا أو مختصا بهذه العلوم ولكني أقف مدهوشا أمام تعقيد الأدوات في الدول المتقدمة وتطورها ٠٠ هذا بعض ما قدرت عليه من اشارة في جذور المعجم الذي لا بد أن يشمل هذه الأعمال التقنية المتعددة، فهل يمكن أن نجاري العالم في وضع مثل هذا المعجم المتطور؟

الاقتراحات:

ولابد لمتابعة المصطلحات والمقالات العلمية الحديثة والآراء المتعددة، وتطور العلوم الحديثة وتآلف معجم معاصر من انشاء معهد أو مؤسسة خاصة تكون مهمتها الاولى العمل على اعداد هذا المعجم ونشره وتقصي جذوره من اللغات الأجنبية بأن:

١ - يتم اختيار خيرة العلماء العرب للقيام بهذه التجربة، وقد نجحت الادارة الثقافية

في ظلال تلك الجهود التي بدأت منذ زمن محمد علي باشا حتى وقت قريب .
المعجم المعاصر سوف يعاني نقصا كبيرا في محتوياته بتطور العلوم ودخولها في عوالم متعددة من الاكتشافات التي لم تعرفها من قبل وما فكرنا فيها .

العالم المتطور في حضارته التكنولوجية الجديدة استعمل ألفاظا وكلمات وعبارات لم تكن موجودة في معاجمه التي ورثتها من الثورة الصناعية الثانية التي دخلت في الفترة الثالثة بتنوع المخترعات واستعمالاتها بكل الاشكال كالمركبات والسفن الفضائية والصواريخ والنجوم المراقبة للعالم والرموت كنترول (التحكم من بعد) والبيجر وما أرسل الى الفضاء اللانهاي من أدوات داخل السفن والاستشعار عن بعد [١٢] لدراسة الارض وما عليها من حياة ومعادن وغيرها .

كانت أجهزة الحسابة كما تعلمون تملأ حيزا كبيرا وعددا وافرا من الموظفين والمهندسين لادارتها والعناية بها، اضافة الى قوة كهربائية لادارتها، وقد تطورت هذه الحسابات وأصبحت جزءاً من الحياة اليومية، أما الآن فقد أصبحت الحسابات على كبرها تدار من شخص واحد، وأصبحت هذه الحسابات في حجم علب الكبريت ولا تحتاج الى كهرباء وتعتمد على أشعة الشمس والنور الكهربائي، وقد أخذت أوربا تتعدى وضع الكلمات في مجلدات المعاجم في الأوراق انما حولتها الى اسطوانات صغيرة الحجم،

٧- توزيع هذا المعجم على المدارس والجامعات والمؤسسات وضرورة الاستفادة منه بعد أن تفتشت في كل بلد مصطلحات تختلف في الأقطار العربية عن البلد الآخر .
انه حلم من الأحلام، وما أكثر ما تحققت الأحلام.

الهوامش :

- (١) يقول أبو عمرو العلاء (العلم بالعربية هو الدين بعينه) طبقات اللغويين القدماء.
- (٢) يلاحظ كتاب التنبيه والإيضاح عما وقع في الصحاح لأبي محمد بن عبد الله بن بري تحقيق مصطفى حجازي وعلى النجدي ناصف، ط الهيئة المصرية، ج/ ١، ١٩٨٠ / ١٩٨١ وغوامض الصحاح لإصلاح الدين خليل ابن أبيك الصغدني تحقيق عبد الله نيهان منشورات معهد المخطوطات ١٩٨٥م بصدد نقد علمائنا المعاجم.
- (٣) أصدر يوسف الخياط ونديم المرعشلي طبعة جديدة من (لسان العرب) رتب حسب أوائل الحروف وأضاف إليها مصطلحات الجامع وكتبتها وضع ابن منظور.
- (٤) الزميل الدكتور عدنان الخطيب كتاب عن عيوب المعاجم القديمة في (المعجم العربي بين الماضي والحاضر) معهد الدراسات والبحوث العربية.
- (٥) يلاحظ معجم المعاجم لحمد الشرقاوي اقبال بصدد المعركة حول العين من ١٩٤ - ١٩٩ دار الغرب الاسلامي ببيروت ١٩٨٧م.
- (٦) الهادي الي اللغة العربية. حسن أكبر، ج ١ ، المقدمة.
- (٧) الاقوال الكافية والفصول الشافية في الخيل تأليف الملك علي بن داود بن يوسف بن عمر الرسولي الفسائي، دار الغرب اللبناني، ويمكن مراجعة متن اللغة ص ٥٨٨م ٢م محمد رضا بصدد الرسن والمخصص من ١/١٢٨ وقد حقق الاقوال الكافية يحيى الجبوري.
- (٨) المصدر السابق ١٩٨ - ٢٠١، ١٨٨/٦.
- (٩) ص ٣٠٠ وفي ادي شير ١٤١ والصحاح.
- (١٠) طرح اللجام والمخصص ١٩٨/٦.
- (١١) جمع الدكتور نبيل عبد السلام هارون تلك المصطلحات في (المعجم الشامل) المطبوع سنة ١٩٩٠م.
- (١٢) وضع الدكتور خالد العنقري تعريفات أساسية فيها مصطلحات جديدة في كتابه (الاستشعار عن بعد) المطبوع ١٩٨٦م تصلح قاعدة لمعجم جديد.

التابعة للجامعة العربية نجاحا باهرا عندما كان الدكتور/ طه حسين رئيسها، ونقلت عددا من الكتب الى اللغة العربية مازال الفكر العربي يرجع إليها لأنه انتخب أحسن الشباب الذين يجيدون اللغات الأجنبية للعمل معه.

٢- يتم الاختيار من المختصين الراغبين في العمل وألا يكونوا موظفين يؤدون عملا فرض عليهم، لأن الرغبة سوف تطور المسرى العلمي وتعمق جذوره.

٣- إنشاء مطبعة مهمتها نشر هذا المعجم أسوة بمشروع طبع القرآن الكريم في المدينة المنورة.

٤- وضع مفردات المعاجم العربية والأجنبية في الحاسبات لتكون في متناول يد الباحثين وسهولة الاستفادة منها سواء أكانت باللغة العربية أم اللغات الأجنبية.

٥- تزويد المعهد أو المؤسسة بجميع المعاجم الأجنبية العلمية والفنية لوضع مفرداتها في الحاسب وفرز ما في المجالات والجرائد والكتب وما يلقى في المؤتمرات من مصطلحات وعبارات علمية حديثة، وإدخالها في الحاسبة، ويوجد الآن في المكتبات الغربية الشيء الكثير من المعارف، وفي خزائن الحسابات عدد كبير من ذخائر المعلومات.

٦- إعادة دراسة الكلمات والمصطلحات العلمية العربية في التراث الاسلامي في مختلف العلوم والاستفادة منها، وقد فشى بعضها في اللغات الأجنبية.

الدكتور علي عبد الواحد وافي..
الموسوعة العلمية.. يفتح دارون

ودور كايم وعندما تولي مهام التدريس
بالجامعة المصرية حل محل الأستاذ
هوستيليه البلجيكي والأستاذ هوكرت
المختص في الأنثروبولوجيا .

وقد كانت اهتمامات الدكتور على عبد الواحد وافي بالتراث وتحقيقه اهتمامات بغير حدود يعد فيها رأس مدرسة مستقلة صاحبة منهج متميز ويكفي في هذا المجال ما قدمه من خلال تحقيقه مقدمة ابن خلدون، حيث اشتملت الطبعة التي حققها على ألفين ومائتين وثلاثين تعليقا منها ألف وثمانمائة واثنان وأربعون تحت أرقام أصلية (١، ٢، ٣، ٤، ٥، ٦، ٧، ٨، ٩، ١٠، ١١، ١٢، ١٣، ١٤، ١٥، ١٦، ١٧، ١٨، ١٩، ٢٠، ٢١، ٢٢، ٢٣، ٢٤، ٢٥، ٢٦، ٢٧، ٢٨، ٢٩، ٣٠، ٣١، ٣٢، ٣٣، ٣٤، ٣٥، ٣٦، ٣٧، ٣٨، ٣٩، ٤٠، ٤١، ٤٢، ٤٣، ٤٤، ٤٥، ٤٦، ٤٧، ٤٨، ٤٩، ٥٠، ٥١، ٥٢، ٥٣، ٥٤، ٥٥، ٥٦، ٥٧، ٥٨، ٥٩، ٦٠، ٦١، ٦٢، ٦٣، ٦٤، ٦٥، ٦٦، ٦٧، ٦٨، ٦٩، ٧٠، ٧١، ٧٢، ٧٣، ٧٤، ٧٥، ٧٦، ٧٧، ٧٨، ٧٩، ٨٠، ٨١، ٨٢، ٨٣، ٨٤، ٨٥، ٨٦، ٨٧، ٨٨، ٨٩، ٩٠، ٩١، ٩٢، ٩٣، ٩٤، ٩٥، ٩٦، ٩٧، ٩٨، ٩٩، ١٠٠، ١٠١، ١٠٢، ١٠٣، ١٠٤، ١٠٥، ١٠٦، ١٠٧، ١٠٨، ١٠٩، ١١٠، ١١١، ١١٢، ١١٣، ١١٤، ١١٥، ١١٦، ١١٧، ١١٨، ١١٩، ١٢٠، ١٢١، ١٢٢، ١٢٣، ١٢٤، ١٢٥، ١٢٦، ١٢٧، ١٢٨، ١٢٩، ١٣٠، ١٣١، ١٣٢، ١٣٣، ١٣٤، ١٣٥، ١٣٦، ١٣٧، ١٣٨، ١٣٩، ١٤٠، ١٤١، ١٤٢، ١٤٣، ١٤٤، ١٤٥، ١٤٦، ١٤٧، ١٤٨، ١٤٩، ١٥٠، ١٥١، ١٥٢، ١٥٣، ١٥٤، ١٥٥، ١٥٦، ١٥٧، ١٥٨، ١٥٩، ١٦٠، ١٦١، ١٦٢، ١٦٣، ١٦٤، ١٦٥، ١٦٦، ١٦٧، ١٦٨، ١٦٩، ١٧٠، ١٧١، ١٧٢، ١٧٣، ١٧٤، ١٧٥، ١٧٦، ١٧٧، ١٧٨، ١٧٩، ١٨٠، ١٨١، ١٨٢، ١٨٣، ١٨٤، ١٨٥، ١٨٦، ١٨٧، ١٨٨، ١٨٩، ١٩٠، ١٩١، ١٩٢، ١٩٣، ١٩٤، ١٩٥، ١٩٦، ١٩٧، ١٩٨، ١٩٩، ٢٠٠، ٢٠١، ٢٠٢، ٢٠٣، ٢٠٤، ٢٠٥، ٢٠٦، ٢٠٧، ٢٠٨، ٢٠٩، ٢١٠، ٢١١، ٢١٢، ٢١٣، ٢١٤، ٢١٥، ٢١٦، ٢١٧، ٢١٨، ٢١٩، ٢٢٠، ٢٢١، ٢٢٢، ٢٢٣، ٢٢٤، ٢٢٥، ٢٢٦، ٢٢٧، ٢٢٨، ٢٢٩، ٢٣٠، ٢٣١، ٢٣٢، ٢٣٣، ٢٣٤، ٢٣٥، ٢٣٦، ٢٣٧، ٢٣٨، ٢٣٩، ٢٤٠، ٢٤١، ٢٤٢، ٢٤٣، ٢٤٤، ٢٤٥، ٢٤٦، ٢٤٧، ٢٤٨، ٢٤٩، ٢٥٠، ٢٥١، ٢٥٢، ٢٥٣، ٢٥٤، ٢٥٥، ٢٥٦، ٢٥٧، ٢٥٨، ٢٥٩، ٢٦٠، ٢٦١، ٢٦٢، ٢٦٣، ٢٦٤، ٢٦٥، ٢٦٦، ٢٦٧، ٢٦٨، ٢٦٩، ٢٧٠، ٢٧١، ٢٧٢، ٢٧٣، ٢٧٤، ٢٧٥، ٢٧٦، ٢٧٧، ٢٧٨، ٢٧٩، ٢٨٠، ٢٨١، ٢٨٢، ٢٨٣، ٢٨٤، ٢٨٥، ٢٨٦، ٢٨٧، ٢٨٨، ٢٨٩، ٢٩٠، ٢٩١، ٢٩٢، ٢٩٣، ٢٩٤، ٢٩٥، ٢٩٦، ٢٩٧، ٢٩٨، ٢٩٩، ٣٠٠، ٣٠١، ٣٠٢، ٣٠٣، ٣٠٤، ٣٠٥، ٣٠٦، ٣٠٧، ٣٠٨، ٣٠٩، ٣١٠، ٣١١، ٣١٢، ٣١٣، ٣١٤، ٣١٥، ٣١٦، ٣١٧، ٣١٨، ٣١٩، ٣٢٠، ٣٢١، ٣٢٢، ٣٢٣، ٣٢٤، ٣٢٥، ٣٢٦، ٣٢٧، ٣٢٨، ٣٢٩، ٣٣٠، ٣٣١، ٣٣٢، ٣٣٣، ٣٣٤، ٣٣٥، ٣٣٦، ٣٣٧، ٣٣٨، ٣٣٩، ٣٤٠، ٣٤١، ٣٤٢، ٣٤٣، ٣٤٤، ٣٤٥، ٣٤٦، ٣٤٧، ٣٤٨، ٣٤٩، ٣٥٠، ٣٥١، ٣٥٢، ٣٥٣، ٣٥٤، ٣٥٥، ٣٥٦، ٣٥٧، ٣٥٨، ٣٥٩، ٣٦٠، ٣٦١، ٣٦٢، ٣٦٣، ٣٦٤، ٣٦٥، ٣٦٦، ٣٦٧، ٣٦٨، ٣٦٩، ٣٧٠، ٣٧١، ٣٧٢، ٣٧٣، ٣٧٤، ٣٧٥، ٣٧٦، ٣٧٧، ٣٧٨، ٣٧٩، ٣٨٠، ٣٨١، ٣٨٢، ٣٨٣، ٣٨٤، ٣٨٥، ٣٨٦، ٣٨٧، ٣٨٨، ٣٨٩، ٣٩٠، ٣٩١، ٣٩٢، ٣٩٣، ٣٩٤، ٣٩٥، ٣٩٦، ٣٩٧، ٣٩٨، ٣٩٩، ٤٠٠، ٤٠١، ٤٠٢، ٤٠٣، ٤٠٤، ٤٠٥، ٤٠٦، ٤٠٧، ٤٠٨، ٤٠٩، ٤١٠، ٤١١، ٤١٢، ٤١٣، ٤١٤، ٤١٥، ٤١٦، ٤١٧، ٤١٨، ٤١٩، ٤٢٠، ٤٢١، ٤٢٢، ٤٢٣، ٤٢٤، ٤٢٥، ٤٢٦، ٤٢٧، ٤٢٨، ٤٢٩، ٤٣٠، ٤٣١، ٤٣٢، ٤٣٣، ٤٣٤، ٤٣٥، ٤٣٦، ٤٣٧، ٤٣٨، ٤٣٩، ٤٤٠، ٤٤١، ٤٤٢، ٤٤٣، ٤٤٤، ٤٤٥، ٤٤٦، ٤٤٧، ٤٤٨، ٤٤٩، ٤٥٠، ٤٥١، ٤٥٢، ٤٥٣، ٤٥٤، ٤٥٥، ٤٥٦، ٤٥٧، ٤٥٨، ٤٥٩، ٤٦٠، ٤٦١، ٤٦٢، ٤٦٣، ٤٦٤، ٤٦٥، ٤٦٦، ٤٦٧، ٤٦٨، ٤٦٩، ٤٧٠، ٤٧١، ٤٧٢، ٤٧٣، ٤٧٤، ٤٧٥، ٤٧٦، ٤٧٧، ٤٧٨، ٤٧٩، ٤٨٠، ٤٨١، ٤٨٢، ٤٨٣، ٤٨٤، ٤٨٥، ٤٨٦، ٤٨٧، ٤٨٨، ٤٨٩، ٤٩٠، ٤٩١، ٤٩٢، ٤٩٣، ٤٩٤، ٤٩٥، ٤٩٦، ٤٩٧، ٤٩٨، ٤٩٩، ٥٠٠، ٥٠١، ٥٠٢، ٥٠٣، ٥٠٤، ٥٠٥، ٥٠٦، ٥٠٧، ٥٠٨، ٥٠٩، ٥١٠، ٥١١، ٥١٢، ٥١٣، ٥١٤، ٥١٥، ٥١٦، ٥١٧، ٥١٨، ٥١٩، ٥٢٠، ٥٢١، ٥٢٢، ٥٢٣، ٥٢٤، ٥٢٥، ٥٢٦، ٥٢٧، ٥٢

تحت أرقام فرعية (مثلاً:
أب، ٢، ج، ٢-١٠٠).
ومن هذه التعليقات
خمس مائة وثمانية وتسعون
تعليقاً خاصة بالتعليقات

منذ مدة ليست بالقصيرة رحل عن عالمنا إلي الرفيق الأعلى الدكتور علي عبد الواحد وافي - وقد أسدى إلى الفكر الإسلامي خير ما يعتز به مفكر عربي، حيث أقام علي أسس علمية أكاديمية مدرسة فكرية خاصة به قدم من خلالها أعمالا علمية لا يقدر على الإتيان بمثلها جيل بأكمله في اللغة والاجتماع والاخلاق والاقتصاد وعلم النفس والتربية والفلسفة.

فقد حصل من السوربون على أربع دبلومات عالية في الاجتماع والأخلاق والاقتصاد وعلم النفس والتربية والفلسفة

بالإضافة لرساليته
للدكتوراه من السوربون
أيضا - وهو فضلا عن هذا
درس في الأزهر وتخرج في
دار العلوم ١٩٢٥ - وتلمذ
في فرنسا على فوكونه

بقلم: ا.د. /
البدراوي زهران
 استاذ اللغويات ورئيس
 قسم اللغة العربية
 - جامعة اسبوط -

اللغوية. ألف وستمئة واثنان وثلاثون تعليقا خاصة بتحقيقات وبحوث في علوم الاجتماع والأخلاق والمنطق والفلسفة العامة والتصوف وتاريخ الفلسفة وعلم النفس والتربية والقراءات ورسم المصحف والتفسير والحديث ومصطلحه وعلم الكلام والفقه والفرائض وأصول الفقه والخلافات والتاريخ العام، وتاريخ الملل والنحل والجغرافيا وفقه اللغة، وأدبها والرسم والنحو والصرف والمعاني والبيان والبدیع والعلوم الطبيعية والرياضية... وهكذا إلى آخره.

وفراسة الدكتور وافي وإخلاصه في ميدان التحقيق وتمكنه من ناصيته أوقعه على كثير من التصحيقات والتحريفات فمثلا كلمة (فرد) التي جاءت في الطبقات السابقة وجد أن استقامة المعنى أن تكون (قرد) واضطره ذلك إلى الرجوع إلى المصادر التي أشار إليها ابن خلدون وغيرها ومنهم أرسطو والفارابي، والقزويني، وابن طفيل وابن مسكويه وإخوان الصفا ووجد الألفاظ والعبارات التي استخدمها عندهم وتقسيم الكائنات إلى الأقسام نفسها - ووجد بعد ذلك ما هو أكثر، وجد أن ما يربطون به بين مرتبة الإنسان والقرد وليس الفرد، ووجد أن فكرة تقسيم الكائنات إلى مراتب يتصل

آخر كل مرتبة منها بأول المرتبة التالية لها عند الفارابي في كتابه آراء أهل المدينة الفاضلة، وفي كتاب عجائب المخلوقات للقزويني، وفي كتاب حي بن يقظان لابن طفيل وفي كتاب تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق لابن مسكويه، وفي رسائل إخوان الصفا المشهورة - غير أن الرقي عندهم رقي في المرتبة أي أن الكائنات مراتب بعضها فوق بعض، وتلك هي البذور التي بنى عليها دارون نظريته وكأنته استفادها من الأفكار الموجودة في التراث ولكنها عند هؤلاء العلماء تنسجم مع ما عليه العقيدة وما نزلت به الكتب السماوية من أن كل أصل له استقلاله الخاص به، وأن الإنسان خلق مستقلا له تكريمه الذي ميزه به ربه - فالرقي عند هؤلاء العلماء رقي في المرتبة فحسب فهم يحاولون ترتيب الكائنات من الأسفل إلى الأعلى ترتيبا عقليا ومنطقيا حتى أن بعضهم ليضع الفيل والفرس والنحل والبغايا وبعض الطيور الذكية في مرتبة قريبة من الإنسان وفي أعلى مراتب الحيوانية ولكن دارون ذهب بآرائهم نفسها مذهبا آخر.

ثم جاءت المفاجأة الكبرى وهي أن ابن خلدون ذهب في مقدمته التي يحققها والتي هي بين يديه مذاهب أخذها بنصها دارون غير أنها عند ابن خلدون تتفق مع ما عليه العقيدة وما نزلت به كتب الله.

فقد وجد ابن خلدون يقول إن الكائنات الأخيرة من كل مرتبة قابلة لأن تتحول إلى الكائنات الأولى من المرتبة التي تليها .

ومن هنا فقد جاءت عبارة الدكتور علي عبد الواحد وافي عبارة عالم مدقق وهي: «وبذا تقترب نظرية ابن خلدون من نظرية دارون ومن تابعه من جماعة الارتقائيين المحدثين» وإن كان دارون ومن تبعه يذهب في ذلك مذاهب أثبتت البحوث العلمية خطأها فإن ابن خلدون رأى رأياً فلسفياً يتفق مع المعتقدات الدينية ويفسر قول الله (ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلاً) (الإسراء/٧٠).

فتراث علماء المسلمين في واقعه تراث عملاق أفاد منه علماء الغرب بلا حدود، وفيه مفتاح رقيقاً وطريق انطلاقنا نحو الغد الذي يجب أن نصل إليه فما أجدد هذا التراث بأن تتضافر من حوله جهود الباحثين والدارسين وما أحق ما تركه الدكتور علي عبد الواحد وافي من أن يعكف عليه الباحثون فقد ترك علماً نافعا وكتبا قيمة أُرِيتْ على المائة، وراجع أكثر من ٥٠٠ مصطلح بمعجم العلوم الاجتماعية الذي أصدره مجمع اللغة

العربية ونشر بمجلة المجمع بحثاً عظيمة النفع متنوعة الأغراض وله أكثر من سبعمائة مقالة ودراسة في محلات علمية متعددة نشرها على مدى ستين عاماً أو يزيد من عمره الحافل بالطاء الذي جاوز التسعين، ومن الجدير أن تسجل له هنا رأيه الذي قاله عن ابن خلدون فقد قال: «وجدت أن ابن خلدون هو الذي يستحق عن جدارة لقب منشئ علم الاجتماع لا من الناحية التاريخية فحسب بل لأن منهجه كان أسلم وطريقته كانت أصح وكان أكثر استيعاباً لمسائله، لقد وجدت أن العالم العربي ابن خلدون قد وضع علم الاجتماع علي أسس متينة ومنهج سليم، ومعناه أن أسس علم الاجتماع لا ترجع إلى أوجست كونت كما يذهب الفرنسيون ولا إلى فيكو كما يذهب الإيطاليون ولا إلى هبررت سبنسر كما يذهب الانجليز، بل ترجع إلى المفكر ابن خلدون».

والدكتور علي عبد الواحد وافي هو ابن خلدون مصر والعرب في هذا العصر .

ومما تجدر الإشارة إليه أن الدكتور علي عبد الواحد وافي يعد الرائد الأول لعلم الاجتماع في مصر والعالم العربي - وهو عضو مجمع اللغة العربية في القاهرة والمجالس القومية والمتخصصة والمجالس

وعلى يديه تم إنشاء أول قسم اجتماع في الجامعة المصرية وسارت جامعات البلاد العربية على غرارها - وكان انفصال قسم الاجتماع عن قسم الفلسفة في جامعة فؤاد عام ١٩٤٨م واليه يرجع الفضل في إنشاء عدة جمعيات علمية متخصصة منها الجمعية المصرية لعلم الاجتماع والجمعية الفلسفية المصرية. . الخ وقد تولى رئاسة كل جمعية انشائها وأشرف على إصدار مؤلفاتها - واختير عضوا لجامعة التعريف الدولي بالإسلام وعضوا بجامعة الكفاح لتحرير الشعوب الإسلامية . . إلي آخر ما يضيق المقام عن ذكره .

واهتمامه بمجال اللغة العربية فوق كل اهتمام فهو صاحب أول إصدارين في عصرنا الحديث يعالجان الدراسات اللغوية من وجهة نظر علمية حديثة - وهما كتابه فقه اللغة وكتابه علم اللغة ومآزال هذين الكتابين عمدة هذه الدراسة ومرجع الباحثين - وللقارئ أن يتخيل مجهودات الدكتور على عبد الواحد الفكرية ومجالات نشاطه العلمية في تلك المجالات المتعددة وكيف يكون انتاج باحث يحمل القلم ويكتب ويؤلف مدة سبعين عاما منذ تخرجه من دار العلوم في اتقاد ذهن وحركة دائبة الى أن توفاه الله تعالى وهو يحمل قلمه . أسكنه الله فسيح جنته وغفر له .

الأعلى للشئون الإسلامية والمجمع الدولي لعلم الاجتماع وعميد كلية الآداب ورئيس قسم الاجتماع بمصر والسودان والجزائر والمغرب والسعودية وعميد كلية التربية بجامعة الأزهر سابقا وحائز علي جائزة الدولة التقديرية .

وولد في مارس عام ١٩٠١ - وكان والده فضيلة الشيخ عبد الواحد وافي قد تخرج في دار العلوم وعمل بها وكان من أوائل عمدائها .

ودرس بالازهر من عام ١٩١٥م حتى ١٩٢١ ثم التحق بدار العلوم وتخرج عام ١٩٢٥ وأوفد في بعثة علمية الي جامعة السوربون بباريس وقضى بها ست سنوات منذ تخرجه حتى منتصف سنة ١٩٣١ .

وتم تعيينه بدار العلوم مدرسا للاجتماع والاقتصاد والتربية وعلم النفس بالإضافة إلى قيامه بالتدريس في كلية الآداب بالجامعة المصرية (جامعة فؤاد) - القاهرة الآن .

وفور قيامه بتدريس علم الاجتماع قام بوضع مناهج شاملة دقيقة لجميع فروع هذا العلم ومحالاته وتم تدريس علم الاجتماع في جميع مراحل علم الفلسفة بالإضافة الي بعض الأقسام الأخرى بكلية الآداب، وظل مهتما بالكشف عن الجذور العربية والإسلامية لهذا العلم



**بقلم:
محمد بن أحمد
الفلي**

من قراءاتي في الأدب الفلي

((٢٤))

ألف بعد ذلك كثيراً من الكتب الرائدة ومن أشهرها كتاب «الوسائل والغايات» وهو بحث قيم في طبيعة المثل العليا - بالنسبة للغرب عامة وبريطانيا خاصة، طبع عام ١٩٣١.

وفي كتاب «الوسائل والغايات» عرض ونقد وإصلاح للأنظمة السائدة في العالم الغربي والحروب وأسبابها والأخلاق والمعتقدات، ثم أُلّف «العالم

الطريف» وهو قصة خيالية طريفة يتصور فيها «هكسلي» مستقبل الإنسان إذا هو واصل تقدمه نحو الحضارة المنشودة

على أساس علمي - في الغرب - دون مراعاة للمثل الإنسانية الرفيعة غير أن «هكسلي» ينذرهم في كتابه بأن السعادة المرجوة لن تتحقق على أساس التضحية بالمثل والقيم الإنسانية الرفيعة.

ولد «أولدس ليونارد هكسلي» سنة ١٨٩٤م في إنجلترا، وهو من أنشط الكتاب والمؤلفين بدأ حياته الأدبية شاعراً كغيره ممن يبدأ حياته بالشعر، وهم الأغلب، ونشر شعره لأول مرة في مجلة

«هويلز» ثم جمعه

في ديوان عنوانه

«العجلة المحترقة»

سنة ١٩١٦م وفي

تلك السنة اشترك

مع غيره من الأدباء

في جمع ديوان

شعر «اكسفورد»

وبقي شاعراً طوال حياته مخالفاً بذلك الكثير من أدباء عصره الذين انحرفوا عن الشعر إلى النثر، وظل شاعراً تائراً على العالم الذي يقوم على الأسس العلمية، كما أنه غير راض على ازدياد نفوذ العلم في حياة الناس، وقد

أولدس هكسلي:

العالم الطريف

أخرجها في كتب أدبية وسياسية رائعة تتسم
بنصاعة الأسلوب وجميل الأداء.

وقد ألف قبل ذلك كتاباً بعنوان «الجزيرة»
وهي قصة جديدة يتصور فيها «هكسلي»
الحياة الجديدة في جزيرة نائية بعيدة عن
الحضارة، وقد أراد بهذا الكتاب أن يعدل
بعض الشيء عن تشاؤمه الذي ضمنه كتابه
السابق «العالم الطريف» إلى نوع من أنواع
التفاؤل بمستقبل الإنسان وإن العلم تقدم
ويكشف جديداً كل يوم.

أما كتابه «العالم الطريف» فخلاصة
محتواه هو تعبير «هكسلي» عن خوفه من
سيطرة العلم على حياة الناس ولعله من بين
الكتّاب الأحياء في عصره جميعاً الكاتب
الوحيد الذي يستطيع أن يصور نتائج العلم
بجرأة ووضوح.

وهو في ذلك الكتاب عالم وشاعر يرسم لنا
صورة بشعة يتقزز منها القارئ، كما تقزز
منها الكاتب، في هذا الكتاب يتخيل
«هكسلي» أن العلم سوف يصل بنا إلى حد
الإستغناء عن أشياء كثيرة ومنها تكوين
الأجنة في قوارير بطريقة علمية بدلا من
تكوينها في الأرحام، ثم إلى غير ذلك.
والعالم الجديد في نظره تهمه السعادة
أكثر مما تهمه المعرفة وهي سعادة آلية لا

إن تلك الصورة الخيالية التي رسمها
«هكسلي» لمستقبل الحضارة البشرية ممعنة
في الخيال مغرقة في التشاؤم إلى الحد الذي
لا يدعو إلى تصديق وقوعها، ومع ذلك إن
كثيراً مما تنبأ به «هكسلي» في كتابه هذا بدأ
فعلاً يتحول إلى حقيقة واقعة في حياة ذلك
العصر وبسرعة لم تكن تطرأ للمؤلف نفسه
على بال. ثم بعد ذلك أخرج «هكسلي» كتاباً
آخر تحت عنوان «عود إلى العالم الطريف»
عالج الأخطار العظيمة التي تواجه العالم
اليوم، وأهمها - إذا استثنينا القنبلة
الهيدروجينية - زيادة سكان العالم، المبالغة
في التنظيم فزيادة السكان في نظر
«هكسلي» لابد أن تؤدي إلى الحكم
الديكتاتوري.

وكان يعيش عيشة بسيطة بعد أن انتقل
إلى أمريكا. و«هكسلي» يذهل الزائر له بعمق
ثقافته وشموليته فهو على دراية تامة بتقديم
العلوم الطبيعية والتاريخ السياسي وتاريخ
الأديان والكثير من اللغات الحية واللغات
البائدة وأداب الشعوب ومشكلاتهم السياسية
والاقتصادية ونظريات التطور وعلم النفس
الحديث والفنون القديمة والحديثة وكافة
ضروبها وعلم الفلسفة والتربية، فالرجل
موسوعة علمية، امتزجت أفكاره وكون من
هذا المزيج معلوماته الخاصة والعامة التي

يليق بشيء مستحب، وما لا يليق بشيء كريه
ترابطاً نفسياً .

وأخيراً يصور «هكسلي» النزاع بين القديم
والجديد في صورة صراع ذهني شديد ينشب
في نفس شاب من منطقة المتوحشين يزور
هذا العالم الطريف فيتقزز منه وتشمئز نفسه
ويهرب منه في عزلة يفكر فيها عن ما لحقه
من دنس ويعذب نفسه حتى الموت، وبهذا
تنهزم المدينة التي نعيشها أمام «العالم
الجديد» الذي يقوم على أسس علمية بحتة،
وينتقد على ذلك الكاتب أنه سلبي أي أن
الكاتب يسخر ويتقزز بدون أن يقدم لنا حلاً
جديداً أو بدلاً صالحاً لمشكلة الحياة، فهو
بذلك يهدم ولا يبني .

وفي الأمور الروحية لا يقدم سوى مجرد
انتقاد أفكار . وفي المملكة الحيوانية رأها
تأكل وتتكاثر بغير ثمن وإدراك، وهكذا الحياة
بالمدينة الفاضلة العلمية فهي ليست إلا خيال
فئة من العلماء الطبيعيين الذين يعيشون في
خواء روحي دون عقيدة صحيحة أو اعتقاد
ديني صحيح .

ولكن نلمس من خلال الحوادث التي تقع
في القصة أن «هكسلي» ينادي بالعودة إلى
بساطة العيش وإلى الأمومة الصحيحة وإلى
الأطفال ترعاهم أمهاتهم وإلى الذي لم يلوث

توجهها نفوذ شخص، وإنما تفرض على
النفوس فرضاً، فمثلاً إذا أردت شيئاً في
العالم الجديد فأنت لا تفكر فيه ولا تسعى
إليه، وإنما يكفيك أن تضغط على زر أو تدبر
مقبضاً يكون لك ما تريد، وليس من شك فإن
تلك الحياة رغم يسرها الشديد تدعو إلى
الملل، كما تؤدي إلى إهمال الفنون الرفيعة
والشعور الديني الكريم والروح العلمية
الصحيحة التي تهتم باكتشاف أسرار
الطبيعة أكثر مما تهتم بسعادة الإنسان
وراحته .

كل تلك الآراء بسطها «هكسلي» في كتابه
وهي ليست قصة بالمعنى المألوف فهي تتقدم
فيها العقدة أو تكاد ولا تأبه بتحليل
الشخصيات، وإنما هي قصة أساسها علمي،
تهتم بشرح الآراء وتحليل الأفكار، وينقص
الحضارة الإنسانية من أساسها .

وكثيراً ما يرسل الكاتب فيها نفسه على
سجيتها، لا يتقيد بترتيب معين أو منطق
خاص بدون الأفكار وفقاً لتواردها في ذهنه،
فهو يجمع بين المتناقضات ويؤلف بين الغريب
والبعيد والعلوي والأسفل في أسطر قلائل
ويؤدي به أحياناً إلى شيء من الغموض .

في العالم الجديد الذي يتخيله الكاتب
يستطيع الإنسان أن يتحكم في تربية الأطفال
بالتكرار والإيحاء فيصوغهم كيفما يشاء،
يرغبهم في هذا ويبغضهم في ذاك بربط ما

العالم الحضاري، وبالقيمة الجديدة التي يجدها الرجل شائعة بين أهل الجزيرة، ويأمل في انقاذ مدينته السابقة مما تعانيه.

وفي الفصول الأخيرة من الكتاب ينتقل شاب من أبناء منطقة المتوحشين، منطقة العالم القديم ويلتقي ببعض أفراد المسئولين عن الإحتفاظ بنظامه، وتُدور بينه وبينهم محاورات وأحاديث يستشف منها القارئ اختلاف وجهات النظر، نورد بعضها على وجه الإختصار:

يسأل الشاب المتوحش: لماذا لا تبيحون قراءة شكسبير؟

- لأنه قديم ونحن لا ننتفع بالأشياء القديمة.

- حتى إن كانت جميلة؟

- وبخاصة إن كانت جميلة فالجمال جذاب ونحن لا نريد أن يجذب الناس إلى الأشياء القديمة، إنما نريدهم أن يحبوا الأشياء الجديدة.

- لكن الأشياء الجديدة مملّة سخيفة كتلك المسرحيات - يشير إلى المسرح في العالم الطريف - التي لا ترى فيها سوى الطائرات المحلقة والتي تحس فيها بقبيلات الناس؟ - وقطب جبينه عابساً ثم قال: أولئك قردة وماعز... ولم يجد غير هذه الألفاظ التي تفوه بها عطيل في مسرحية شكسبير أسلوباً للتعبير عن اشمئزازه... الخ.

بالعلم والمادة. ولكن كيف السبيل إلى ذلك وتقدم العلم المطرد يهددنا كل يوم؟ كيف يمكن للإنسان أن يعيش في مجتمع أقل كمالاً ولكن أكثر جرأة وطيشاً؟!

ظل «هكسلي» عدة سنوات يتخبط في عالم من الحيرة ودنيا من الشكوك يفكر في الإجابة عن ذلك التساؤل، حتى استطاع أخيراً في عام ١٩٦٢م أن يخرج بقصته الجديدة التي أشرنا إليها قبل بعنوان «الجزيرة» وهي صورة لعالم آخر ومجتمع مختلف يعيش في جزيرة «بالا» إحدى جزر المحيط الهادي وفي هذه الجزيرة لا يستخدم العلم، كما استخدم في العالم الطريف في اضطراد التقدم المادي الذي لا يفسح للروحية مجالاً، ذلك لأن الهدف في «بالا» يختلف عنه في العالم الطريف فهو في الجزيرة تحليل الأفراد وفي العالم الجديد السيطرة عليه والتحكم فيه، وتثير جزيرة النعيم هذه حسد البلدان المجاورة وعداوتها وبخاصة لكثرة ما فيها من المعادن وحقول البترول وتدبر المؤامرات للاستيلاء عليها حتى يصل إلى أرض الجزيرة أحد أفراد المؤامرة وهو صحفي يعرف باسم «فرنادي» يقوم برحلة بحرية فتتحطم سفينته ويلقي به اليم على شاطئ الجزيرة ويتعرف «فرنادي» إلى فلسفة أهل الجزيرة وطريق معيشتهم، فيشك في كل ما لديه من قيم ومثل أتى بها من

فلسطين في وجدان الشاعر السوداني

وفي هذا يقول شاعرنا الشيخ عبد الله البنا [١]:

ولله شوقي إذ جلا النيل للورى
فخلّده نكراً ، وجاشت غواريه
وقد رفع الأهرام بالشعر خالداً
بها وبه اعتزت وعزت غرائب
وذلك ماضي الشعر ، أما حديثه
فسلني وسل عن معجز أنا كاتبه!
قواف تناهت في العروية ، لم يكن
ليبلغها مستعجم اللفظ ناضب
بيامي بها صيد الفحول ، وتخلب الـ
عقول ويزهيهما من اللفظ قالبه!

* ثم انتقل شاعرنا بعد ذلك إلى القضية الفلسطينية ، فقال [٢]:

تداعى العدا ييغون كيداً لشعبنا
وقد غرهم من خلب البرق كاذبه
وأوحوا لإسرائيل أن زعزعي الحمى
وصولي وخير الصؤل ما اشتد غاضبه
ولولا انحلال في الوداد ، وكثرة الـ
خلاف ، وجيش واهن العقد خائبه
لما انتهكت سينا ولا القدس روعت
ولا اقتحمت شعب السويس مصائبه
ولا كانت الجولان قفراً مروماً
تصول علي غلب الأسود ثعالبه
ولا انشطر الأردن شرقاً ومغرباً
ولا جاس في حرّ الديار أجانبه!

** هكذا أوعزت دول الغرب إلى إسرائيل بأن تقض مضاجع العرب وتصول وتجول في ديارهم مستقلة في ذلك ضعفهم وتفرقهم ونار العداوات المستعرة بينهم لتصل إلي مآربها ومآرب الذين يسرهم زعزعة أمن العرب وسلام الأمة العربية.

إن من أعظم العقبات التي تعوق إثراء المثقفين أدبياً في عصرنا الحاضر - حيث تتواري ثمرات الأدب - قصور الإعلام الذي لم يُعرَف بهذا النتاج الأدبي ، فقد حُجبت الرؤى والمعارف ، وتوارت القيم الفنية التي تعد عصارة فكر ونبضات قلب عشق العطاء الثر ، وتبعاً لذلك لا يعرف الكثيرون - في الوطن العربي - عن شعراء السودان ، كما لا يعرفون القاسم المشترك الذي يجمع بينهم وبين رصفائهم من شعراء مصر.

ومهما يك من أمر فإن الشعراء السودانيين قد نظموا في شتى الفنون والأغراض ، كما لم يخل شعرهم من ملامح البيئة السودانية وقيمها وتراثها ومجدها الطارف التليد ، كما أسهموا بشعرهم في



تحرير الشعوب من الذل والاضطهاد والاستبداد والاستعمار البغيض ، كما نظموا في الدعوة للتضامن والتكاتف والتآزر ونبذ

الخلافات ، كما عزفوا للعرب والعروية أنغاماً شجية تسحر القلوب وتخاطب الوجدان ،

بقلم: د. عبيد خيرى

كلية التربية - جامعة الملك عبد العزيز - المدينة المنورة -

وهكذا اغتصبت الأراضي العربية عنوة نتيجة
لضعف الجيوش العربية وكثرة الخلافات التي
كانت سائدة بين الدول العربية في ذلك الوقت.

ثم بكى الشاعر على فلسطين واسترجع أيام
قوتها وعزتها واصفاً ما آلت اليه من خراب ودمار
فأصبحت موحشة مقفرة تعج بالأرامل واليتامى
وقد أصبحت كالكليث الذي فقد مخالبه فلم يعد
يُخشى بأسه، فقال في نفس القصيدة:

فلسطين قفرٌ موحشٌ ومرعُ
تداعت مبانيه، وبكت مضاربه
فلسطين ليثٌ فلل الغل بطشه
أصابت ثنياه، وقصت مخالبه
فلسطين ما أشقى الأيامي وأتس الـ
يتامى، يعاديهم من الشر لازيه!

* ويتساءل الشاعر عن العرب الذين عمروا
وشادوا فلسطين، ويتحسر على القدس وما آلت
اليه من دمار وخراب. فهل من قائد شجاع يعيد
لهذه الأمة مجدها الغابر ويمحو هذا العار الذي
ألم بها؟ وفي هذا قوله:

فلسطين ، كيف القدس؟ كيف صلاته؟
توالت رزاياه وعمت نوائبه
فلسطين أين العرب؟ أين مغارهم؟
وأين فتى يدعو علواً يضاربه؟

* ثم يفتخر الشاعر بيوم النصر الذي جاء بعد
هزيمة نكراء لدولة إسرائيل، فدوت أصوات التكبير
والتهليل بالنصر المبين وانهد حصن إسرائيل
الحصين الذي ادّعى أنه لن يقهر ولن يدك، ولقد
أسكت هذا النصر أصوات موشي ديآن وجولدا
مائير وألقمهما حجراً فسكت تبجحهما بأنهما
يقودان شعب الله المختار والقوة التي لن تقهر،
فأصبحا يعضان بنان الندم، فقال في نفس
القصيدة:

ألا إن إسرائيل ضلّت وساقها
علو خبيث الكيد سوّد مثالبه

لقد ربحت أرضاً، وأحيت عداوة
سيعقّبها ذلاً إلي الموت دائبه
ستصلى بنار الحرب من فتية الحمى
تضرمها أنجابه ، ونجائبه
صواعق من جو السماء يعينها
حريق من الغبراء يسود لاهبه
ألم تر يوم النصر إذ طار حصنها
هباء وجيش الخزي قد جد هاربه؟
ألم تر جيش العرب كيف تساندت
قواه وعين الله فرحى تراقبه؟!
ألم ترمه إذ كبروا وتكبروا
عليها وساموها أنى لا تجانبه؟
وساروا كأن المصطفى في صفوفهم

بخبير، يدعو والسماء تجاوبه!
ألم تر ديّاناً ومائير، إذ هوى
سلاحهما للعرب، واشتد ناهبه!
*** ثم أربف شاعرنا قائلان:**

ألا تلك أولى النائيبات، فشمرى
لأخرى ، سيصلي شرها من يصاقبه
ومن داف مرّ السم غدرأ لجاره
فلا بد أن يسقى به، وهو شاربه

* وهكذا من جرّع السم لجاره غدرأ سيسرب لا
محالة من نفس الكأس المترعة بالسم الزعاف،
وقديماً قيل الجزء من جنس العمل.

والدكتور عبد الله الطيب قصائد شتى في
العرب والعروبة متناثرة في دواوينه المختلفة، ومن
ذلك قوله في فلسطين[٢]:

في الشرق والغرب إخوان ألم بهم
صرّف الزمان فتحنى الظفر والنابا
مُشرّرين بأفلاق رجاؤهم
داج ألح جبين الشمس أم غابا
النور صارت لإسرائيل خالصة
والمال غوير أنفالا وأسلابا

تحت عنوان «لا تقربوا بيدي حجر»، يقول:
**شَعَبُ الْمُقَامَةِ اقْتَدَرُ
 وَأَبَى الدُّنْيَا وَابْتَدَرُ
 مِنْ بَعْدِ مَا أَصْلَوْهُ نَاراً
 أَضْ كَالذَّهَبِ انْصَهَرُ
 وَبِذَا كَمَا انْبَلَجَ الضُّحَى
 بِهِجاً كَمَا اتَسَقَّ الْقَمَرُ
 شَتَّانَ مَا عَهْدُ أَتَى
 ضَاحٍ وَمَا عَهْدُ غَبَرُ
 وَضَحَ الطَّرِيقُ إِلَى الْخَلَا
 صَ وَلَيْسَ يُخْطِئُهُ النَّظَرُ
 وَلِكُلِّ شَيْءٍ غَايَةٌ
 وَلِكُلِّ أَمْرٍ مُسْتَقَرُّ**

* ومن حرص شاعرنا الكبير على اللغة العربية محاولته تذكير الناس بما كاد يندثر من مفردات اللغة الأصلية في ثقافتنا المائتة كقوله «أض كالذهب انصهر» و«بهجاً كما اتسق القمر».

ثم ينتقل الشاعر إلى وصف معاناة الشعب الفلسطيني مصوراً هذه المعاناة تصويراً دقيقاً رائعاً في قوله:

**مَضَغَ الْأَسَى حِيناً عَهِيداً وَاسْتَنَامَ عَلَى حَزْرُ
 وَخَطَاهُ تَضَرُّبُ فِي دُجَى لَيْلٍ تَكَاثَفَ وَاعْتَكُرُ
 يَهْفُو إِلَى غَدِ الْمُطْرُزِ بِالْأَصَائِلِ وَالْبُكْرُ
 قَدْ كَانَ مَضْجَعُهُ الْحَصَى وَالتَّرْبُ أَغْبَرُ وَالْمَدْرُ
 تَخَزُّ الْهَوَامُ السَّارِيَاتِ جُنُوبَهُ وَخَزُّ الْإِبْرُ
 وَهُوَ الدُّفَيْنُ عَلَى الْعَرَايِرِ فِي غِيَابَاتِ الْحُفْرِ**

* تتسم هذه الأبيات بجمال التصوير والتجسيد في قوله: «مضغ الأسى حيناً عهيداً واستنাম على حذر»، ثم باستخدامه للغة القرآن الكريم في قوله: **تَخَزُّ الْهَوَامُ السَّارِيَاتِ جُنُوبَهُ وَخَزُّ الْإِبْرُ** وهو الدُّفَيْنُ عَلَى الْعَرَايِرِ فِي غِيَابَاتِ الْحُفْرِ

* فكلمة «الساريات» و«غيايات الحفر» من العبارات التي وردت في القرآن الكريم في قوله تعالى: (وَمَنْ هُوَ مُسْتَخَفٌّ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ

**بِهَامُ مَادِهَانَا مِنْ مَوَاعِدَ لَا
 يُؤْفِي بِهَا جَعَلَتْ مَنِيناً وَكَذَّابَا**

* ونحس في هذه الأبيات بفداحة الخطب وجور الزمان الذي قلم أظافر هؤلاء القوم ولم يقدروا على شيء فتفارقوا أيدي سبأ وانتهكت بلادهم وأموالهم، وإسرائيل تُمنيههم بين الفينة والأخرى بدنو حل قضيتهم بلا طائل، وهم في ذلك مثلاً إذ كان يعدنا الاستعمار البريطاني الذي جثم على صدر السودان رديحاً من الزمان بالاستقلال ولكنها كانت مواعيد عرقوب لا يؤفي بها.

ثم يأتي الدكتور بابكر البدوي دشين في قصيدته «القب الجديد» فيسوق أمنيته الخالصة وتعطشه وشوقه لتحرير الأقصى المبارك، حيث يقول [٤]:

**يَا شَوْقَ نَفْسِي يَوْمَ تَلَمَعَ عِنْدَهُ
 بَيْضُ السُّيُوفِ وَيَوْمَ تَشْتَجِرُ الْقَنَا
 حَتَّى نَقِيمَ صَلَاتِنَا فِي مَسْجِدِ
 أُسْرَى النَّبِيِّ لَهُ وَصَلَى مَوْهِنَا
 صَلَّى عَلَيْهِ اللَّهُ رَبِّي كَلِمَا
 نَادَى الْمَنَادِي لِلصَّلَاةِ مَوْثِقَنَا**

* وفي هذه القصيدة يخاطب شاعرنا خادم الحرمين الشريفين بقوله:

**يَا خَادِمَ الْحَرَمِينَ هَذَا فَجَرْنَا
 قَدْ لَاحَ وَالنَّصْرُ الْمُبِينُ لَنَا دَنَا
 نَكْتُ حِجَارَتَنَا الْحَصُونِ وَزِلْزَلْتُ
 أَبْطَالَنَا جَيْشَ الْعَدُوِّ الْأَرَعْنَا
 يَا خَادِمَ الْحَرَمِينَ تِلْكَ أَمَانَةُ
 وَنَرَاكَ أَنْتَ بِهِمَا الْأَمِينَ الْأَقْمَنَا
 إِذْ كُنْتَ أَصْلَبَ مَكْسُراً وَأَعَزَّنَا
 وَطَنًا وَأَشْرَفَ بِالْعَقِيدَةِ مَعْنَا**

* وفي هذه الأبيات تجسيد لانتفاضة أبطال الحجارة وطمأنة لهم بأن أمر رعايتهم في أيد أمينة وحصن مكين.

وفي قصيدة للشاعر محمد عبد القادر كرف

بالنهار[٥]، وكذلك في قوله تعالى: [وَأَلْقَوْهُ فِي غِيَابَاتِ] [٦] الْجُبِّ يَلْتَقِطُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ] [٧] وهي قراءة الإمام نافع، وهي قراءة سبعية يعرفها الشاعر لأنها منتشرة في غرب وشمال السودان.

ويمضي الشاعر في الانتفاضة ويشبه الشعب الفلسطيني بالريح الشديدة التي لا تأتي على شيء إلا وتجعله كالريميم، فهي لا تبقي ولا تذر، ويشبه كذلك الحجارة التي يستخدمها الفلسطينيون بالحجارة التي رميت بها جيوش أبرهة حين رام هدم الكعبة المشرفة، وذلك في قوله:

وإِذَا بِهِ كَالرَّيْحِ يَعْصَفُ لَيْسَ يَبْقَى أَوْ يَذَرُ

بغض القيود وصاح في وجه القرامطة الفجر لا تجزعوا أني هنا ما في يدي إلا حجر

هش ولكن كلما ناص رقابكم انفجر

ينقض تحسبه الشهاب شعاعه يفضي البصر

ولعل سرّاً بثّ فيها فهي بالغة الأثر

صكّت فيالق جيش أبرهة الملحق فانكسر

قلّ الذي ابتدع السلاح وسامه وبه أنجز

ليس السلاح طريق تجار الحروب إلى الظفر

هذا هو الشعب الفلسطيني بالحجر انتصر

* ولا يخفى عليك - أيها القاريء الكريم - تأثر الشاعر بلغة القرآن المجيد وذلك في قوله «ليس يبقى أو يذر» فقد اقتبس الآية الكريمة: [لا تَبْقَى وَلَا تَذَرُ] [٨] وكذلك الآية الكريمة: [فَأَقْبَلَتْ امْرَأَتُهُ فِي صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ] [٩].

ثم يختتم شاعرنا قصيدته بقوله:

قل لليهودي القبيح الوجه حاق بك الخطر

تباً لوجهك شائناً فيه الدمامة والصعُر

تاريخك الدموبي في أرض النبوة مستطر

في دير ياسين وفي صبرا وفي القدس الأغر

أنا من جحررها وينفي عن طهارتها القدر

أنا ذو اللسان العريبي وحامل السيف الذكر

وأخو القنّة وصاحب الفرس المحجل والأغر

أنا فاتح الأمصار خضت الموت في بحر وير
أنا باعث النور الذي عم البوادي والحضر
وورائي الفرّ الأوائل من ربيعة أو مضر
بيدي كتاب كل حرف فيه ينبض كالوتر

* يخاطب شاعرنا في هذه الأبيات الرائعة اليهود ويعدّهم بأن الخطر سيحقيق بهم لا محالة، ثم يدعو إلى تحرير أرض فلسطين المغتصبة من أيديهم، كما يظهر تأثره بالتراث وتمسكه بكتاب الله المحكم المبين الذي هو ذكر لقومه وزاد مدخر لنفسه، وإنه لخير الزاد.

ويطالعنا الشاعر محمد المهدي المجنوب

بقصيدة بعنوان «فلسطين» يفتتحها بقوله: [١٠]

جاش منها الدّم الجديد كما جاش البراكين باللهيب العتيد

شفقٌ ماد في البطاح كما ماد غروبٌ على عُبابِ شرود

في فلسطين دولة لليهود! أو عاد بنٌ مريم للوجود

إن يكونوا همّ الألي خلتوا عيسى وحيداً على جلال وحيد

ثم أعلوا صليبه ذا جناحين كرخٍ ملحق بوليد

فهم راوغوا شريعة يس وهموا بصلبها من جديد

* يتعجب الشاعر من إقامة دولة لليهود في فلسطين ويذكر العالم بقبائحهم حيث زعموا أنهم

قتلوا المسيح عيسى عليه السلام: [وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم] [١١]، وتظهر روعة التشبيه

والصورة الفنية في قول الشاعر:

ثم أعلوا صليبه ذا جناحين كرخٍ ملحق بوليد

* حيث شبه الصليب الذي يتخذونه رمزاً

لأكاذيبهم وافتراءاتهم بطائر يطير بجناحيه ملحقاً

في جو السماء.

ويمضي الشاعر إلى ذكر غدر اليهود ومكرهم

مشيراً إلى قوله جل ثناؤه: [ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم في السبت فقلنا لهم كونوا قردة

خاسئين] [١٢]، وذلك حيث يقول:

شعب إسرائيل كنتم النفر الخالص لله من نذوب العبيد

فعلوتم وما انتظرتكم على السبت فصرتم أنلة كالقرد

* ثم يذكرهم بأن النبل الذي أغرق الله فيه آل فرعون وهم ينظرون ، عاد له سره القديم ولم ينس تلك العهود ، وأن الفجر قد طلع منذراً بصبح الوعيد والصبح قريب:

وَيْلَكُمْ وَيْلَكُمْ لَقَدْ طَلَعَ الْفَجْرُ وَلَكِنَّهُ صَبَاحُ الْوَعِيدِ
رَعَشَ النَّبْلُ مِنْ مَنَابِعِهِ الزُّرْقُ إِلَى الْبَحْرِ جَارِقاً لِلْسُّلُودِ
عَادَهُ سِرُّهُ الْقَدِيمِ وَلَمْ يَنْسَ عَهْدُ الْعَلَا وَثَرُ الْجُنُودِ
عَرَبِيٌّ يَضْمُرُ الْخَيْلَ فِي اللَّهِ وَيَحْنُو غِبَارَهَا بِالْبُنُودِ

* ويخاطب الشاعر بني العرب ويشير إلى ما اعتاده أعداؤهم من خُلف الوعود ونقض العهود، فلا هم يستجيبون ولا هم يسمعون نداء الضمير العالمي لأنهم كالأموات، ويسدي الشاعر نصحه للوفود التي تطلب ردَّ الحق لأهله بأن يحذروا مكر عدوهم الحقود . هذا ويذكرهم بأخيهام قصير الذي استطاع الخلاص من الزبَاء - إحدى ملكات العرب الشهيرات - بخدعة ذكية إذ أخفى الرجال في حاويات قدمها هدية لها، فلما أدخلهم قصرها انقضوا عليها وقتلوا شر قتلة . ويربأ الشاعر بهم أن يساموا خسفاً ويجرعوا كأساً مترعاً بالمرارة تخص به خلوقهم، ثم يقطع الشاعر بأنهم لن يرضوا بالذل والقهر والهوان، فقال:

يَا بَنِي الْعَرَبِ قَدْ عَرَفْتُمْ وَجَرِيتُمْ مَطَالَ الْعَدَى وَنُصَحَ الْبَعِيدِ
أَتَصْبِحُونَ فِي الْأَحُودِ، وَهَلْ تَسْمَعُ هَذَا النَّدَاءَ صُمُّ الْأَحُودِ؟
عَرَضُوا بِالْوَفْدِ وَلَيْكُنَ السَّيْفُ خَيْباً لَدَى ثِيَابِ الْوَفْدِ
وَقَصِيرُ أَخْرُكُمُ وَبِ الزَّبَاءِ مَوْتاً عَلَى بَعِيرٍ وَبَيْدٍ
حَاشَ لَهُ أَنْ تَبْتَغُوا عَلَى الْخَصْفِ وَتَسْتَبْرُوا نَفْعَ الْهَبِيدِ

* ثم يلتفت الشاعر في أسى عميق إلى الأراضي المقدسة ويشكو مما أصاب فلسطين من العذاب المهين، ويظهر تأثر الشاعر بالتراث حيث تخيل لنفسه صاحبين له يدعوهما ليعيناه على أداء حقوق نام قاضيهما:

يَا خَلِيلِي عَارُونَانِي فَالْشُّجُو حَقُوقٌ عَلَى فُؤَادِي الْعَبِيدِ
نَبَأٌ قَبَّ يَنْبَرُ مَا نَالَ فِلَسْطِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدِ

وَارْمِقَا مَكَّةَ عَلَى أَمْنِهَا الطُّهْرَ وَسُأْ تَرَابِهَا بِالْخُدُودِ
وَالْمَسَا الْبَيْتَ رَاهِباً حَفَّهُ النَّاسُ وَجِدْأً عَلَى غُلَّاتِلِ سُودِ
* ويمضي الشاعر إلى وفود الرحمن يدعوهم للتضرع والدعاء ويذكرهم بمهد عيسى عليه السلام وثالث الحرمين الشريفين:
وَإِذَا مَا الْحَبِيبُ أَمِنَ فِي الذِّكْرَى وَأَضْحَى عَلَى خُشُوعِ مَدِيدِ
فَادْعَاوُ كُلَّ مُسْلِمٍ عَبْدَ اللَّهِ وَالْقَى حَبِيبَهُ لِلْسُّجُودِ
أَفِلَسْطِينَ قَبْلَةَ الْمُسْلِمِ الْأَوَّلِ فِي لَهْفَةِ الْغَيْبِ الْحَرِيدِ
مَهْدُ عَيْسَى أَمَانَةٌ مِنْ يَدِ اللَّهِ وَسُطْرٌ مِنَ الْكِتَابِ الْمَجِيدِ

* وفي قصيدة بعنوان «الفردوس المفقود» عبر الشاعر محمد أحمد محبوب عن ذكريات كان يختزنها في قرارة نفسه عندما حلَّ بأسبانيا مثلاً لبلاده في مؤتمر عقد بها في عام ١٩٦٧م، و«الفردوس المفقود» هي بلاد الأندلس تشكو حال زمانها ومجدها الطارف التليد، وقد صاغ الشاعر هذا المجد المندثر في شعر اتسم بحسن السبك وعذوبة الكلمة وطلوتها، فقال[١٣]:

نَزَلَتْ شَطْكُ بَعْدَ الْبَيْنِ وَلِهَانَا
فَنَزَلَتْ فِيهِ مِنَ التَّبْرِيحِ أَلْوَانَا
وَسَرَتْ فِيكَ غَرِيباً ضَلَّ سَامِرُهُ
دَاراً وَشَوْقاً وَأَحْبَاباً وَإِخْوَانَا
فَلَا اللِّسَانَ لِسَانَ الْعَرَبِ نَعْرِفُهُ
وَلَا الزَّمَانَ كَمَا كُنَّا وَمَا كَانَا
وَلَا الْخُمَائِلَ تَشْجِينَا بِلَابِلِهَا
وَلَا النَخِيلَ سَقَاهُ الطَّلُّ بِلِقَانَا
وَلَا الْمَسَاجِدَ يَسْعَى فِي مَاتَنَهَا
مَعَ الْعَشَائِيَّاتِ صَوْتَ اللَّهِ رِيَانَا

* ثم يمضي الشاعر في مسيرته مصوراً الماضي التليد الذي لم يبق منه سوى الآثار والاطلال التي تثير كوامن النفس وتوقر الوجدان، فقال في أسلوب سلس بليغ:

كَمْ قَارَسَ أَوْفَى الْمَجْدِ شَرَعَتَهُ
وَأُورِدَ الْخَمِيلَ وَدِيَاناً وَشَطَاتِنَا
وَشَادَ لِلْعَرَبِ أَمْجَاداً مُؤَلَّةً
دَانَتْ بِسُطُوتِهِ النُّبْيَا وَمَا دَانَا

سنجعل الأرض بركاناً نفجره
في وجهه يا غيـر الله شيطاناً
فينمحي العار في رآد الضحى فترى
أن العروية تبني مجدها الآنـا

* وهكذا وجدت القدس كما وجدت القضية
ال فلسطينية مكاناً سامقاً في وجدان الشعراء
السودانيين فصاغوا في ذلك شعراً مفعماً بحزارة
العاطفة وعمق الشعور وصدق المعنى وحسن
السبك.

الهوامش:

(١) ديوان النيلة: قصائد مختارة من الشعر المصري
والسوداني، إعداد لجنة الشعر بالمجلس الأعلى لرعاية الفنون
والآداب والعلوم الاجتماعية بمصر، والمجلس القومي لآداب
والفنون بالسودان (القاهرة)، الهيئة المصرية العامة للكتاب
١٩٨٠م، ص ١٧٥ - ١٧٦.

(٢) المصدر السابق، ص ١٧٦ - ١٧٧.

(٣) د. عبد الله الطيبي: أصداء النيل، دار المعارف بمصر،
١٩٦٠م، ص ١٨٥ - ١٨٦.

(٤) «ملحق التراث» بجريدة المدينة المنورة، الخميس ٢٣
جمادى الأولى ١٤١٠هـ - ٢١ ديسمبر ١٩٨٩م، العدد ٨٢٥٩.

(٥) سورة الرعد: الآية ١٠.

(٦) أنظر حجة القراءات لابن زنجلة، تحقيق سعيد الأفغاني،
مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م،
ص ٢٥٥.

(٧) سورة يوسف: الآية ١٠.

(٨) سورة المثلث: الآية ٢٨.

(٩) سورة الذاريات: الآية ٢٩.

(١٠) محمد المهدي المجنوب: نار المجانيب، بيروت، دار الجيل،
١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م، ص ٥٦.

(١١) سورة النساء: الآية ١٥٧.

(١٢) سورة البقرة: الآية ١٥.

(١٣) محمد أحمد محبوب: مسبحتي وبني (ديوان شعر) دار
المعارف بمصر ١٩٧٢م.

وهلـل الشعر زقزاقاً مقاطعه
وفجّر الرّوض أطيافاً والحنان
يسعى إلى الله في محرابه ورعاً
وللجمال يمد الروح قـريانا
لم يبق منك سوى نكـرى تؤرقنا
وغير دار هوى أصغت لنـجوانا
أكاد أسمع فيها همس واجفة
من الرقيق، تمنى طيب لقـيانا
طفنا بقرطبة الفـيحاء نسألها
عن الجلود... وعن آثار مروانا
عن المساجد وقد طالت مآثرها
تعانق السحب تسبيحاً وعرفانا
وعن ملاعب كانت للهوى قدساً
وعن مسارح حسن كن بستانا

* ثم انتقل شاعرنا بعد ذلك إلى الحديث عن
فلسطين وقد بلغه اندحار الجيوش العربية في
نكسة عام ١٩٦٧م، فبكى فلسطين وحق له أن يفعل
ذلك، كما عاهد أبا الوليد - الشاعر والوزير
الأندلسي (ابن زيدون) - بأنهم عقدوا العزم للثأر
مهما كلفهم الأمر، لأن الجرح قد وحدهم وسوف
ينتصرون بلا أدنى ريب، أما القدس فسوف
يفدونها بالنفس والنفيس، فقال:

هـذي فلسطين كادت والوغي نول
تكون أندلساً أخرى وأحزاننا
نغفو على النلّ أحزاباً مفرقة
ونحن كنا لحزب الله فرساننا
رماحنا في جبين الدهر مُشرعة
والأرض كانت لـخيل العرب ميدانا
أبا الوليد عقـلنا العزم أن لنا
في غمرة الثأر ميعاداً وبرهانا
الجرح وحـننا والثأر جمـعنا
للنصر فيه إرادات ووجدانا
لهفي على القدس في البأساء دامية
نفديك يا قدس أرواحاً وأبدانا

حوار مع: الأستاذ الدكتور / حلمي طه الشاعر، المستشار الثقافي ومدير البعثة التعليمية بسفارة جمهورية مصر العربية بالرياض

أ.د حلمي طه الشاعر، في سطور:

في مقر البعثة التعليمية لجمهورية مصر العربية بالرياض التقيت بالأستاذ الدكتور حلمي طه الشاعر، وكعادته في استقبال الضيوف اسرع واقفا مع ابتسامة عريضة صاحبها كلمات الترحيب ماداً يده للمصافحة، ابتسامته تحمل طيبة المصريين وحسن سريرتهم، وبعد أن جلست معه بعضاً من الوقت في «دردشة» خفيفة بدأنا حوارنا هذا حول محوره الأساسي:

دور المكتب الثقافي التعليمي المصري في خدمة المواطن والجالية المصرية بالمملكة: المنهل.

* ما هو الدور الأساسي الذي تؤديه البعثة التعليمية التابعة لسفارة مصر العربية لخدمة والجالية المصرية في المملكة والمواطن السعودي؟ وما مدى التعاون بين الجهات الرسمية بالمملكة وأنشطة هذه البعثة؟

** البعثة التعليمية

بسفارة جمهورية مصر العربية بالرياض تدرّك تمام الإدراك أنها ليست بعيدة عن وطنها فهي حقيقة في وطنها الثاني، فالعلاقات التي تربط

مصر والسعودية علاقات متعددة وقوية جداً في شتى المجالات ولها جذورها العميقة، ولذا كان على هذه البعثة أن تعطي صورة واضحة وصحيحة عن مصر بحيث تشمل ابراز معالم

* دكتوراه في الفيزياء من جامعة عين شمس «تخصص فيزياء جوامد» عام ١٩٧٥م.

* عمل بكلية التربية، جامعة عين شمس معيداً ومدرساً مساعداً وأستاذاً مساعداً وأستاذاً بقسم الفيزياء.

* كما عمل استاذاً مشاركاً بكلية التربية بالمدينة المنورة (المملكة العربية السعودية) لمدة خمس سنوات ١٩٨٣م - ١٩٨٨م بجامعة الملك عبد العزيز.

* عمل عميداً لكلية التربية النوعية بالمنوفية «جمهورية مصر العربية».

* رئيس تحرير مجلة «طيبة» وهي مجلة داخلية يصدرها المكتب الثقافي التعليمي لعرض فعاليات الأنشطة الثقافية والفكرية والفنية التي تنظمها السفارة المصرية والمكتب الثقافي.

* له العديد من الأبحاث العلمية المنشورة في المجلات العلمية العالمية المتخصصة.

* له مشاركاته في مجال التقييم للمرحلة الثانوية المصرية.

إعداد:

**عقيل بن ناجي
المكيين**

- الرياض -



- مجموعة من الاطفال يشاركون في الفعاليات.

الثامنة عشرة فعليه أن يخضع لنظام الإشراف العلمي وهذا الإشراف يقوم به المكتب أيضاً وله قواعده ونظمه ولوائحه، بالإضافة الى الإتصال بالجهات السعودية المسؤولة لتيسير بعض الأمور المتعلقة بالطلاب سواء من يتبع لوزارة المعارف أو الرئاسة العامة لتعليم البنات.

ومن جهة التعاون بين المكتب والجهات الرسمية في المملكة

فاني في الحقيقة أشيد بالتعاون التام مع القائمين على العملية التعليمية سواء في وزارة المعارف أو الرئاسة العامة لتعليم البنات حيث أنهم لا يخلون إطلاقاً لبذل أقصى جهد ممكن لحل ما يقابلنا من مشاكل كما أشيد أيضاً بحسن التعاون مع الرئاسة العامة لرعاية الشباب وهذه الجهات هي التي تتصل مباشرة بأنشطة المكتب وهناك الكثير من الجهات الرسمية الأخرى ولكنها لا تتصل مباشرة بأنشطة المكتب ورغم ذلك فإنها تبذل أقصى جهد ممكن عند اللجوء إليها.

المنهل:

* كان للموسم الثقافي للعام الدراسي المنقضي ١٩٩٥م ١٩٩٦م عدة نشاطات ثقافية وفنية وأدبية وفكرية ودينية، وأبرز هذه النشاطات الاحتفال بمرور أربعة عشر قرناً على دخول الفتح الإسلامي لمصر وهي ذكرى لا يمكن أن تنسى لأنها جزء من تاريخها الحضاري، ما هي أهم معالم الإحتفال بهذه الذكرى التاريخية؟ وما مدى تفاعل الوسط الثقافي والفكري والإعلامي سواء في داخل مصر أو خارجها؟

** الإحتفال الذي قام به المكتب الثقافي

تحت رعاية سعادة سفير جمهورية مصر العربية بالمملكة العربية السعودية وذلك بمناسبة مرور أربعة عشر قرناً على الفتح الإسلامي لمصر كان حقيقة كما ذكرتم من أبرز النشاطات الثقافية لهذا الموسم ونعلم تماماً أن الاسلام قد انبثق في مكة المكرمة وترعرع في المدينة المنورة وانتشر في كل بقاع المعمورة واستقبلته مصر بالرغبة والحب، ومع ذكر مكة والمدينة .. لأنني أود أن أنوه بكل التقدير والإعتراف بالجهود الكبيرة والعناية الفائقة التي يبذلها خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز وحكومته الرشيدة في سبيل توسعة الحرمين الشريفين وفي سبيل راحة الحجاج والمعتمرين .

ويخصوص أهم معالم الإحتفال بهذه الذكرى فقد تضمن الإحتفال مجموعة من المحاضرات التي بدأها الاستاذ الدكتور محمد الأحمدى ابو النور وزير الأوقاف الأسبق والاستاذ بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية وكانت عن «أنبياء الله في مصر» وتوالت المحاضرات عن مصر قبل الاسلام وموقف المصريين من الإسلام عند الفتح والآثار الإسلامية في مصر وجهود مصر في نشر الدعوة الإسلامية، كما كانت هناك محاضرة عن



- من الفعاليات الثقافية في المحمية.

العربي أن تتحقق وأتصور أن أهم السبل التي تؤدي الى ذلك تكمن في:
- تنظيم المحاضرات والندوات المشتركة والتي يتم فيها الإلتزام بأبى الإسلام في الحوار والمناقشة واضعين نصب أعيننا أن لهذه اللقاءات أهدافاً محددة لمصلحة شعوبنا ووطننا.
- توثيق الصلات بين أجهزة الإعلام المختلفة ومحاولة وضع اسس عامة للإطار الذي يمكن أن تتعامل به.

- معرفة كل منا بتاريخ الآخر وسيظهر في هذه الحالة عمق الإرتباط بين شعوبنا العربية المختلفة وأن علاقاتنا هي علاقات أخوة.
- تبادل الزيارات والمنح بين المؤسسات الثقافية المختلفة.

اما من حيث دور المكتب الثقافي فهو يعمل حالياً (بقدر امكاناته) على:
- تنظيم مجموعات متنوعة من المحاضرات والندوات.

- يستعد لاصدار نشرة ثقافية وأرجو أن يتم هذا في وقت قريب.
- كما يتبنى المكتب فكرة تبادل المعلومات عن المؤتمرات التي تتم بالملكة ومصر ولكنها تسير

«الخط العربي ودوره في الفنون الإسلامية والفن المعاصر» واشتمل البرنامج على أمسية شعرية اسلامية ومسابقة رسوم اطفال ومسابقة ثقافية عن لقمان الحكيم ومعرض للرسم التعبيرية آيات القرآن الحكيم، كما قام المكتب بتوزيع بعض مقالات خاصة عن تطور المئذنة في الإسلام ومقال عن «ملاحم من الفتح الاسلامي»، كما قام المكتب بعرض فيلم عن الناصر

صلاح الدين، والذي يتعرض لفترة الحروب الصليبية وفيلم «وا إسلاماء» والذي يتعرض لفترة التتار.

وقامت بعض الجرائد السعودية وبعض الجرائد المصرية بتغطية الإحتفال ولكن كان هناك توقع للتغطية أكبر من ذلك ونرجو أن يتم هذا بشكل أوسع في المرات القادمة بإذن الله تعالى.

المذهل:

* بصفتكم مستشاراً ثقافياً ما هي برأيكم أهم السبل التي تؤدي الى التعاون البناء بين المثقفين من دول مختلفة هيفاً للوصول الى: وجهات نظر متقاربة - مناقشة الآراء - المواكبة لكل جديد في عالم الثقافة والتطور الحيوي - تبادل المعلومات - صناعة الفهم المشترك للواقع الإجتماعي في الوطن العربي - تقنية الحوار الثقافي بين الشعوب العربية؟

وما هو دور المكتب الثقافي التعليمي في ابراز هذا النوع من التعاون الثقافي بين مثقفي وأدباء المملكة ومصر الشقيقة؟

** كل ما ذكرت هي أهداف يأمل المواطن

سيراً حثيثاً نظراً لأن ذلك يعتمد على ارسال المعلومات الى المكتب.

المنهل:

* في السابق كانت هناك بعثات للدراسة من المملكة الى مصر، أما الآن فقد تطورت المملكة وأصبح فيها الكثير من الجامعات الكبرى التي تخرج في كل عام مئات من الكفاءات والطاقات الوطنية، وهذا التطور يعطي للمملكة اكتفاءً ذاتياً في هذا المجال ما عدا بعض التخصصات العلمية الدقيقة حيث تبتعث أعداد ليست قليلة الى أمريكا وبعض دول أوروبا والدول الأخرى. ما هو رأيك في شبه توقف البعثات التعليمية الى مصر الشقيقة؟ خصوصاً وقد نما الى علمنا دعوتكم الى إعادة هذه البعثات وإجراء تعاون تعليمي بين البلدين بصورة أكبر من ذي قبل نظراً للعلاقات الوثيقة بين حكومة خادم الحرمين الشريفين ومصر الشقيقة حكومة وشعباً.

* اعتماد المملكة على نفسها هو في الحقيقة شيء يسعدني جداً فهذا الإعتماد قوة تضاف الى العرب والمسلمين خاصة وأن المملكة لها وضعها المميز في نفوس المسلمين جميعاً. والعلم بصفة عامة ينمو ويزدهر بالتبادل فالعلم ليس حكرًا على مجتمع من المجتمعات ولا يد من التبادل، ومن هنا وقد أصبحت المملكة لها إمكانياتها ومكانتها العلمية فأني أدعو فعلاً الى اتفاقيات بين المملكة وجمهورية مصر العربية لتبادل المنح والزيارات الدراسية والتعليمية على مختلف مراحلها ونوعياتها، صحيح أن هناك بعضاً من هذا التبادل ولكن الدعوة هنا الى المزيد والتوسع فيها مع مراعاة أن هذه الدعوة لا بد وأن تتم على أسس موضوعية سليمة وبما يعود بالفائدة على كلا الدولتين.

المنهل:

* للكتاب دور كبير في نشر الثقافة والفكر والمعرفة بشتى مجالاتها، ما هي علاقة المكتب الثقافي التعليمي لسفارة مصر بالرياض وعواصم الدول الأخرى بعرض الجديد مما يصدر في دولة مصر الشقيقة هدفاً لتعريف وإحاطة مواطني هذه الدول والجالية المصرية بكل ما يصدر في عالم الثقافة والمعرفة في مصر؟

** أعتقد بأن عرض الجديد مما يصدر في مصر يعتمد على وجود مكتبة عامة بالمكتب الثقافي وهو ما قد بدأناه فعلاً والحمد لله ونقوم الآن باستكمال أعدادها بما يلزم من إصدارات مختلفة على أن يكون بها الجديد بإذن الله من الإصدارات وعندي أمل أن تقوم بدورها في الموسم الثقافي القادم إن شاء الله تعالى.

المنهل:

* من خلال تجربتكم العملية بالمجال الثقافي في المملكة ما هو انطباعكم عن أنشطة وفعاليات الساحة الثقافية بالمملكة والتي تشرف عليها النوادي الأدبية وجمعيات الثقافة والفنون والمؤسسات الصحفية والتعليمية، وما يجري تنظييمه من محاضرات وأمسيات ومعارض ومسابقات، خصوصاً وأن الكثير من الإخوة المصريين يعملون في هذه القطاعات ولهم اختلاط بالوسط الثقافي والعلمي والأدبي؟

** في الحقيقة أنا سعيد جداً بالأنشطة والفعاليات الثقافية التي تتم بالمملكة والتي ذكرت من نوعياتها أو بعضاً منها، وقد قدر لي أن أحضر بعضاً من الندوات وأعجبنى نظام الحوار بها ونوعية موضوعاتها وبهذه المناسبة أيضاً أذكر لكم أن عدداً غير قليل من النوادي الأدبية قد أمدت المكتبة العامة بالمكتب الثقافي



- جانب من حضور الفعاليات الثقافية.

في بعض أوجه النشاط ورأيتكم بأنفسكم ما يتم عمله وان كنا باستمرار نأمل المزيد ونعمل على تطور البرامج مع ما يظهر لنا من أوجه قصور أثناء التنفيذ.

المنهل:

* ما هي الكلمة التي تود أن توجهها الى المثقف السعودي والمسؤولين عن الحركة الثقافية بالمملكة في السبيل للتعاون مع المكتب الثقافي بخصوص الشؤون الثقافية والتعليمية؟

** المكتب الثقافي المصري بالرياض هو أخ لكم ويمد يده مرحباً بكم محاضرين ومناقشين ومستمعين، فالثقافة هي أخذ وعطاء وبين الاخوه هي تكامل.

في الختام نود أن نشكر الاستاذ الدكتور حلمي طه الشاعر، المستشار الثقافي ومدير البعثة التعليمية بسفارة جمهورية مصر العربية بالرياض على حسن استضافته لنا وإتاحته الفرصة لإجراء هذا اللقاء الممتع أملين له ولكل العاملين بالمكتب الثقافي التعليمي دوام التوفيق والنجاح.

ببعض اصداراتها وليس ذلك مقتصرأ على الرياض بل وصلنا من مكة المكرمة وجدة والمدينة المنورة، وآمل أن يستمر هذا التعاون بإذن الله تعالى.

المنهل:

* ما هو مدى تفاعل المواطن السعودي والمقيم والجالية المصرية في المملكة مع أنشطة المكتب الثقافي التعليمي في مجال السنوات والمحاضرات

والمعارض والأمسيات؟ وهل هناك برامج أخرى؟

** هو تفاعل لا بأس به حتى الآن ويتميز إقبال المواطن السعودي على الأمسيات الشعرية والمعارض بنسبة أكبر ولدينا أمل أن يزداد هذا التفاعل مع الأيام وبالرغم من أننا نركز حالياً على دعم ما هو موجود من أنشطة وإخراج عمل المكتب الى حيز التنفيذ فإن التفكير في برنامج آخر يجول بخاطرنا وهو اشراك الشباب السعودي وشباب الجالية المصرية في موضوعات لمسابقات مختلفة وكما ذكرت لكم فإن هذا ما زال في طور التفكير.

المنهل:

* للبعض رأي خاص حيث يعتقدون بأن السفارة والمكتب الثقافي التابع لها يغلب عليهما طابع النور الرسمي وتوثيق الأوراق وتصديقها فقط وتجديد الأوراق الشهرية وما الى ذلك، أما الجوانب التقنيّة والأنشطة التابعة لها فتعتبر ضعيفة، ما هو رأيك في ذلك؟

** بالنسبة للمكتب الثقافي فإن هذا الاعتقاد غير صحيح وقد شاركتمونا في الفترة الأخيرة

في الاسماك بتلايب الغواية الشهرزادية.
يوميات منمنمة، صارخة
وربما مؤلة قليلا:

في البداية - كما هو الحال في باقي أعمال الخراط الروائية والقصصية - يوقنا النص (الواحد - المتعدد) في ورطة ذات طابع إشكالي في سياق المناهج النقدية الكلاسيكية والحديثة. فالنص يحيل على مرجعية إجناسية تجد تحققها التداولي في الجنس التعبيري «الرواية» من جهة وأنساق تعبيرية محايدة مؤزعة في الفضاء النصي المتراوح بين اليوميات، الرسائل، المذكرات من جهة ثانية. . وقد أفلح الخراط في بلورة تركيبة فنية، صهر خلالها كل هذه الانساق التعبيرية المتنافرة في بوتقة واحدة منتجاً نصاً متميزاً هو عصارة هذا اللغيف المتشابك. وذلك يتمثل هذه الانساق التعبيرية، واستيعاب قوانينها الداخلية، وصوغ تشكيلات فنية من هذا اللغيف المتداخل، تنسيقاً ومواعة لخلق فسيفساء نصية متفردة تتجاوز بذلك السائد في التعاطي البليد لتمرينات «مقولاتية» تجريبية تفقد هذه الانساق التعبيرية فعاليتها وإجرائيتها الخصبة التي تتراوح بين الحد الواقعي وهو ما يتطلب حداً أدنى من مطابقة النص لمستويات الواقع الذاتي منه أو الموضوعي والذي يجد تحققه النصي في (اليوميات والرسائل والمذكرات) وبين الحد التخيلي الذي يقوم على تخيل العالم الروائي وخلقه، مع نبذ المحاكاة المسكوكة، أو الانعكاس المرئي الذي طالما شدد عليه دعامة «الواقعية» في الرواية العربية.

فكيف استطاع الخراط المزج بين الحدين الواقعي والتخيل تبعاً لطبيعة الانساق التعبيرية الموظفة في هذا المتر؟

حدود الواقعي والتخيل في «رقرة الأحلام الملحية» لـ «ادوار الخراط»



ادوار الخراط

احتفلت الاوساط الأدبية في القاهرة مؤخراً بالعيد السبعين لميلاد الكاتب المصري ادوار الخراط، وقد نظمت

لهذه الغاية أياماً دراسية عن الكاتب المحقق به. وفي هذا السياق الاحتفالي تأتي قراعتنا لاحدى التحف الروائية في سجل الروائي الحكاء، والصائغ العاشق. . ادوار الخراط تحت عنوان «رقرة الاحلام الملحية»[١].

رواية جاءت في سيرورة التراكم الابداعي النوعي للخراط، مرسخة بذلك تقاليد حكاية متميزة بنكهتها الجذابة، برقرقة إيقاعها الداخلي المناسب، رواية واحدة ومتعددة، نممات متنوعة باهرة، لوحات تشكيلية أخاذة، أسطورية غواية لا حد لها من الاثارة الوجدانية والغوص في أقصى مناطق الكائن الانساني. . تنوع ثري

بقلم:

د. عبد المالك

أزهون

- المغرب -

وقد تعامل الخراط مع اليوميات كنسق تعبيري مجرد، وجد خصوصيته في الكتابة الجديدة التي اعتمدت التحديث والتنوع، والنفس الخلاق في توظيف «اليوميات» إضافة الى اختلاط فصول اليوميات نصياً واختلال البعد التراتبي والزمني، هناك التناول المتعدد لليومية الواحدة عبر مساحات نصية متقطعة، مختلفة، من خلال التقديم والتأخير أو القطع والتضمين من جهة تصبح اليومية من جهة ثانية شتاتاً خطايا متفرقة ومتحققة على طول الفصول التسعة، بدون تتابع سببي أو زمني في لم فصول أحداث كل يومية على حدة.

والغموض الآخر هو الذي يتجلى في حدود اليوميات والرسائل والمذكرات .. حيث يتحقق الحد الواقعي، والحكي الذي ينظم الرواية هنا وهناك مشكلاً فضاءاً نصياً تخيلياً محايثاً للفضاء الواقعي، وبالتالي يصعب - أحياناً - فرز الواقعي عن التخيلي ذلك الفرز يعطي كل نسق تعبيري خصوصيته الانجاسية والتي درج بعض الادباء الالتزام بها كقوانين ملزمة.

تصبح رؤية الخراط الادبعية هدفاً أساسياً للاستيعاب والتمثل وبالتالي إعادة الانتاج الخلاق الذي «يجعل من الحدود الادبية بين الاجناس التعبيرية واهية في رقعة الابداع الرحبة والفسحة».

إنها الثورة الواعية على الاشكال الادبية الخاصة التي تم ترسيم حدودها حيث ساد الاعتقاد الغامض بـ «الرواية الخاصة» و«اليوميات الخاصة» وقس على ذلك .. إن هذه الهجنة مبررها عدم وجود جنس أدبي صاف وخالص. ولا يوجد جنس أدبي يشكل النموذج أو المعيار. والتفاضل بين الاجناس الادبية وهم مدرسي لا أقل وبالتالي ضرورة استحضر

إن جرأة الخراط الفنية في تأصيل الابداع الروائي تتجلى في اللباقة العالية التي تحلى بها الخراط وهو يتوسل اليوميات والرسائل والمذكرات وتعبيرات فرعية تعتبر - عادة - احتياطياً خاماً هائلاً طالما باغتنا كل مرة بتجلياته المباشرة أو الموحى إليها، حسب ما يتطلبه المقام التداولي دون إقحام مضغوط أو رجراج للتوظيفات المستثمرة في اقتصاد الرواية.

والتعاطي مع مكونات السرد الذاتي لم يفرض على الخراط ذلك الانضباط الصارم للمقولات المحددة لكل نسق تعبيري على حدة، وهو الخلط الظاهر الذي يسم مجموعة من الاعمال الروائية الحديثة من منطلق النظريات النقدية في الابداع الروائي، وهو ما يحيل هذه النصوص الى ترمينات تطبيقية جافة ومفرغة من حيوية النص النابض، المغمم بالنضارة الفنية اللازمة.

ففي فسيفساء المساحة النصية للرواية، نجدنا نتنقل بين هذه الانساق التعبيرية المتنوعة التي تزخر بها الرواية، دون استبداد نسق ما محدد. إن العمود الفقري للنص الخراطي هو هذه الهارمونيا التي يفلح من خلالها في اتقان التوزيع الفني المسترسل والمتناغم لهذه الانساق في الفضاء النصي للرواية، على غير تقليد، يوميات لا تتشكل بكل مقوماتها الاساسية: نصاً بدون رتوشات، تشطيبات مميزة لها دلالاتها، ارتعاشات الكتابة الكاليفرافية .. وأشياء أخرى تدخل في صميم العناصر المكونة لهذا الشكل التعبيري الذي له تقاليده وأعلامه في دائرة الادب الشخصي عامة، بالإضافة الى ما تتطلبه الكتابة «التراسلية» من شروط لتأسيس الميثاق التراسلي الذي هو دعامة هذا النسق التعبيري وقوامه.

الأدب بالمفهوم الدينامي المتغير، لانه متبدل بطبيعته وهذا لا يمنع من البحث الطموح لتأسيس شعرية لها أبعاد «عبر- أجناسية» تقوض التحديدات النظرية الجمركية الصارمة بين الأنواع الأدبية.

إن سر جاذبية الصنعة الروائية المتفردة للخرائط تكمن في هذا الاختراق الداخلي لكل مقومات الكتابة التقليدية، وقوانينها الصارمة حيث يصبح اكتساح كل المناطق الجمالية وتلمس تواتراتها وهزاتها، خارج اكراهات قوانين هذه الفنون استراتيجية لا محيد عنها ورهانا جماليا في افق تطوير الرواية العربية.

أفضية نوسطالجية عميقة:

إن بؤرة الحكي عند الخراط هي منطقة الذاكرة، وما يستتبعها من مفردات رديفة لها (التذكر، التذكير، الذكريات...) هذه الآلية الأساس في ادارة أسلوب الحكي، وفي توليد عدد لامتناه من العلاقات الارجاعية، تستحثنا لطرح السؤال الجوهرى:

- لماذا هذا الاختراق العارم لمسارب الذات الشخصية (السيرة الذاتية) - أو لما يدور في فلكها (اليوميات، المذكرات، الرسائل)؟

إن هذا الاكتساح العميق لمنطقة الذات عند الخراط هو جزء من استراتيجية «تمتد الى تلك المنطقة التي أسميتها مرة: منطقة «ما بين الذاتيات» وليست منطقة «الذاتية» وليست أيضاً منطقة التجريدات. أظن أن هذه المنطقة الغامضة هي ساحة العمل الفنى»[٢].

إن منطقة «ما بين الذاتيات» هي المدماك المتين الذي تنهض على أرضيته العمل الفنى عند الخراط، وفي هذا العمل تتمظهر قسمات هذه المنطقة الفنية الخصبة في الحضور الانزياحي لليوميات والرسائل والسيرة الذاتية في فضاء

المحكي ليعلن - جماليا - عن مزيج متفرد من الانساق التعبيرية المتفاوتة الحدود والاستعمالات ذات المقامات التداولية المختلفة.

فالتذكر عادة ما يتأسس على نسق زمني ماضوي، ممزوج بنوسطالجيا الطفولة حيث البراءة أو «الانسان الطبيعي» الذي لم ينتقل بعد الى مستوى «الانسان الاجتماعي» المسيح بمجموعة من الضوابط الصارمة التي تحدد وجوده داخل الجماعة والذي تسحقه اكراهات المجتمع وإلزاماته الكابحة لتطوره الطبيعي.

إن الصراع الدائر في النص بين بنيات متقابلة تتجسد في ثنائية الحب البهيمي التوافق الى الاختراق الجسدي المجونى، والحب العفيف الطاهر من جهة ثانية. يولد نزعة مهووسة الى الاقصاء لأحد طرفي المعادلة، هذا الصراع يفرز تساميا نحو «مثال» غائب في الزمن الماضي، يتمظهر خلاله زمن الطفولة المستعاد كبديل متسام ومتعال، في ظل سيادة النزعة العدوانية والفراغية البهيمية في العلاقات بين الشخصيات التي تحيل على معادلات موضوعية في الواقع الاجتماعي والذي تشكل الرواية المبلور الفني والجمالي لخصوصياته.

كما أن نفس السلوك الفردي لا يجد بداً من النظر الى المرأة كجسد للشباع الغريزي بل كروية رومانتيكية بأبهى معانيها وصورها كإحالة غير مباشرة لموضوع يستوعب أحزان وآلام «الانسان الاجتماعي» الدفينة الغامضة ويحتضن طموحاته الى الصفاء والبراءة وهو ما يصطلح عليه علماء النفس بـ «النزعة النكوصية» والتي تدفع «الانسان الاجتماعي» الى الرغبة الجامحة للعودة الى دفة الماضي الطفولي بله الى رحم الأم حيث يعيش خارج اكراهات المجتمع وأعبائه المتعددة... وهذا كله بالنسبة لنا يشكل أسلوبا للاحتجاج الصارخ على الوجود الاجتماعي وما

فيه من تقاليد وأعراف وسلط لا تنني تتعمق وتترسخ.

وبين «الانسان الطبيعي» و«الانسان الجمالي» يتموقع الخراط ليؤسس لنا القسمات الداخلية لـ «الانسان الجمالي» الذي يعتبر المرأة أكثر من هذا وذاك إنها الملهمة أو «الواهة» والباعثة على الخلق والإبداع.. وهذا كله مصوغ في بوتقة رومانتيكية وألفة الظلال بلا ضفاف.. زمنها الخصب هو الماضي وآلة استبعائه هي «الذاكرة».

وهذه التذكريات لا توصف عادة لذاتها ولكن لما تثيره في الذات المثخنة بأعباء الحاضر وقبوده وصروفه من خلجات واستيهامات مجللة بالعاطفة الصادقة، وبالنفس الطفولي البريء.. تذكارات متبقية من حب انهار، أو حلم تحطم.. كما تثير العاشق المعاصر ورده في كتاب أو صورة في مناسبة أو هدية متبقية بسيطة للذكرى، لا يمكن أن تقدر بشئ في ميزان العواطف.

وإذا كان ولع الخراط بالعوالم الرومانتيكية الحالة (الطفولة، المرأة الطبيعية) فإن حظ الطبيعة وازن في تأثيث الفضاء الرومانتيكي لتشكيل اللوحة الجميلة والفاتنة.. حيث يولجنا الخراط حدائق أنسه الزهرة، بيهائها الباذخ، وسحرها الباهر، وجماليتها اللامنتهية(*) .

فإذا كان الرومانسي التقليدي قد درج على المزج بين حالته النفسية وبين أحوال الطبيعة، بحيث تصاب بالحنن والكآبة حينما يكون حزناً، وتبتهج لابتهاجه، فإن الخراط يتجاوز هذه الثنائية التي باتت من إرث رومانسي كلاسيكي ولي.. فالحساسية الجديدة تجعل من رؤية الطبيعة لا كريدف للمزاج النفسي للشخصية الواصفة، بل كفضاء له استقلال خاص، يستمد هذه الخاصية من عناصر البهاء التي توفرها الطبيعة بمؤثثاتها لا «الانسان الجمالي» وهذا

كاف ليدفع الخراط لولوج هذا الفضاء الباهر، مستكشفا أسرار هذه الطبيعة وجمالياتها مبرزا ما كان خفيا ومستجليا ما استتر.. وفي إطار عمله هذا يقتطع صفحات يدعوننا فيها لاستكشاف مستتباته المزهرة والمخضرة.. بأسلوب تجسيمي رائع التشكيل تأخذ فيه الزهرة شكل الغادة الهيفاء.. وقد وضع الخراط بذكاء فني فيما مضى هوسه المفرط بالرومانتيكية قائلا: «القضية ليست قضية رومانتيكية، بل قضية العاطفة المغرقة التي أشعر أنني معرض لها.. فليس عندي مناعة إزاءها.. إن الواقع صلب وخشن ووعر وحاد.. ولا ينبغي أبداً أن يغفل المرء عن هذا الواقع وعن هذا النوع من المعادلة بين الاغراق في العاطفية والجوهر الآخر.. أليست الرومانتيكية هي الهوى المشبوب؟ ولكن المهم هو أن توضع في إطارها الحقيقي.. أو الواقعي، أو المتوازن»[٣].

وفي الأخير لا يجب أن تفوتنا الإشارة الى مميزات أخرى كاعتماد الخراط على التكتيف الحداثي، والإدهاش الرصين، والسرعة في تعاقب الصور الصغيرة التي نحسها تافهة في حياتنا اليومية، فإذا هي عبر العمل الفني وقائع ذات قيمة كبيرة.. من خلال سيادة الرؤية المجهرية الدقيقة للأشياء التافهة في حياة الانسان العادية وتلك إحدى مظاهر التحديث في الرواية العالمية عموماً.

الهوامش:

(١) انوار الخراط «مزرقة الاحلام المحيية» دار الاداب. بيروت ١٩٩٤، ط١.

(٢) مجلة «مواقف» العدد ٦٩ خريف ١٩٩٢، ص ٣٧.
(*) يفرد الخراط اكثر من صفحتين لوصف مستقبله المختار .. الا تحوان .. الخشخاش، عباد الشمس، والبانسية، والاس والخزامي والزعفران وسوسن المستنقعات والخلنج والذلى.
والرند والسبلة.. ص ٩٨ - ٩٩.

(٣) مجلة «فصول» والرواية وفن القص» المجلد الثاني العدد ٢، ١٩٩٢، صفحة ٣٢٧.

مسائل في الإرشاد والتثنية والجمع



بقلم:

أبو عبد الرحمن بن عقيل الظاهري
- الرياض -

- الأستاذ الشيخ «أبو عبد الرحمن بن عقيل الظاهري» واحد من معالم الفكر والأدب على مستوى عالمنا العربي .
- له جهد غير محدود في مجال الدراسات الأدبية واللغوية والثقافية، متفرد في عطائه في مجالاته المتعددة .
- يسعد المنهل وقراؤه بقلم الأستاذ الظاهري وبمشاركته العلمية هذه .
- على أمل تواصله مع قراء منهله .

كنت أحس بنشاط في التأليف والبحث، وأنجز العمل، وأنشط لتصحيح التجارب الأولى منه، ثم يدركني العجز والملل من مواصلة التصحيح والتعديل ويتعلق نشاطي بعمل آخر لا أكرر فيه جهدي . . وبهذا السبب تكدست لدي أسفار تنتظر معاودة التصحيح والتعديل . . بعضها مر عليه أعوام، وبعضها مر عليه شهور، فاضطرت إلى الاستعانة - بعد الله - بأخوين كريمين ضليعين في لغة العرب، بصيرين بدقائق الرسم الإملائي، فجليا عني غمة غماء في الإسراع بإنجاز أعمالي، وصححا لي ما ند عن بصري وبصيرتي من إصلاح، وما كنت أجهله أصلا، وترجع لي أن أعمالي مستقبلا ستصدر إن شاء الله سليمة الأداء محكمة البناء، وكنت قبل ذلك أعاني كثرة الطبع فيما نشر من مؤلفاتي مع أوشاب من اللكنة، وأخطاء في الرسم الإملائي . . لا أستثني سوى كتيب صغير أجهدت نفسي في تكرار تصحيحه - وهو كتيب الألوان من كتاب الفصل لابن حزم الذي صدر منذ بضعة عشر عاماً - فخرج كما أهوى بريئا من اللعل .

واستدرك أحدهما قولني في أحد كتبي التي يصححها: بقيمتي الحق والخير، وفني التصوير والنحت، ومفهومي الإحساس والإدراك، وطعمني التفاحة الحمراء والخضراء، ومعني الإشعاع والإحراق .

وقلت أيضا: وهو مذهب المفكر المعاصر أوزبورن في كتابيه نظرية الجمال، وعلم الجمال والتقدير .

وقلت: «إنه تفريق مثلا بين أساليب طه حسين والزيات وسيد قطب ودريني خشبة، وأساليب الهمداني والحيري» .

ولم يرتض لي هاته التعبيرات وهداني إلى قول

الدكتور بكر أبو زيد: «لم أقل مصنفي ولا مسندي؛ لأن قاعدة العطف [أن العطف] يكون على المضاف لا على المضاف إليه، فكأن السياق: مصنف عبد الرزاق ومصنف ابن أبي شيبة .. أما لو قلت: «مصنفي عبد الرزاق وابن أبي شيبة» فكأنما قيل: مصنفي عبد الرزاق، ومصنفي ابن أبي شيبة، فتنبه، وانظر: «قطوف أدبية» لعبد السلام هارون: (ص ٤٦٢) [١].

قال أبو عبد الرحمن: ها هنا أمور مختلطة، وتحقيقها يفيد قراء المنهل، لهذا أنقل هذه المهاتفة من مقدمة كتابي «مبادئ في نظرية الشعر والجمال» الذي سيرى النور قريباً إن شاء الله.

وكل ما ذكرته تعبير سليم صحيح على الأصل، وبيان ذلك أنك تقول: لا بد من التقيد بقيمتي الحق والخير .. والمراد قيمة الحق معطوفة على قيمة الخير .. وليس المراد أن للحق قيمتين وأن للخير قيمتين، فيكون التقدير: لا بد من التقيد بقيمتي الحق وقيمتي الخير .. فتكون القيم أربع .. وإذا أردت هذا المعنى فلا بد أن تظهر المعطوف، فنقول: بقيمتي الحق وقيمتي الخير.

وقولك: «لا بد من التقيد بقيمتي الحق والخير»: لا ينصرف فيه الذهن إلى غير قيمتين فحسب واحدة للحق، وأخرى للخير .. والبرهان على ذلك ثلاثة أمور:

أولها: أن التعبير اصطلاح فلسفي، وقد جرى الاصطلاح على أن الحق في ذاته قيمة .. إلا أن الحق أخص، لأن القيم متعددة، فالإضافة لتمييز المضاف مثل حب بر .. وليس في العرف الاصطلاحي أن الحق أكثر من قيمة إذا قوبل بالقيمتين الباقيتين وهما الخير والجمال، وإنما يقال: قيم الحق - إذا لم تذكر القيمتان الأخريان - والمراد البراهين والأحكام.

وثانيها: أن العطف في الأصل على أقرب مذكور، وأقرب مذكور الحق، فالعطف إذن عطف مضاف إليه على مضاف إليه، فتكون القيمتان مضافتين إلى المضاف والمعطوف عليه معاً .. هذا هو الأصل حتى يقوم برهان على خلافه، وقد أسلفت البرهان على أن خلاف هذا الأصل غير محتمل، فقام لنا برهانان في توجيه الكلام بعطف الخير على الحق: أحدهما برهان الأصل، وثانيهما

برهان امتناع غير الأصل.

وثالثها: أن الأصل عدم التقدير، فلا يرد احتمال: قيمتي الحق وقيمتي الخير.

وأما الاحتجاج بقوله تعالى [على لسان داوود وعيسى] حيث أقرد المضاف إلى اثنين ولم يقل: «لساني» فغير وارد هاهنا، ولا يعني أن القاعدة إفراد المضاف بإطلاق، بل يعني خروج هذا المثال عن الأصل - بناء على أحد الاحتمالين في تفسير الآية الكريمة - وفق قاعدة متحققة وهي التخفيف على اللسان مع أمن اللبس وتعين المراد .. ويأتي شرح ذلك بعد أسطر إن شاء الله.

ولو قيل: «لا بد من التقيد بقيمة الحق والخير»: لتعين أن المراد قيمة واحدة مشتركة.

وهكذا توجه بقية الأمثلة: فني التصوير والنحت، وأساليب طه والزيات ... الخ.

وقولي عن أوزيرون: «في كتابيه نظرية الجمال، وعلم الجمال والنقد» أصح من قول: «في كتابه نظرية .. الخ» لأن الاحتمال يرد بأن العنوانين اسم كتاب واحد إلا بتقدير: في كتابه نظرية الجمال، وكتابه علم الجمال .. وهذا تقدير لغير الظاهر وإلغاء للظاهر، والأولى حمل الكلام على ظاهره ما دام غير ممتنع.

والصواب ما أنكره شيخنا العلامة الدكتور بكر أبو زيد، وهو: مصنفي عبد الرزاق وابن أبي شيبة .. ولا يجوز مصنف - بالإفراء - إلا إذا كان المصنف من تأليفهما معاً.

وما نقله الدكتور إنما هو رأي أنستاس الكرمللي الخاطيء، وليس رأي عبد السلام هارون الصحيح.

ودعوى أن القاعدة «العطف على المضاف لا المضاف إليه» يدفعها قاعدة أن العطف على أقرب مذكور.

وإنما يكون العطف على المضاف عند إظهار المعطوف إذا قلت: قرأت مصنف عبد الرزاق ومصنف ابن أبي شيبة .. فتجعل مصنفاً الثانية منصوبة لأنها معطوفة على مصنف الأولى، وأهملت قاعدة العطف على أقرب مذكور، لأن الخبر عن المضاف وليس عن المضاف إليه .. أي أن تعلق فعل القراءة بالمضاف.

والخلاف هاهنا ليس في عطف مضاف موجود

وقد أشرت إلى لغة القرآن، ولعلك تعني ما جاء في قوله تعالى: {على لسان داوود وعيسى بن مريم} حيث أفرد (لسان) .. وهذه مسألة خلافية بعيدة عن مسألتنا، وهي مسألة الإضافة إلى متضمنين مفرقين [٥] باعتبار أن اللسان جزء من داوود وعيسى عليهما السلام، وانظر تفصيلها والخلاف فيها في همع الهوامع (٥/١) في نهاية باب الجمع [٦].

أما مسألتنا هذه فهي إضافة ما ليس جزءاً مما أضيف إليه، فكلمة (معجم) ليست جزءاً من أحد الشخصين .. ومذهب البصريين فيها أن ما ورد على خلاف الأصل - وهو المطابقة - فمسموع، وقاسه الكوفيون .. أما ابن مالك فقاسه إذا أمن اللبس .. واللبس في مسألتنا هذه غير مأمون كما أسلفت .. فما ذهب إليه في عبارتي هو الأرجح الأصوب عند النحاة [٧].

قال أبو عبد الرحمن: إذن إحالة المنع من عبارة «معجمي» إلى عبد السلام من التقييش السريع .. وقبل تحقيق هذه المسألة أحب إيراد شيء من كلام المعربين للآية من سورة المائدة، وشيء من نصوص همع الهوامع.

فأما الآية الكريمة فقد تكلم عن تأويلها السمين بقوله: «وجاء» قوله على لسان بالإفراد دون التثنية والجمع، فلم يقل: على لساني، ولا على ألسنة؛ لقاعدة كلية، وهي: أن كل جزأين مفردين من صاحبيهما إذا أضيفا إلى كليهما من غير تفريق جاز فيهما ثلاثة أوجه: لفظ الجمع - وهو المختار - ويليه التثنية عند بعضهم، وعند بعضهم الإفراد مقدم على التثنية، فيقال: قطعت رؤوس الكباشين .. وإن شئت: رأسي الكباشين .. وإن شئت: رأس الكباشين .. ومنه: {فقد صفت قلوبكما} .. فقولي: جزأين تحرز من شيئين ليسا بجزأين نحو درهميكما، وقد جاء: من بيتكما وعمائمكما وأسيافكما لأمن اللبس .. ويقول: مفردين من نحو العينين واليدين .. فأما قوله تعالى: {فاقطعوا أيديهما} ففهم بالإجماع .. ويقول: من غير تفريق تحرز من نحو قطعت رأس الكباشين: السمين والكباش الهزيل، ومنه هذه الآية فلا يجوز إلا الإفراد .. وقال بعضهم: هو مختار .. أي فيجوز غيره، وقد مضى تحقيق هذه القاعدة في سورة المائدة بكلام طويل فليكن بالانقفاة [٨].

ظاهر، وإنما الخلاف في تقدير ذلك المضاف ما يترتب عليه إلقاء الظاهر وهو عطف ابن أبي شيبة على أقرب مذكور وهو المضاف إليه عبد الرزاق .. وليس كل الناس يعلم أن عبد الرزاق وابن أبي شيبة - أو غيرهما - لم يشتركا في مصنف واحد، وإنما يعلم ذلك جمهور الخاصة، فلا نلبس على غير العالم ونقول: مصنف عبد الرزاق وابن أبي شيبة ونحن نريد مصنف كل واحد منهما ..

قال أبو عبد الرحمن: إذن الأصل حمل الكلام على ظاهره، وهو أن كل مفرد أو مثني أو جمع أحيل إلى مفرد أو مثني أو جمع فظاهره أن المضاف للمضاف إليه إذا كان واحداً، وأنه مشترك إذا كان المضاف إليه أكثر من واحد.

ويرد في كلام العرب خلاف هذا الأصل من أجل سنة العرب في طلب السهولة على اللسان في النطق .. وتحقيق هذا المطلب مشروط بأمن اللبس .. أي تعين المراد بغير احتمال معتبر، ومن هنا أسوق تحقيق العلماء لنماذج ما خرج عن الظاهر وكان أرجح من الظاهر للخفة وأمن اللبس مبتدأ بكلام أنستاس الكرمل الذي فنده الأستاذ عبد السلام هارون.

قال أبو عبد الرحمن: ورجعت لعبد السلام هارون، فوجدته يورد كلام أنستاس الكرمل وهو يتعقب تعبيرات لعبد السلام منها عبارته «معجمي استينجاس وريتشارد سن» فيقول: «وهذا تعبير مولد لا تعرفه لغة القرآن، وقد أُولع به المعاصرون، واستعمله صاحب تاج العروس والمصباح وغيرهما من اللغويين في إيراد شروجهم لبعض الكلم .. ولو فكروا قليلاً لعدلوا عنه؛ لأن معناه أن لاستينجاس معجمين وريتشاردسن أيضاً معجمين؛ إذ قد يكون للمؤلف الواحد تأليفان [٢] .. فالعطف يكون على المضاف لا على المضاف إليه [٣]؛ فكأنك تقول: معجمي استينجاس ومعجمي ريتشاردسن .. والصواب معجم استينجاس وريتشاردسن [٤].

ثم رد عبد السلام على أنستاس بقوله: «ليت شعري كيف نفرق بين وجهي هذه العبارة - التي جعلتها الصواب - إذا أريد بها مرة أن لكل واحد من الشخصين معجماً خاصاً، وأريد بها مرة أخرى أن الشخصين اشتركا في وضع معجم واحد؟

وعن قول الله تعالى: **{والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما}** (سورة المائدة/ ٢٨) قال السمين: قوله: **{أيديهما}** جمع واقع موقع التثنية لأمن اللبس؛ لأنه معلوم أنه يقطع من كل سارق يمينه، فهو من باب **{صغت قلوبكما}**، ويدل على ذلك قراءة عبد الله: **{فاقطعوا أيماهما}**.

واشترط النحويون في وقوع الجمع موقع التثنية شروطاً من جملتها: أن يكون ذلك الجزء المضاف مفرداً من صاحبه [٩] نحو قلوبكما، وروؤس الكباشين؛ لأمن الإلباس [١٠] بخلاف العينين واليدين والرجلين لو قلت: فقأت أعينهما وأنت تعني عينيهما، وكتفت أيديهما وأنت تعني يديهما. لم يجز للبس [١١].. فلو لا أن الدليل دل على أن المراد اليدين اليمنيان لما شاع ذلك، وهذا مستفيض في لسانهم - أعني وقوع الجمع موقع التثنية بشروطه - قال تعالى: **{فقد صغت قلوبكما}**.

ولنذكر المسألة فنقول: كل جزأين أضيفا إلى كليهما [١٢] لفظاً أو تقديرًا وكانا مفردين من صاحبيهما جاز فيهما ثلاثة أوجه: الأحسن الجمع، ويليهِ الأفراد عند بعضهم، ويليهِ التثنية.. وقال بعضهم: الأحسن الجمع ثم التثنية ثم الأفراد نحو: قطعت وروؤس الكباشين، ورأس الكباشين، ورأسي الكباشين.. قال:

ومهمهين قذفين مرتين

ظاهراهما مثل ظهور الترسين
فقولي: «جزآن» تحرز من الشينين المنفصلين لو قلت: قبضت دراهمكما.. تعني درهماً لم يجز للبس [١٣].. فلو أمّن جاز كقوله: اضرباه بأسيا فكما، وإلى مضاجعكما [١٤].

وقولنا «أضيفا» تحرز من تفرقهما كقوله: **{علي لسان داود وعيسى بن مريم}** [١٥].. وقولنا «لفظاً» تقدم مثاله، فإن الإضافة فيه لفظية [١٦].. وقولنا «أو تقديرًا» نحو قوله:

رأيت بني البكري في حومة الوغى
كفاغري الأفواه عند عرين
* فإن تقديره كفاغري أفواههما.

وقولنا «مفردين» تحرز من العينين ونحوهما. وإنما اختير الجمع على التثنية وإن كانت الأصل: لاستثقال توالي تثنيتين.. وكان الجمع

أولى من المفرد لمشاركته التثنية في الضم [١٧].. وبعده المفرد لعدم الثقل [١٨].. هذا عند بعضهم.. قال: لأن التثنية لم ترد إلا ضرورة كقوله:

هما نفتاً في في من فمويهما

على التابع العاوي أشد رجاء
بخلاف الأفراد فإنه ورد في فصيح الكلام، ومنه مسح أذنيه ظاهرهما وباطنهما..
قال بعضهم: الأحسن الجمع ثم التثنية ثم الأفراد كقوله [١٩]:

حمامة بطن الواديين ترنمي

سقاك من الغر الغواذي مطيرها
وقال الزمخشري: **{أيديهما}** يديهما، ونحوه: **{فقد صغت قلوبكما}** اكتفى بتثنية المضاف إليه عن تثنية المضاف، وأريد باليدين اليمنيان بدليل قراءة عبد الله: **{والسارقون والسارقات فاقطعوا أيماهم}**.. ورد عليه الشيخ [٢٠] بأنهما ليسا بشينين، فإن النوع الأول [٢١] مطرد فيه وضع الجمع موضع التثنية.. بخلاف الثاني فإنه لا ينقاس [٢٢]: لأن المتبادر إلى الذهن من قولك: «قطعت أذان الزيد» أربعة الأذان.. وهذا الرد ليس بشيء لأن الدليل دل على أن المراد اليمنيان [٢٣].

وعن قول الله تعالى: **{إن تتوبا إلى الله فقد صغت قلوبكما}** (التحريم/ ٤) قال السمين: **{و[قلوبكما]}** من أفصح الكلام حيث أوقع الجمع موقع المثني استثقالاً لمجيء تثنيتين لو قيل: قلباكما.

ومن مجيء التثنية قوله:

فتخالسا نفسيهما بنوافذ

كنوافذ العبط التي لا ترفع
والأحسن في هذا الباب الجمع، ثم الأفراد، ثم التثنية.. وقال ابن عصفور: لا يجوز الأفراد إلا في ضرورة كقوله:

حمامة بطن الواديين ترنمي

سقاك من الغر الغواذي مطيرها
وتبعه الشيخ وغلط ابن مالك في كونه جعله أحسن من التثنية، وليس بغلط لليلة التي ذكرها [٢٤]، وهي كراهة توالي تثنيتين مع أمن اللبس [٢٥].

قال أبو عبد الرحمن: نلخص من هذا التالي:

١ - يضاف الجمع إلى المثنى والمراد المثنى لا للجمع كقوله تعالى: {فقد صغت قلوبكما} فإنما المراد به: قلب كل واحد منكما .. فهما قلبان لا قلوب.

والمسوغ لذلك التخفيف على اللسان: لأنه لو قال: «قلباكما» لثقل الكلام بتوالي تثنيتين. وشرط الأخذ بهذا المسوغ أن يكون الجمع غير متحقق واقعاً .. فأما الآية من سورة التحريم فاللبس مأمون يكون الاثنان ذوي قلبين فحسب .. لكل واحد قلب واحد.

وأما الآية من سورة المائدة عن السارق فتحتمل قطع الأيدي الأربع، إذ لكل سارق يداً، ولكن لما وجد البيان الشرعي من خارج الآية بأن القطع لليمين فحسب علم أن الأيدي بمعنى التثنية على نحو {صغت قلوبكما} لأنه ليس للسارقين غير يمينين.

٢ - إذا كان المضاف جزءاً واحداً من المضاف إليه، وكان المضاف إليه مثنى جاز فيه أيضاً أن تجعل المضاف مفرداً فتقول: قطعت رأس الكبشين .. والمعنى رأس كل واحد منهما.

ووجه ذلك أن هذا المعنى متعين لا يحتمل غيره؛ لأن الكبشين لا يشتركان في رأس واحد فتحمل الأفراد على الرأس المشترك، ولا يجوز حمل المفرد على رأس واحد منهما فحسب، فلم يحتمل العقل غير أن المراد رأس كل واحد منهما .. فمال المفرد حينئذ إلى معنى التثنية، وساغ التعبير بالمفرد أن معنى التثنية متعين واقع، وأن المفرد على تقدير لا يحتمل معه غير معنى الاثنان، وذلك بتقدير «كل واحد من» أي قطعت رأس كل واحد من الكبشين.

٣ - ومن شواهد الأفراد قول الشماخ: حمامة بطن الواديين ترنمي

سقاك من الغر الغواذي مطيرها
لم يقل الشاعر: فاغري الفوهين، وإنما قال: فاغري الأفواه، فعلم أن المراد التثنية، لأنه ليس لهما غير فوهين.

والأفواه متعين إضافتهن إلى المثنى وهو ضمير الفاعلين. ولو أريد أفواه غيرهما لبقى الجمع على حقيقته، لأنك ستطلب معنى الجمع من أكثر من فاجر.

وذكر الشنقيطي شواهد مع الهوامع فقال:

«حمامة بطن الواديين ترنمي
سقاك من الغر الغواذي مطيرها»
استشهد به على وضع المفرد موضع المثنى، والأصل: بطني الواديين.

قال أبو حيان: ومن العرب من يضع الجمع موضع الاثنان، ووجه ذلك أنه لما أمن اللبس، وكره الجمع بين تثنيتين فيما هو كالكلمة الواحدة: صرف لفظ التثنية الأولى إلى لفظ المفرد؛ لأنه أخف من الجمع، وذلك قليل جداً لا ينبغي أن يقاس عليه، ومنه قوله: حمامة بطن الواديين. الخ .. أراد: بطني الواديين فأفرد. وهذا البيت لتوبة بن الحمير[٢٦]. وقال:

بما في فؤادينا من الهم والهوى
فيجبر منهاض الفؤاد المشغف
استشهد به معطوفاً على ما قبله، واستشهد به أبو حيان على وجه أصرح وأبين، ولفظه: ومن العرب من يخرج اللفظ على أصله من التثنية، فيقول: قطعت رأسي الكبشين، وذلك قليل أهد.

ومنهاض الفؤاد الذي أصاب فؤاده هيض .. أي كسر بعد جبر .. والمشغف: الذي أصاب الحب شغاف قلبه، وهو رأسه عند معلق النياط. والبيت من قصيدة طويلة للفرزدق[٢٧]. وقال:

ننود بذكر الله عنا من السرى
إذا كان قلبانا بنا يجفان
الشاهد فيه كالذي قبله.

قال أبو حيان في شرح التسهيل: وقال الأستاذ أبو الحسن بن عصفور: وقد ذكر للقياس من وضع الجمع كوضع التثنية، فقال: قطعت رؤوس الكبشين .. هذا هو المختار، ومن العرب من يخرج اللفظ على أصله من التثنية، فيقول: قطعت رأسي الكبشين، وذلك قليل .. قال الفرزدق: بما في فؤادينا .. إلخ .. وقال الآخر: ننود بذكر الله .. إلخ اهـ.

وهذا البيت أظنه لعروة بن حزام أو لكعب صاحب ميلاد[٢٨]. وقال:

هما نفسا في في من فمويهما
على النابح العاوي أشد رجام
* الشاهد فيه كالذي قبله.

وفي شرح التسهيل لأبي حيان: وقد جمع

الشاعر بين اللغتين، وأنشد البيت .

وضمير المثني في قوله: «هما نفثا في في»
إبليس وابنه المذكورين في بيت قبل الشاهد .
وفي البيت أيضا الجمع بين البذل والمبدل منه،
وهما الميم والواو .

قال سيويوه: وأما فم فقد ذهب من أصله
حرفان؛ لأنه كان أصله فوه، فأبدلوا الميم مكان
الواو، فهذه الميم بمنزلة العين نحو ميم دم تثبت في
الاسم، فمن ترك دم على حاله إذا أضيف ترك فم
على حاله، ومن رد إلى دم اللام رد إلى فم العين،
فجعلها مكان اللام، كما جعلوا الميم مكان العين
وأنشد البيت .

ونفثا أي ألقيا على لساني يعني إبليس وابن
إبليس؛ لأنه مما يقال: إن لكل شاعر شيطانا،
والنايح هنا أراد به من يتعرض للهجو والسب من
الشعراء، وأصله في في الكلب . . ومثله: العاوي
والرجام مصدر راجمه بالحجارة . . أي راماه،
وراجم فلان عن قومه إذا دافع عنهم . . جعل
الهجا في مقابلة الهجا كالمراجعة لجعله الهاجي
كالكلب النايح .

والبيت آخر قصيدة للفرزدق قالها في آخر
عمره تائبا إلى الله تعالى مما فرط منه في
مهاجاة الناس، وذم فيها إبليس، لإغوائه إياه في
شبابه [٢٩] . وقال:

فتخالسا نفسيهما بنوافذ

كنوافذ العبط التي لا ترقع
الشاهد في قوله: «فتخالسا نفسيهما» وتقديم ما
في هذا النوع . وقال ابن الأثير: والأكثر
فتخالسا أنفسهما، لأن كل شيئين من شيئين: [٣٠]
يثنيان بلفظ الجمع كقولك: ضربت صدورهما
وظهورهما . . قال الله تعالى: {فقد صغت قلوبكما}
والضمير للشجاعين المذكورين قبل هذا البيت في
عدد أبيات من قصيدة أبي نؤيب الهذلي
المشهوره [٣١] . . ومن الله أستمد العون،
وأستلهم الرشد .

الهوامش:

- (١) تحريف التصويص من مأخذ أهل الأهواء في الاستدلال ص ٨٢ .
- (٢) قال أبو عبد الرحمن: ليس هذا بصحيح، بل إرادة هذا المعنى تعبير آخر
وهو الإظهار، فيقول: معجمي فلان، ومعجمي فلان .
- (٣) وذلك عنما يكون المضاف الآخر ظاهراً، أو قام البرهان بلا ليس أنه

متعين التقدير . ولا تعين هاهنا؛ لأنه ليس كل أحد يعلم أن لكل واحد من
المذكورين معجماً مستقلاً، بل يحتل الجاهل أنهما اشتركا في تاليفه .

(٤) قطوف أدبية ص ٤٦١ - ٤٦٢ .

(٥) أي مفرقين بالعلف .

(٦) قال أبو عبد الرحمن: لا لية احتمالان: أحدهما: أن يكون المراد باللسان
اللغة، وحديثه يكون لسان داود وعيسى عليهما السلام واحداً، فالكلام على
ظاهره . وثانيهما: أن يكون المراد باللسان الجارحة، فحينئذ يتعين أن المراد
لسانتان بتعين تقدير مضاف آخر هكذا . . لسان داود ولسان عيسى، لأنه متعين
بالضرورة أن لكل واحد لساناً، وأنهما غير مشتركين في لسان واحد . . فلما أمّن
اللسان بهذا التعين اختبر الإفراد لأنه أخف .

(٧) قطوف أدبية ص ٤٨٥ .

(٨) الدر المنصور ٣٨٧/٤ .

(٩) أي أن الواحد من المضاف كالكاتب (مفرد القلوب المضافة إلى المثني) جزء
واحد من المضاف إليه وليس جزأين فالكسر كالبدلين، فلا يقع الجمع حينئذ موقع
التثنية، لأنه لو جعل بمعنى المثني لكان في ذلك إلقاء لقتضى الجمع بلا برهان . .
والجمع هو الدلالة المستحصنة، لأن عند كل رجل دين ثنتين، وللثني زير، وذلك
جمع . وإنما حملت آية السرقه من سورة المائدة على التثنية لأنه قام البرهان على
أن المراد جزء واحد لا يوجد في الفرد غيره وهو اليد اليمنى، فليس للإنسان غير
يمين واحدة .

(١٠) وجه اللبس أن قولك لثنتين: «عصوبكما» ظاهر في الجمع، لأن لثنتين
أربع أعين، فلو جعل الجمع لالتبس المثني بالجمع، ولما اقتضى الأمر التوقف في
دلالة «عصوبكما» حتى يأتي مرجح من خارج يعين هل المراد المثني أو الجمع .
وأجود من التعيير بأن اللبس أن تقول: إن حمل الجمع على المثني حينئذ إلقاء
لظاهر وهو الجمع، وأعمال لغير الظاهر وهو التثنية بلا برهان .
(١١) أي لم يجز حمل الجمع في قوله: «أعينهما» على معنى المثني، لأن
الظاهر المجمع، إذ لهما أربع أعين .
(١٢) كالكاتب فإنه جزء واحد من الإنسان ليس له غير قلب واحد . . قال
تعالى: {ما جعل الله لرجل من قبلين في جبهه} (الأحزاب/٤) . فالقلب جزء والرجل
كل .

(١٣) لأنه لم يقع برهان على أنه ليس عندهما غير درهمين .

(١٤) الضرب بالأسياف يحتمل معنى التبعاض فلا يحمل على التثنية، لأن الفرد
قد يجادل بسيفين في المرة الواحدة، وقد يجادل طرفاً واحداً بأكثر من سيف في
عدة مرات . . إلا أن هذا خلاف العادة . والمضاجع إذا أريد بهما الزمان الواحد
فلا لبس، وإذا لم تتر وحدة الزمان فقد يكون للإنسان أكثر من مضجع في عدة
أماكن .

(١٥) أي لم يقع، «على لسانيهما» فكأن الإضافة إلى مثني .

(١٦) أي مثل «قلوبكما» و«رؤوس الكيشين» فإن الرجلين والكيشين مثنيان لغناً
لا تقدير .

(١٧) فالتثنية ضم واحد إلى واحد، والجمع ضم أكثر من واحد .

(١٨) التعليل قاصر هاهنا، لأن عدم التعليل مشترك بين الجمع والتثنية . . وإنما
يقال: يعبر بالجمع والمفرد معاً في المسألة المذكورة؛ لأن توالي تثنيتين مستثقل
وقدّم الجمع على المفرد على الرغم من اشتراكهما في الخفة؛ لأن الجمع يشترك
المثني في معنى الضم .

(١٩) وجه هذا التفضيل فيما يظهر لي أن التثنية هي الأصل فقدمت على
المفرد لجرور الخفة، وقدم الجمع للخفة لأمر آخر غير مجرد الخفة وهو مشاركة
المثني في الضم .

(٢٠) هو أبو حيان التوحيدي .

(٢١) وهو قوليكما .

(٢٢) وهو الأبيدي، لأن للفرد أكثر من يد . ورد السمين على شقيقه أبي حيان
وجيه جيد، وكلام الزينخسدي صحيح .

(٢٣) الدر المنصور ٣٦٢/٤ - ٣٦٤ .

(٢٤) في بقايا التثنية أولى من الإفراد، والإفراد جائز بما جاز به الجمع من
الخفة حسب الشريد المذكورة .

(٢٥) الدر المنصور ٣٦٦/١ .

(٢٦) الدر اللوامع على فمع الهوامع شرح جمع الجوامع في العلوم العربية
١٥٥ - ١٥٤/١ .

(٢٧) الدر اللوامع ١٥٥/١ .

(٢٨) الدر اللوامع ١٥٥/١ - ١٥٦ .

(٢٩) الدر اللوامع ١٥٦/١ - ١٥٧ .

(٣٠) يجتم في مثل هذا وضع نقطتين فوق بعض؛ ليلم أن ما بعدهما خبر
وليس وصف .

(٣١) الدر اللوامع ١٥٨/١ .



المخدرات والجريمة:

تعاطى المخدرات يدخل ضمن العوامل
التي تحرك وتوقظ وتشكل الميول
الإجرامية الكامنة في نفوس المدمنين
وذلك بعد أن يهدىء المخدر
ويقلل الكوامن
النفسية التي
تتصدى للدعوة الى
الجريمة سواء أكانت
غريزة سامية أم خوفاً
من عقوبة وعندما تسود العوامل
الإجرامية يزداد الشخص جسارة وبعد

شئ من التردد يدخل الشخص فى
مرحلة التصميم التى يمر فيها بسهولة الى
العمل الإجرامى، فيرتكب جرائم السرقات

وجرائم العنف وجرائم الجنس وغيرها من الجرائم
المماثلة.



أحمد اسماعيل عبد الكريم

- مصر -



احراق شجيرات «الكوكا»

وقد تتسلط على المدمن عقدة الغيرة الوهمية نتيجة لفشله في أداء مهمته كزوج، فيتهم زوجته بالخيانة، وقد يخيل إليه أحياناً أن زوجته تنوي به شراً ، أو انها تفكر في الاقدام على قتله فيعتدى عليها بالضرب والإيذاء وقد يصل به الأمر الى قتلها، أو قد تقدم هى عليه فتقتله رداً على اعتدائه عليها بالضرب المبرح، أو الشتم اللاذع المقززع، والجرائد والمجلات تزخر بهذه الحوادث والمحاكم والنيابات، وحسبنا ما جاء فى كتاب القرآن والطب للأستاذ محمد وصفى «الزنا والخمر صنوان وتحف بهما كل الرذائل المعروفة في العالم

كالدعارة والفحش والفجور وسوء الخلق وفساد النفس والخبث والغدر والنفاق والخديعة والرياء وغير ذلك من الصفات الخلقية الدنيئة وإنك لا تجد مجرماً لا يسكر ولا تجد سكيراً غير مجرم. ١٠٠ هـ

فى حالات الادمان التى يفقد فيها الوعي ويهيمن فيها المخدر على عقل صاحبه ترتكب فيها أبشع الجرائم فى حق النفس كما فى حق الغير، فقد تهون النفس على المدمن فلا يجد أمامه شيئاً إلا أن ينتحر فيزهق روحه، هذا غير أن المخدرات ذاتها تؤدى إلى قصر الأجل والفقر والمرض والانهبوط الخلقى ولقد اثبتت الإحصائيات الأمريكية وما أدقها

واكثرها أن ٤٠٪ من حالات الانتحار بين المراهقين هي بسبب المخدرات والمسكرات وتؤكد الاحصائيات التي خرجت من دراسات علمية موثوقة وموثقة أن أكثر من ٧٠٪ من الذين ألقى القبض عليهم في حوادث السطو كانوا من المدمنين على تعاطي المخدرات. وفي دراسة خاصة أجريت على طائفة من السفاحين والقتلة وجد أن ٨٦٪ من كل المتهمين كانوا قد تناولوا الخمر قبل ارتكاب جرائمهم النكراء.

ولما كان مدمن المخدرات متقلب العواطف يكره ويحب بسرعة كما أنه سيء الظن وقد يضرب أقرب الناس إليه ويتلذذ بتعذيب غيره واهانتة [٢] ويجد السعادة في تنغيص حياة وجرح مشاعر الآخرين لذلك فإننا نجد أن عصابات تهريب المخدرات تتسم بالشراسة وفرض السيطرة على المناطق التي تعمل بها وقد يكون الموت جزاء من يظن به الإبلاغ عن أحد أفرادها ومكان اجتماعها.

وتؤكد بعض التقارير أن عصابات تهريب المخدرات تميل إلى ممارسة العنف ضد كل من تتصورهم أعداء لها وضد عائلاتهم ومستخدميههم وغيرهم من الأبرياء الذين تربطهم بهم صلة.

وقد ارتكبت هذه العصابات مؤخراً في ميامي ولوس انجلوس ونيويورك

عدداً كبيراً من جرائم القتل قطعوا فيها الرعوس وبتروا فيها الأطراف وكان بعض القتلى من الأطفال الأبرياء وقد وقعت أكثر هذه الجرائم في وضوح النهار أمام المارة في المنتزهات العامة أو: الطرق الرئيسية، كما حدث البعض في النوادي الليلية على مرأى ومسمع من روادها، والشواهد تدل على أن بعض عصابات المافيا تميل إلى العنف أكثر من عصابات تهريب الكوكايين، وقد حفلت الصحف بأنباء التصفيات الجسدية وحروب المافيا التي ارتكبتها هذه العصابات.

- كثيراً ما يستغل مهربو المخدرات وتجارها المتعاطين ويستخدمونهم كمعاونين لهم في عمليات التهريب، وبذلك ينقلونهم من مرحلة التعاطي الى مرحلة أشد خطورة. وقد شاهدنا كثيراً من هذه النوعيات في الجرائد والمجلات.

- إذا ما صدر الحكم على المتعاطي أو تاجر المخدرات وتم إيداعه مع غيره من المحكوم عليهم في جريمة سرقة، أو قتل أو أى جريمة من الجرائم، فإنه يحاول استمالتهم له لارتكاب جرائم أخرى وكثيراً ما تجد العصابات الخطيرة في المتعاطين صيداً سهلاً للعمل معهم في حقل نشاطهم الإجرامي.

الادمان وارتفاع نسبة الحوادث:

اظهرت
الأبحاث أن
الحشيش يؤثر
على مجموعة
كبيرة من
المهارات اللازمة
للقيادة السليمة،
فالتفكير السليم
والاستجابة
السريعة



مدمن يتعاطى مادة الميثامفيتامين لتعوضه عن مخدر الهيروين

كأساً من الخمر مع تدخين سيجارة من الحشيش، فإن وقوع حادث يصبح أكثر احتمالاً ولذلك فإن تعاطي الحشيش يشكل خطورة محققة على قيادة السيارات [٣].

كما نجد أن حوالي ٦٪ من طلاب السنة النهائية في المدارس الثانوية هم من الذين يشربون الخمر يومياً وكثير من هؤلاء الطلاب يذهبون إلى المدرسة وهم مخمورون، بل انهم يشربون في حالة قيادة السيارات مما يزيد الامر خطورة، وقد أدى ذلك إلى مقتل ٧٧٪ في حوادث السيارات بما يصل إلى

يضعف أدائهما مما يجعل من الصعب على السائق أن يستجيب بسرعة لطارئ مفاجيء كما أن قدرة السائق على الالتزام بحارة معينة خصوصاً في المنعطفات وعلى استعمال الفرامل بسرعة، والاحتفاظ بسرعة منتظمة، وبمسافة مناسبة بينه وبين السيارات الأخرى يعتبر صعب المنال في ظروف استعمال الحشيش، وقد اظهرت الابحاث أن هذه المهارات تظل ضعيفة لمدة تتراوح بين ٤ - ٦ ساعات بعد تدخين سيجارة واحدة من الحشيش بعد زوال فترة التأثير، وإذا احتسى السائق

الداخلية أجهزة الإعلام والمدارس ودور العبادة إلى مساعدة الحكومة في التصدي لتخفيض معدلات الجريمة، وكان تقرير خطير قد صدر عن وزارة الداخلية يشير إلى أن هناك ست جرائم ترتكب كل دقيقة واحدة في بريطانيا وأشار إلى أن معدل الجريمة قد ارتفع في عام ١٩٨٦م بنسبة ٧٪ عنه في عام ١٩٨٥م وقد وصل عدد الجرائم التي ارتكبت في العام الماضي وحده إلى ثلاثة ملايين وثمانمائة ألف جريمة [٥].

وإذا تأملنا الإحصائية البريطانية التي خرج بها وزير الداخلية البريطاني من أن هناك ست جرائم ترتكب في الدقيقة الواحدة، نتيجة الادمان، وإذا كان نصف هذه الحوادث أو الجرائم، حوادث سيارات أو قتل فإن ذلك يفوق معدل التزايد السكاني الذي تصرخ منه مصر إذ أن معدل التزايد في نسبة السكان في مصر بمعدل طفل واحد كل ثلاث وعشرين ثانية وعلينا أن نتأمل النسبة بين هذا وذاك.

إنعكاس المخدرات على نسبة الوفيات: وتجدر الإشارة إلى أن المخدرات تدمر الصحة وتهلك الأبدان وتهدر الطاقات الفتية وتضر بالبدن اضراً كثيرة وتلحق به الأذى الكثير وتتلف

ثلاثين ألف شخص سنوياً معظمهم من شبان - الولايات المتحدة - الذين كان يفترض أن يكونوا أعضاء فعالين منتجين لهم ثقلهم في المجتمع.

من خلال نظرات مدققة للتقارير العلمية الموثقة التي صدرت من هيئات يعتقد بها على المستوى الدولي: تشير بعض هذه التقارير إلى أن نصف الجرائم عندها مسببة بطريقة أو بأخرى نتيجة تعاطي الكحوليات وعلاقة الكحول بالعنف والجرائم حسب الإحصائيات الموجودة حتى الآن تتراوح بين ١٣ - ٧٢٪ وفي حوادث اغتصاب النساء هي بين ١٣ - ٥٠٪ وفي حوادث القتل هي بين ٢٤ - ٧٢٪ وفي بولندا دلت الدراسات أن ٣٧٪ من الجرائم عام ١٩٦٦م كانت بسبب تأثير ادمان الكحوليات وفي استراليا كان ٥٠٪ من حوادث القتل والاغتصاب بسبب الكحول وفي فرنسا في عام ١٩٥٥م كان ٤٦٪ من الحوادث سببها الكحول [٤].

وقد اعترف وزير داخلية بريطاني أن معدل ارتكاب الجرائم في بريطانيا في ارتفاع مستمر وقد أرجع الوزير البريطاني ذلك المعدل إلى ارتفاع معدل البطالة وتزايد المخدرات، وازدياد رقعة المدمنين مع زيادة الاسعار، ودعا وزير

أعضاء الجسم عضواً عضواً، فهي تضر بالمعدة، والكبد والبنكرياس والطحال والأمعاء والكليتين وكل الأحشاء والقلب والشرابين والجهاز الهضمي، كما يضعف الصدر، فالسكير إذا أصيب بالتهاب رئوي فسيرعاً ما ينقلب الإلتهاب إلى سل وينتقل به المرض للعين ويتدرج في المراحل، المرحلة الأولى، فالثانية فالثالثة فالمرتة المحقق، والادمان الكحول يضاعف مفعول الأنسيولين في الدم لمرضى السكر الذين يعالجون بالانسيولين مما يسبب للمريض تشنجات حادة قد لا يحتملها جسمه[٦].

وشرب الخمر يؤثر تأثيراً ضاراً على الجهاز العصبي، فيسبب ارتجاف اليدين واللسان كما يسبب سرعة النرفزة وسرعة النسيان وبلادة الذهن وأحياناً يؤدي الإفراط فيه إلى الصرع[٧]. وجاء في تقرير الجمعية الطبية الفرنسية أن مجموعة من الأطباء الفرنسيين قد قاموا بعدة أبحاث علمية للتعرف على العلاقة بين الإصابات بأمراض الكبد وتعاطي المسكرات، واستغرقت هذه الأبحاث عدة سنوات وقد قام الأطباء بدراسة ١٤٦٨ حالة وتبين من أبحاثهم أن ٧٢٪ من الذين ماتوا قبل سن الخامسة والخمسين كان

السبب في وفاتهم هو أمراض الكبد، نتيجة إدمانهم، وقد انتهى هؤلاء الأطباء الفرنسيون في أبحاثهم إلى أن الإدمان على تعاطي المخدرات يهدد بشبح الموت قبل سن الخامسة والخمسين وأن النساء أكثر قابلية للإصابة بأمراض الكبد التي تؤدي إلى الوفاة أكثر من الرجال عند إدمانهم على تعاطي المخدرات[٨]. وقد دلت إحصائيات الوفيات على أن المسكرات والمخدرات إنما هي علة أساسية للموت نظراً لما تحدثه وتسببه من أضرار في غاية الخطورة للصدر وخصوصاً الرئتين والقلب، فضلاً عن المعدة والكبد والطحال، فيصاب السكير بالتسمم الكحولي الحاد، وفي هذه الحالة يكون قد عمل الكحول عمله في المراكز العصبية للتنفس والدورة الدموية.

يقول الدكتور جلال السعيد: «إن ظاهرة تحلل عضلة القلب من تأثير الخمر تحدث في الرجال بنسبة أكبر من النساء وهي تتركز في الأعمار من سن ٣٠ - ٥٠ سنة وتبدأ الأعراض في الظهور باضطرابات في نبضات القلب ثم تضخم بسيط وفي هذه المرحلة يمكن شفاء المريض إذا امتنع عن الخمر، أما إذا لم تكتشف الحالة واستمر المريض في معاقرة الخمر أو تعاطي المخدرات، فإنه يحدث تضخم بدرجة لا يمكن

أضعاف مجموع الوفيات الناتجة عن الأمراض السارية، ٦٢٪ من الحوادث كان الكحول هو السبب فيها [١١].

والخمر تسبب في مقتل ألفي شخص يومياً في الولايات المتحدة على حسب ما ذكرته التقارير والاحصائيات الرسمية من أن (٢١٢٩) شخصاً يلقون مصرعهم في انحاء الولايات المتحدة بسبب (٦٣٢٨٨) حادث تصادم سيارة يحدث يومياً وذلك نتيجة الإسراف في شرب الخمر وتعاطي المخدرات، وأضافت الاحصائية ان الخمر والمخدرات هي المسئول الأول عن هذه الحوادث حيث بلغ متوسط استهلاك زجاجات الخمر في الولايات المتحدة الامريكية نحو ٩٠ مليون زجاجة يومياً. وتبين هذه الاحصائية خطورة هذا الرقم الذي يوضح لنا أن أكثر من نصف الشعب الأمريكي مخمور، أو سكير لساعات طويلة على مدى ساعات اليوم.

وقد أجرى السيد انفولد المستشار الطبي الدائم لجهاز مراقبة اساءة استعمال المخدرات والمواد المؤثرة على الحالة النفسية بباريس دراسة تحليلية للوفيات المرتبطة بتعاطي المخدرات والمواد المؤثرة على الحالة النفسية، وعلي ضوء المعلومات المتاحة والتي استقاها

العودة فيها أو الشفاء منها، وهي مرحلة تؤدي إلى الهبوط بالقلب والوفاة بعد التحلل لعضلة القلب ودمارها، ولقد ثبت من تجارب أجريت على الفئران أنه يحدث تضخم في عضلة قلب الفأر وبعد اعطائه الخمر لمدة ثلاثة شهور، وقد حدث التضخم وأدى إلى وفاة الفئران نتيجة هبوط في القلب، أما في الإنسان فإن الحال يختلف تبعاً لكمية الكحول ومرات تناول الخمر ونوعها، والبيوت التي يعيش فيها الانسان ونوع غذائه، ولكن في المتوسط فإن عضلة القلب - أي قلب الانسان - ربما تتأثر بعد سنتين إلى عشر سنوات [٩].

ويؤكد الدكتور سدي في كتابه علم السموم على خطورة المخدرات والخمر على الأجهزة والأعضاء البشرية وذلك من خلال عمله فاحصاً وطبيباً شرعياً.

«ان الخمر هي السبب المباشر وغير المباشر في خمسين بالمائة من مجموع حالات الوفاة التي يفحصها بمعمل الطب الشرعي بولاية فرجينيا بالولايات المتحدة الامريكية» [١٠].

ومن خلال الاحصائيات الدقيقة ينكشف النقاب عن خطورة المخدرات وما تسببه من زيادة نسبة الوفيات وقد بلغت نسبة الوفيات في استراليا خمسة



مدمن والاستعداد لجرعة أخرى من الهيروين

الباحث من المكتب المركزي لمكافحة المخدرات بباريس بين الباحث أن عدد الوفيات بلغ ٢٣٧ حالة عام ١٩٨٤م، أشارت إلي أن معظم الضحايا من الشباب الذين تقل أعمارهم عن خمسة وعشرين عاماً حيث كانت نسبتهم ٧٥٪ من حالات الوفاة وأن نسبة الاناث من الضحايا لا تتجاوز ١٣٪ وأن الهيروين أكثر العقاقير المسببة للموت وخاصة اذا حدث التعاطي بطريقة الحقن حيث بلغت نسبة من كانوا يتعاطون ٨٠٪ من اجمالي حالات الوفاة. من خلال هذه الاحصائيات نستطيع أن نقول ونؤكد القول على أن المخدرات مرض من الأمراض الخبيثة التي انتشرت أو كادت تنتشر علي ارض الواقع.

الهوامش:

- (١) محمد وصفي - القرآن والطب.
- (٢) د. احمد شوقي الفنجري ، المخدرات في الطب والدين، مجلة الوعي الاسلامي، ع ١٢٢.
- (٣) الاحمدى أبو النور - رسالة الامام ص ٤٢ ومجلة الطب النفسي - النفس المطمئنة العدد السادس اكتوبر ١٩٨٥، اعرف عدوك الحشيش خطر داهم يتربص بالشباب ص ٢٨.
- (٤) عزت حسنين المخدرات والمسكرات بين الشريعة والقانون ص ٩٣.
- (٥) مجلة منار الاسلام ، العدد الرابع سنة ١٣ ص ١٢٨.
- (٦) الامرام ، عدد صادر يوم ٩/١١/١٩٧٨م.
- (٧) الانبا غريغوريوس، رأى المسيحية في المخدرات - الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- (٨) مجلة آخر ساعة العدد ١٨٦٢ ، أول يوليو ١٩٧٠م.
- (٩) مرجع سابق ص ٣٠.
- (١٠) المخدرات بين الشريعة والقانون مستشار عزت حسنين ص ٩٣.
- (١١) د. نبيل صبحي - الخمر والادمان الكحولي ص ٨٠.

ليس هناك أحبّ إلي النفس من كلمة حق
تقال، وموقف وفاء يعلن، يكبر ذلك في حقّ
جيل أعطى الكثير لأمته، ولم يأخذ شيئا ذا
بال، بل كان جزاؤه الصّدود والتناسي،
حتى صارت في هذه السنوات الأخيرة تمرّ
الذكريات الخاصة بوفاة بعض أعلامنا
الفكرية في صمت مطبق، في حضور ضجيج
حزبي، وانتهازية سياسية وإعلامية، ومن بين
هؤلاء: المفكر والأديب والمصلح الشيخ (محمد
البشير الابراهيمي ١٨٨٩ - ١٩٦٥م) وإن
كان الشيخ غنيا عن التعريف بالنسبة لجيله
ولاحقه، ولبعض

الباحثين
والمتقنين، فهو
يكاد يكون
مجهولا بالنسبة
للأغلبية من قراء
العربية في
الوطن العربي.
لقد ولد
الشيخ

(الابراهيمي) سنة ١٨٨٩ في قبيلة (أولاد
ابراهيم) بولاية «سطيف» وانتقل الى
«الحجاز» فأقام مع والده في المدينة المنورة،
ثم انتقل الى دمشق ١٩١٦ وعاد الى الجزائر
في ١٩٢٠ حيث استقرّ، وأسهم في الحركة
الاصلاحية، وكان نائبا لرئيس «جمعية
العلماء المسلمين الجزائريين» عبد الحميد بن
باديس حين تأسست في ١٩٣١ ورئيسا لها
بعده حتى ١٩٥٢ ثم انتقل الى القاهرة في
رحلة سنة ١٩٥٢ ليزور عدّة أقطار عربية



أعلام .. وأعمال:

الشيخ محمد البشير الأبراهيمي (في قلب الحركة ..)



بقلم: د. عمر بن تينة
معهد اللغة العربية وأدابها
- جامعة الجزائر -

ومحاضرات الى جانب ما نشره في (الشهاب) و(البصائر) في سلسلتها الأولى، أما الجزء الثالث فقد صدر سنة (١٩٨٢م) عن نفس الدار، بينما صدر الجزء الرابع سنة (١٩٨٥م) فضم الثالث ما نشره في (البصائر) خصوصاً، مما لم يتضمنه الجزء الثاني أما الجزء الرابع فمعظم مادته سبق نشرها خارج الجزائر في الصحافة العربية: جرائد ومجلات، مثل «الاخوة الإسلامية»، «المسلمون»، «المنهل»، «منبر الشرق»، «الإرشاد»، «الأهرام».

وبعد صمت بلغ عشر سنوات يصدر اليوم كتاب جديد للشيخ عن «دار الأمة» ذات التوجه القومي، بعنوان: «في قلب المعركة ١٩٥٤ - ١٩٦٤» ضمّ كتابات (الإبراهيمي) في قضايا ساخنة، سواء أثناء الثورة التحريرية أو بعد الاستقلال، منها ما نشر سابقاً، ومنها ما لم ينشر، حتى كانت الفرصة في هذا الكتاب. وقد أشرف على جمع المادة في هذه المرة ابنه (أحمد طالب الإبراهيمي) الوزير السابق في عهد كل من (هوارى بومدين) و(الشاذلي بن جديد) وزيراً للتربية، وللإعلام والثقافة، والخارجية.

والكتاب إضافة جديدة جادة في المكتبة العربية ومنها الجزائرية ليس بأسلوبه المتميز دائماً فحسب، وإنما بمادته، وبما تقدّمه هذه المادة من حقائق موثقة، كانت مجهولة أو غامضة بالنسبة للبعض من بينها دور (جمعية العلماء) في الثورة التحريرية ١٩٥٤ - ١٩٦٢م.

وقام بكتابة تصدير للكتاب الأستاذ

وإسلامية، حتى اندلعت ثورة التحرير الجزائرية (نوفمبر ١٩٥٤) فأقام في القاهرة مؤازراً للثورة، وبعد الاستقلال سنة ١٩٦٢ عاد الى الجزائر حيث اندلع الخلاف بينه وبين النظام الذي لاحظ انحرافاً على الإسلام في نهجه السياسي والاجتماعي حتى كانت وفاته في (١٩ مايو ١٩٦٥م) مخلفاً وراءه عدة آثار. وبعض الأثر الأدبي والفكري.

للشيخ إنجازات معتبرة في الحركة الاصلاحية منذ العشرينيات إذن في هذا القرن: خطيباً، واعظاً، وكاتباً، وربما كان الأثر الأكثر اتساعاً ورسوخاً بكتاباتاته في (الشهاب) جريدة أولاً، ومجلة ثانياً، و(البصائر) في سلسلتها، خصوصاً افتتاحياته في هذه الجريدة الأخيرة التي جمعها في كتابه (عيون البصائر) الذي صدر أول مرة في القاهرة سنة ١٩٦٣ بإشرافه في دار (المعارف) بالقاهرة، فحوى هذا الكتاب مقالاته التي كانت (افتتاحيات) في السلسلة الثانية من (البصائر) بين سنوات ١٩٤٧ و ١٩٥٣ وأعيد طبعه مرتين في (الجزائر) بعد وفاته واعتبر جزءاً ثانياً، أما الجزء الأول فقد كان بداية الجهد الذي شرع يبذله لتلاميذه وأصدقائه بعد وفاته بمساعدة ابنه (أحمد)، من أجل جمع آثاره الفكرية والأدبية ونشرها.

هذا الجزء الأول صدر عن (المؤسسة الوطنية للكتاب) في (الجزائر) سنة (١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م) وهو يشتمل على ما كتبه بعد عودته الأولى من المشرق العربي ابتداء من منتصف العشرينيات، فضم خطبا

لشخصيات سياسية في قيادة الثورة بالخارج، وفي مقدمتهم (أحمد بن بلة) و(الورتلاني) و(خيزر) و(آيت أحمد) وغيرهم.

والكتاب حافل بمقالات ومحاضرات وبيانات وخطب وسواها، بعضها أفكار ملتبهة عن احتدام الصراع الحضاري بين فرنسا والجزائر على مستوى الفكر، وبعضها مواقف في المواجهة المسلحة التي خاضها المجاهدون الجزائريون في وجه الغزاة الفرنسيين، وبعضها الآخر عن مشاكل ذات علاقة بالفعل الاستعماري خلال قرن واثنين وثلاثين سنة، ومنها ما هو ذو طابع حضاري بوجهه القومي، في مثل موضوع «مشكلة العروبة في الجزائر» وهو الموضوع الذي لا تزال له حيويته عربيا عموما وجزائريا خصوصا، وفيه يقول الإبراهيمي: «أمّا الأمم الجارية مع الحياة فإنها تحل مشكلاتها القديمة لتتفرّغ للمشكلات الجديدة، ومن سلك هذا السبيل لم تبق له مشكلة، لأن المشكلات إذا وجدت العقول متهيئة لحلّها قادرة عليه متفرّغة له - لم تعد مشكلة، وما صير قضايا العرب مشكلات إلا العرب وعقول العرب، فهم فيها بين حالات ثلاث إما أن يسكتوا فتبقى إشكالا، وإما أن يعتمدوا في حلّها على غيرهم فيزيدها تعقيدا أو يحلّها لصالحه لا لصالحهم، وإما أن يعالجوها بأنفسهم ولكن بنيات مدخولة وضمائر مريضة وعقول ناقصة وغايات متباينة وإرادات مستبعدة ومقاصد تافهة، فلا

الجامعي الباحث المؤرخ الدكتور أبو القاسم سعد الله، الذي قال في تصديره عن مادة الكتاب، إنها «وثائق حول الثورة من بيانات وبرقيات وتصريحات وخطب وأحاديث ونداءات حرّرها أو القاها باسم جمعية العلماء وجبهة التحرير الوطني، وإذا شئت باسم الشعب الجزائري بين ١٩٥٤ و ١٩٦٤».

كما ذكر صاحب التصدير في المناسبة طببعة بيان (أول نوفمبر ١٩٥٤) الذي أعلن الثورة، حيث يلاحظ غيابا «لمباديء» جمعية العلماء التي رسمتها للجزائر ماضيا ومستقبلا، كما يلاحظ أنّ البيان لا يجيب على بعض النقاط بوضوح كالهوية والإسلام والعروبة، وأنّه ليس ميثاقا أو عريضة مرجعية ذات فلسفة وتصورات حضارية، وإنما هو وثيقة سياسية صحفية (ص: ٧) كتبت على عجل، ليس من اليسير أن يبادر فورا أمثال (الإبراهيمي) لتبنيها، وهو كلام ينبّه الى ما يردد عن تقاعس ينسب للجمعية التي لم تبادر بإعلان الانضمام الى الثورة المسلحة حين اندلعت (فجر ١ نوفمبر ١٩٥٤م).

وهذا جانب من التهمة التي يحاول التيار اليساري بالخصوص الصاقها بجمعية العلماء، وفي قيادة هذا التيار ما كان يسمى بالحزب الشيوعي الجزائري قبل الثورة، وخرج في جبة جديدة بعد (١٩٨٩) تحت عناوين مختلفة.

ومن هنا تأتي الأهمية الكبيرة لهذه الوثائق التي تضمنها الكتاب، بما فيها من أفكار وآراء ومواقف وقضايا، وتوقعات

الذي كان عضوا فيه: «أيها الأخوة الكرام: حيّاكم الله ويياكم، وأدامكم وأحياكم، وأبقاكم للعروبة تصونون عرضها، وتستردون قرضها، وللغة العرب تجمعون شتاتها وتحيون مواتها، وترعون على تجهم الأحداث وسفها الوراث متاتها، ولهذا المجمع تملون بنيانه وترفعون على العمل النافع أركانه» (ص: ٢٣٠).

كتاب (في قلب المعركة) إضاءة جديدة لجوانب في فكر (الإبراهيمي) ومواقف «جمعية العلماء المسلمين الجزائريين» ودورها في ثورة التحرير، كما يتوفر على عناصر ذات أهمية كبيرة في كتابة تاريخ الثورة الجزائرية، الموضوع الذي لا يزال وسيبقى جديرا بالبحث والتقصي والتأمل والفرز والتقييم.

وإنني على يقين تام أن فكر الشيخ (محمد البشير الإبراهيمي) القومي: مؤثرات وآثار، منطلقات ومقاصد: لا يزال في انتظار جهد كبير، لكن من باحث متأن في إنجاز جامعي (أكاديمي) ينير تلك الجوانب: من واقع حياة الرجل وآثاره التي نتمنى ألا يتأخر باقيها عن النشر، مهما قلت مادتها، وضعف شأنها العام: تاريخيا، وفكريا، وفنيا: تيسيرا على الباحثين، ثم: إنصافا للرجل ولرعيه - في زمن قل الإنصاف فيه وكبر الجحود - وإنصافا لمرحلة تاريخية من نضال الجزائر القومي، وجهادها: دفاعاً عن هويتها وانتمائها الحضاري، وقوفاً باباء في وجه المسخ الأوروبي، ومحاولاته الشرسة للهيمنة: لغة وفكراً وقيماً.

يكون العلاج علاجاً، وإنما يكون بلاء مضاعفاً» (ص: ١٠٢) ثم يضيف بعد هذا بقليل «والعروبة لغة - غمرتها الرطانات الأعجمية واللهجات العامية، واللغات الأجنبية، والرطانات الأعجمية أخذت منها ثم تعالت عنها، واللهجات العامية مزقتها، وأصبحت حجة عليها ومداخل ضيم لها، واللغات الأجنبية زاحمتها في ضعفاء الهمم والعزائم من أبنائها، وهذه كلها مشكلات ذات أثر سيء وعميق في المجتمع العربي».

وإن كبرت مشكلات العروبة، فهي في الجزائر صغيرة، كما كان ينظر إليها الرجل من دون أن يلغي إحساسه بقوة تجعل من العروبة انتماء: مشكلة وعقدة لدى البعض، تنجب مشكلة أخرى، خصوصاً في الجزائر.

أما على المستوى السياسي فإن بيانات (الإبراهيمي) و(الورتلاني) في إعلان المؤازرة للثورة (٥٤ - ٦٢) باسم (جمعية العلماء) واضحة، تتصدر صفحات الكتاب، وهي بيانات تنطلق ابتداء من (الثاني نوفمبر ١٩٥٤) نشرتها صحف وبثتها إذاعات، كلها تبارك الثورة المسلحة التي انطلقت في وجه الاستعمار الفرنسي بالجزائر.

جاء ذلك عموماً بأسلوب (الإبراهيمي) بعربيته المتينة الغنية، المركزة، كواحد من أمراء البيان في النثر العربي، ويتجسد ذلك في أكثر من موقع بهذا الكتاب نفسه، في مثل مقاله (حرية الأديب) وفي (مجمع اللغة العربية) بالقاهرة يخاطب زملاء في المجمع -



أحمد الكاشف

الذي جمعت عليه
الأكثرية، ومع
هذا فله شعره
سيرورة ونباهة
لأنه يمتاز
بالصدق،
ويتجافى المبالغة،
ويجلس مجلس
الناصح من
مدموحه، يقترح

عليه الرأي ويحذره التورط، فالرجل ناصح مشير
لا مصفق هتاف.

وكنت قد قرأت الجزء الأول من ديوان الكاشف،
فأعجبت بمقدمته النثرية الطويلة أكثر من إعجابي
بشعره في الديوان الأول إذ أصدره في عهد
اليفاعة المتطلعة قبل أن يستوى علي سوقه
ويستحصد، كانت المقدمة تحمل براءة كبراءة
الأطفال، حين يتحدث الشاعر عن صباه الأول،
فيذكر إخفاقه في الامتحان المدرسي وهروبه من
الكتاب، وضيقة بمواد الدراسة، وليس في هذا ما
يؤاخذ فبرنارد شو أكبر أدباء الانجليز لعهده قد
اعترف بمثل ما اعترف به الكاشف، ولكن خيال
الشاعر لدى الكاشف، كان يخلق له أوهاماً من

أوهام البطولة المستحبة،
فيرى نفسه قائداً يحكم
الجنود تارة، وقاضياً يأخذ
الحق من
الظالم
للمظلوم
تارة أخرى
ويندفع
لتحقيق ما
يتخيله
فيصاب

الشاعر الكبير

أحمد الكاشف

كنا في عهد الطلب
نسبح اسم أحمد الكاشف
مقرونا باسم أحمد محرم،
كما يقرن اسم شوقي
بحافظ، وهم جميعاً من
تلاميذ مدرسة البارودي
الشعرية التي جددت الشعر
ورفعته من هذه الركافة إلى
نروة القوة الأسرة بحيث
أصبح هذا العصر بفضل هؤلاء
وزملائهم من أخصب عهود
العربية، وأرقاها، لذلك كان
الناشئة من زملائي يحرصون
على استظهار روائعهم في ثقة
واطمئنان.

ولم أر من هؤلاء شوقياً
وحافظاً ومحرمأ رأى العيان، ولكن
الحظ السعيد قد أتاح لي زيارة
الشاعر الكبير الأستاذ أحمد الكاشف
على غير انتظار، كما أتاح لي زيارة
مطران ورب صدفة خير من ميعاد.

كنت أحفظ كثيراً من قصائد الكاشف
التي ينشرها بجريدة الأهرام، وأكثرها ذات طابع
سياسي، لأن للشاعر هوى
خاصاً مع بعض الأحزاب عن
اقتناع، لا عن انتهاز، ولكل
إنسان أن

يميل حيث
يطمئن،
فكان يرسل
شعره المؤيد
لزعماء
الأقلية،
مجاهاً
زعيم الأمة

طرائف كثيرة تدور هذا المدار، ومنها ما يتعلق بمجابهة المدرسين في المدرسة، ومشاكسة أدعياء العلم من ذوي السمعة البراقة، وهي كلها تجعل المقدمة مصدر ترفيه لقارئها، ولعلها كانت دافعي إلي الإعجاب بالشاعر وتتبع قصائده، وبخاصة حين أصبح من كبار شعراء عصره، وصارت الصحف اليومية وفي مقدمتها الأهرام والبلاغ والسياسة تنشر قصائده في الصفحة الأولى منوهة شاكرة!

أما لقائي به، فقد سمح به الدهر مرة واحدة على غير انتظار، إذ كنت ذات صباح في دار الإخوان المسلمين بالحلمية سنة ١٩٤٦ قبل رحيل الشاعر إلي مثواه بعامين، فسمعت الأستاذ عطية الشيخ، وكان إذ ذاك مدرسا بأحدى المدارس الثانوية يقول لجار له، إنه مضطر للاستئذان لأنه على موعد للذهاب إلي (القرشية) ليقابل الشاعر الكبير الأستاذ أحمد الكاشف، فلم أتمالك أن تقدمت للأستاذ عطية، وليس لي به صلة ما، أسأله كيف السبيل إلي رؤية الشاعر الكبير؟ فابتسم الرجل في ود وبشاشة لم أتوقعهما، وقال: هيا، فصدقي الأستاذ الضبع خارج الدار، ومعه عربته الخاصة، وسنذهب نحن الثلاثة إذا أردت! قلت إنها فرصة حبيبة، موفقة لا أستطيع القيام بشكرها، فشد الرجل الكريم علي يدي وصحبني.

دار الحديث في الطريق عن الشاعر، فعملت من الأستاذ عطية أنه يعاني من أعباء الشيخوخة، ويشكو انقطاع الزملاء والتلاميذ عن زيارته، حتى أصبح في وحدته غريباً بين أهله، وفي ساعات يغلبه اليأس فيتصور أن جهده الأدبي قد ضاع على مدى خمسين عاماً حفلات أمهات الصحف فيها بروائعه، وأن هذه الزيارة ضرورية لمن كان يحس إحساسه، هنا أخذت أجمع في ذاكرتي ما أعرف من روائع

بالعاقبة المنتظرة، وهي عاقبة لا يسترها الشاعر عن قرائه بل يسجلها في المقدمة محتفلاً مؤكداً، وهو بذلك يتمتع قارئه بصراحته أكثر مما يتمتع بقصائده، وأدب الاعتراف ذائع مشهور، ولكن الكاشف لم يتعمد الاعتراف ليضاف إلي من أبدعوا في هذا المجال، بل ترك نفسه على سجيته، متدفقا مع خواطره كما تجيش في صوره دون تنميق أو اختيار، ومقدمته هذه تذكرني بمقدمة شبلي ملاط لديوانه لأن النبع ولد عند الاثنين، براءة وحماسة ووثوقا بالنفس عن رغبة وطموح.

يذكر الكاشف من مواقف الصبا هذه أن قريته الصغيرة تحدثت عن مرءة شاب شجاع رمى بنفسه في البحر المتلاطم لينقذ طفلي أوشكا أن يغرقا في الطوفان، فعزم على أن يأتي بأمر مماثل، ثم وافته الفرصة حين علم أن امرأة من نساء قريته أهينت بالضرب في قرية مجاورة، فجمع عدداً من الصبية ممن هم في سنه، وسلحهم بالعصى والهرارات وتقدم بهم إلى القرية المعتدية ليهجم على أناسها الكثيرين، وكانت النتيجة أن سقط الجيش المغير في أيدي خفراء القرية، ونال من التأديب ما يستحق، ولولا أنهم أحداث لواجهوا حكم القضاء.

وموقف آخر دونه الشاعر ذاكراً أنه علم أن شاهد زور شهد في مجلس القضاء شهادة آثمة، فرأى أن يقوم بتأديبه وجمع نفرا من تلاميذ مدرسته، وهجموا على الشاهد فأوسعوه ضرباً ومهانة وأخذ يستجير ولا من مغيث، وكانت العاقبة مأمونة، لأن الرأي العام في القرية كان معجبا ببطولة الكاشف وزملائه، فحبذوه واستفاض له ذكر بالحمية والبسالة! كما كان هذا الرأي العام ضائقاً جد الضيق بإثم شاهد الزور وجرمه الشنيع.



**بقلم :
أ. د. محمد
رجب
البيومي
- المنصورة -**

والجارم والعقاد، ولكن قصيدة الكاشف كانت ذات رنين مؤثراً هنا مد الرجل يده إلى يدي، وقال يا أخى مطران ومحرم أفضل منى بكثير، وأنا أكن لهما من الإجلال ما لا تعرف، يكفي أن أنكر معهما! جئت بشاعرين كبيرين جداً، لا أوفقهما بحال. قلت: إني لا أزال أحفظ قول الشاعر الكاشف في الراحل الكبير:

تلقيت أنباء الشفاء مريحة

فلم أس حتى جاءني النبا الصعب

ففتح وناح الطير حولي وما ج بي

مكاني وغاض الماء والتهب العشب

خلا منك بيت المجد والفضل والندى

ونادى المعالي أم خلا الشرق والغرب

وضمك داج في ثرى الأرض موش

وكم ضاق عن آمالك العالم الربح

أطوف به مستروجا من عبيره

وقد صبحته من بواكرها السحب

ولو كان جثمان العظيم كنكره

لما نال من جثمانك الطاهر الترب

أحن إلي الماضي وما هو راجع

وقد سار بي فيما أحاذره الركب

كأني حادي الظاعنين يمر بي

بلا رجعة سرب، ويتركني سرب

* تهلل وجه الشاعر وقال لقد قلت أروع ما في القصيدة، وأنت فيما أرى راوية كبير فهل تحفظ شيئاً مما قال محرم في هذه المناسبة.
قلت أحفظ لمحرم قوله:

من لي بملء المشروقين بيانا

وبما وراء النيبيرين مكانا

رمت الرثاء فما ظفرت بمنبر

يسع الرثاء ولا وجدت لسانا

* ومن أنفَس ما قال قوله:

لما سقوه النفي مرّاً طعمه

وجلوه حران الحشا ظمآن

الشاعر . وما أعلم من مواقف قوته ومروته، وقلت إذا أذن الله ووجدت الاستعداد الطيب من الشاعر وزواره، فسأفيض عليهم بما أجعل الرجل الكبير يعلم أن شعره طيّ الصدور، وأن أبناء الكليات بالجامعة يردونه ويندارسونه، وأنه يقرن بشوقي وحافظ ومطران ومحرم، وأن شعراء اليوم من أمثال الأسمر وغنيم ومحمود حسن اسماعيل وناجي وعلي محمود طه من تلاميذه، وهم يذكرون له فضله الكبير . كان الشاعر على علم بالزائرين، فقد تحدثنا إليه تليفونيا، لذلك وجدناه في غرفة الاستقبال المتواضعة، يلبس جلبابه الأبيض، وعليه عباءة الصيفية، ويده عكازه الذي يتوكأ عليه، ولا أكنم القارئ أي فجعت حين رأيته بين أنياب الكبر كطائر جريح، فقد كنت أعرف صورته تنصدر الصحف مليئة بالشباب، ناطقة بالقوة، في عينه مضاء، وله شارب أثيث، وفي سيمائه صلابة واعتدال، حتى لقد تخيلته فارس ميدان، لا طائر دوحة! فلما صدمنى الواقع بلعت ريقى أسفاً .

اختصنى الشاعر بالحديث بدءاً، إذ كان لا يتوقع مجيئى، فقال حين جلسنا: مرحباً بالشاعر الشيخ، وكنت ألبس العمامة والكاكولة، فقلت، أما شيخ فنعم، وأما شاعر فأنا تلميذ صغير للكاشف الكبير! ضحك الشاعر وقال: في الأثر أساتذة كبار فكيف أكون تلميذك؟! فأجبت، إننا جميعاً في كلية اللغة العربية نحفظ شعر الكاشف فهو قريع شوقي وحافظ ومطران، ومحرم! لقد كان (موسم الشعر) الماضي يجمع أكثر شعراء مصر، ولم يكن فيهم من فاق، الكاشف، حيث كانت قصيدته عروس الموسم، هنا قال الأستاذ عطية: لن نتكلم نحن يا مولانا، لأن هذا الزائر النبیه لديه أكثر مما نقول، فقال الكاشف، وأنا أحب أن أسمع!

قلت: وكان في خاطري أن تكون زيارتي مصدر سرور للرجل، إذ وقع في روعى أن رواية شعره والإشادة بمكانته قد تذهب بعض ما يعاني قلت: حين مات الزعيم محمد محمود رثاه مطران ومحرم



خليل مطران



احمد محرم



حافظ



شوقي

لنت مذاق تـه قـلولا أنه

جم الوقار طوى المدى نشوانا

* فقال الكاشف، هذان البيتان استوقفاني كثيرا، وأنا أقرأ قصيدة محرم، وقد نشرت مع قصيدتي في صدر جريدة البلاغ، وبينى وبينه من الود ما لا يعصف به الموت لأن محرمنا انتقل الى رحمة الله، وهو أوسع مني ميدانا، إذ اقتصرنا في الأغلب على الشعر السياسي، أما هو فقد تكلم في كل غرض، وراح بأسا معذبا، مع إباء نفس، ونزاهة ضمير. قلت: هذا ما أعلم، وقد تحدثت عن محرم، فما علاقتك بشوقي وحافظ ومطران؟

قال الشاعر أجدني متفححا للحديث معك على غير عادتي! لقد عاداني شوقي كثيرا مستمعا لأرباب الوشائيات، وقد أقيمت له حفلة تكريم بقريتي، أقامها كبير وجهائها محمد شوقي الخطيب بك، وقد دعا فيها من كرموا شوقي في القاهرة وأهملني وأنا جاره القريب، ثم علمت أن شوقيا قد أشار بإهمالي، فتأثرت وعاتبته بقصيدة نشرت بها بالأهرام، وحين مات نسيت مواقفه ورثيته صادقا مخلصا لأنه أنبغ من قال الشعر من أعلامه المعاصرين! أما حافظ فصديق أنيس لم أشهد منه ما يريب، وكان لا يضمن بالثناء الجم على زملائه، ويسعى في قضاء مآربهم قدر ما يستطيع، وأنا ليست لي مآرب، فلم أكلفه شيئا، ولكني أحمل له الود الجم، وقد رثيته مرتين الأولى عند رحيله، والثانية في حفل أقيم لإحياء ذكره بعد سنوات من

وفاته، ومطران أبفاه الله وحفظه من أحسن من رأيت إخلاصا ومروءة، تحدثت عنى مفرظا مادحا على غير معرفة، وأذكر أنه قال عني مشكورا، «ناري المزاج، زنبقي الخاطر، فخور، لم أعاشره، ولكني طالعت أخريات قصائده فإذا هو ناصح ملوك، وفارس هجاء، ومقرع أمم على التقصير، ومرشد الحيارى في مختبط السياسة! لقد قال الرجل كثيرا فأحسن الله إليه كل الإحسان!

قلت: لقد قرأت كلام مطران، كما قرأت مطارحاتك الكثيرة مع محرم، وقرأت مدحتك للخديوى عباس التي عاتبته فيها عتابا شديدا على اختصاصه بشوقي وحده، وعدم التفاته إلى غيره من الشعراء! فابتسم الرجل وقال: ذكرتني، لقد كانت هذه القصيدة أس البلاء مع شوقي، فلم ينسها، مع أنى مدحته فيها، وقلت: إن له زملاء يشاركونه الفضل، فكان هذا كثيرا فى حقه، إذ يؤثر أن يكون وحده! سكنت، حيث تناول الأستاذ عطية الشيخ شعر شوقي بالتليل المعجب، وتطرق القول إلى مناهج من السياسة الداخلية والعالمية، وقضية الوحدة العربية، وكان الكاشف فارس القول في كل اتجاه، وقد انقلب متحمسا متأثرا، كعهدنا به في قصائده، ثم حان الرحيل فودعني الشاعر باحتفاء كبير لم أكن أتوقعه، وقال لي الأستاذ عطية ونحن راجعون، لقد كان وجودك ضروريا، سعد الشاعر بك كما سعدنا به جميعا.

الشعبي: فقيه الكوفة الظريف

عرفت من هو هذا العالم الفكه الذي اُشهرَ بالظرف وحب الدعاية ولطف المعشر؟ إنه الشعبي فقيه الكوفة وعالمها الكبير الذي اجاد التظرف والممازجة اجاته لعل الحديث ومبهم القرآن ودقائق الفقه، فكان بحق من الشخصيات القليلة التي انصفت الفقهاء ودفعت عنهم تهمة العيوس والتجهم التي يابى البعض إلا أن يلصقها ظلماً بكل فقيه وعالم. ولكن قبل أن تلج عالم الظرف والدعاية في حياة الشعبي لنقترب منه أكثر ولنتعرف عليه فقيهاً وعالمًا.

الشعبي الفقيه:

هو أبو عمرو عامر بن شراحيل، راوية في التابعين جليل القدر، وافر العلم ولد وعاش ومات في الكوفة (١٩ - ١٠٣هـ)، دأب في شبابه على ملازمة العلماء وارتياذ مجالس العلم حتى نال نصيباً عظيماً من العلم والفقه معتمداً في ذلك على «صبر كصبر الحمام، ويكور بككور الغراب والسير في البلاد» على حد تعبير الشعبي نفسه [١] وقد طار صيته في الآفاق حتى أصبح علماً من أعلام الفقه، ومضرب المثل في العلم والحفظ، وقد قال فيه ابن عيينة «علماء الناس ثلاثة: ابن عباس في زمانه، والشعبي في زمانه، والثوري في زمانه» [٢]. وتحفل كتب الطبقات والتراجم، ومراجع الفقه والعلوم الشرعية باجتهادات الشعبي وفتاويه العلمية وشهادات معاصريه فيه، أما الرواة ومصنفو الكتب الأدبية فقد كان لهم شأن آخر مع الشعبي، إذ شغلهم ما عرف عنه من ظرف وحب للدعاية، فراحوا يتسابقون في جمع أخباره وتتبع نواصره وتوثيقها في صدر كتبهم، فإذا نحن أمام رجل خفيف الظل ظريف الطبع، فكه الأخلاق، استحق أن يراحم أعلام الفكاكة الرصينة في أدبنا العربي، فمن هو الشعبي الظريف؟

الشعبي الظريف:

«فرح الشعبي يوماً فقيل له: يا أبا عمرو أفتمزح؟ قال: إن لم يكن هذا، متنا من الغم» [٣]. بهذه الكلمات المعودة أوجز الشعبي فلسفته في الضحك والفكاكة، فالضحك ليس هزلاً يخطئ من قدر الانسان، أو عيباً يشين صاحبه ويذهب بوقاره، بل هو حاجة فطرية لا تستقيم الحياة دونها، وما أقسى الحياة وأضجرها إذا لم تتخللها ساعات من الضحك والفكاكة يروح الانسان بها عن نفسه، ويندفع ما يطرا عليه من هم

أسند الشيخ الهزيل ظهره برفق إلى أحد أعمدة مسجد الكوفة، تنحج بهدوء ثم رفع رأسه وراح يتفرس في وجوه الرجال الذين تحلقوا حوله وقد تعلق انتظارهم بوجهه المنهك الذي بدت عليه آثار السنين وسيماء الساجدين الصالحين. هياً البعض قراطيسه واشرب البعض الآخر بعنقه محاولاً الظفر بنظرة من خلال زجاج الرؤوس. وصمت الجميع فيما عيونهم تلح على الشيخ بالحدث.

بدأ الشيخ بإلقاء درسه، وكان حول احكام الصوم، فقال: نقل عن رسول الله [صلى الله عليه وسلم] قوله: «تسحروا ولو أن يضع أحدكم اصبعه على التراب ثم يضعه في فيه» صمت الشيخ برهة يلتقط أنفاسه ثم هم باستئناف كلامه فإذا برجل من الجالسين يسبقه بالسؤال قائلاً: أي الأصابع تعني؟ نظر الجالس بضيق إلى هذا السائل الذي بدت على محياه سيماء الحمق وملامح البلاء، وقد هم بعضهم بتعنيفه على هذا السؤال البليد، لكن الشيخ كان أسرع منهم جميعاً، فقد ابتسم وتناول إبهام رجله وقال: هذا، فضج الجميع بالضحك فيما اطرق السائل خجلاً. هل

إياد فرعون - سوريا -

غيظ، لكن الشعبي لم يكن من هذا النوع، بل كان يرد على السائل بجواب لاذع مسكت أكثر هزلاً وأمضى سخريه معتمداً في ذلك على ما طبع عليه من ظرف وذكاء وسرعة بديهة.

ويعتبر الجواب المسكت باباً من أبواب الفكاهة في الأدب العربي، برع فيه عدد من ظرفاء العرب المعروفين من أمثال أبي العيلاء، وأبي الحارث جَمِين، وأبي نواس، والجماز، بيد أن الشعبي كان من المتميزين في هذا الفن، فقد نأى بنفسه عن الأجوبة الجارحة البذيئة التي عرف بها بعض رواد هذا الفن خصوصاً أبي العيلاء، مؤسساً بذلك مذهباً خاصاً في الدعاية يتسمج ومكانته العلمية والفقهية على نحو ما نجده في هذه الفتاوى الفكهة:

- سأل رجل الشعبي عن المسح على اللحية في الوضوء فقال: خلّطها بأصابعك. فقال: أخاف ألا تَبْلُها، قال الشعبي: إن خفت فانقعها من أول الليل.

- سألته آخر: هل يجوز للمحرم أن يحك جسده؟

قال: نعم. قال: مقدار كم؟ قال: حتى يبيد العظم.

- سألته رجل فقال: هل أسلم على القوم وهم

ياكلون؟ فقال: إن أردت أن تاكل معهم فسلّم.

- سئل عن لحم الشيطان فقال: نحن نرضى منه

بالكفاف.

- وسألته آخر عن أكل الذُبَّان فقال: إن اشتهيته

فكَلّه.

- مرُّ بالشعبي رجل فقال له: أصلحك الله، إني

كنت أصلي فأدخلت إصبعي في أنفي فخرج عليه

دم، أتري لي أن احتجج؟ فقال الشعبي: الحمد لله

الذي نقلنا من الفقه إلى الحجامه.

- وسألته رجل: ما تقول في رجل شتمني في أول

يوم في شهر رمضان، أترأه يؤجر؟ قال الشعبي: إن

قال لك يا أحمق رجوت له ذلك.

الهوامش:

١- سير أعلام النبلاء: شمس الدين الذهبي- تحقيق: مأمون

الصاغري وشعيب الأرنؤوط - بيروت: مؤسسة الرسالة، ط: ٢٠٠٨.

٢- تاريخ بغداد: الخطيب البغدادي - بيروت: دار الكتب

العلمية، ط: ١٣٢٠، ص: ٢٢٩.

٣- بهجة الجالس وأنس المجالس: القرطبي- تحقيق: محمد

مرسي الخولي - بيروت: دار الكتب العلمية، ط: ١٩٨١، ج: ٤، ص: ٥٨.

(٤) الكهف: ٥٠.

(٥) البقرة: ٣٢.

وغم. انطلاقاً من هذا الفهم الانساني للضحك مزح الرسول [صلى الله عليه وسلم] ومزح الصحابة والتابعون والعلماء والفقهاء، بل كان منهم من نافس ظرفاء العرب فكاهة ونادرة كالاعمش، وابن سيرين، وفقيهنا الظريف الشعبي.ويمكننا أن نقف على أخبار الشعبي ونوادره في عدد من كتب الأدب يأتي في مقدمتها: نثر الدر للأبي، والعقد الفريد لابن عبد ربه، وعيون الأخبار لابن قتيبة، والمراح في المراح لمحمد الغزي، وأخبار الظراف والمتماجنين لابن الجوزي، والبصائر والنخائر لابن حيان التوحيدي، وغيرها. وإليك بعض ما اخترناه من نوادر هذا العالم الظريف :-

بينما كان الشعبي في مسجد الكوفة إذ أقبل رجل فقال: يا شعبي، أليس كانت له زوجة؟ قال: نعم له زوجة، فقد قال الله عز وجل: [أففتخونه وزريته أولياء من دوني وهم لكم عدو] [٤] ولا تكون الذرية إلا من زوجة. قال الرجل: فما كان اسمها؟ قال: ذاك نكاح ما شهدناه.

- قيل للشعبي: هل تمرض الروح؟ قال: نعم، من ظل الثقلاء.

قال بعض أصحابه: فمررت به يوماً وهو بين

ثقلين فقلت له: كيف الروح؟ قال: في النزع.

- سئل الشعبي عن مسألة فقال: لا أدري. ف قيل

له: أما تستحي أن تقول لا أدري وأنت فقيه العراق؟

قال: لكن الملائكة لم تستح إذ قالت: [سبحانك لا علم

لنا إلا ما علمتنا] [٥] - دخل الشعبي الحمام فرأى

داود الأودي بلا مثنز، فغمض عينيه، فقال له داود:

متى عميت يا أبا عمرو؟ قال: منذ هتك الله سترك.

- كان الشعبي ضئيلاً نحيفاً، فقيل له: ما لنا نراك

نحيفاً؟ قال: إني رُوحمت في الرحم (وكان الشعبي

قد ولد هو وأخ له في بطن واحد).

فتاوى فكهة:

الفتيا وظيفة هامة، ومسؤولية دقيقة تتطلب علماً

وذكاء وسعة أفق والأصل أن يكون المستفتي جاداً

في سؤاله، حريصاً على تحري الحكم الشرعي، ولكن

قد يكون المستفتي في بعض الحالات عابثاً يرمي

بسؤاله احراج المفتي، أو هازلاً لا يقصد إلا المزاح

والهزل، أو ربما كان خفيف العقل، محدود الفكر،

فيستشكل أموراً سخيفة لا طائل من وراءها، فكيف

يكون رد المفتي في مثل هذه المواقف؟

ربما يفعل بعض فقهاءنا، فيعنفون الهازل،

وينهرون العابث، أو يعرضون عن الجاهل الآخرق في

الإبداع في نظر التاريخ والعولميين

الحملة الفرنسية على الشرق العربي من آثار فكرية، ثم تبعتها البعثات العلمية إلى أوروبا والتي أسهمت في اتساع حركة النقل والترجمة عن كثير من جوانب الحضارة الغربية.

وعلى الرغم من انهيار - أو استسلام - بعض كوادرات البعثات بما وصلت إليه الحضارة الغربية من تقدم في العديد من المجالات وجمود أو تخلف بعض الجوانب المقابلة في رصيد الحضارة الإسلامية إلا أنهم ظلوا حتى نهاية القرن التاسع عشر لا يمثلون - في الغالب - ظاهرة تقف موقف التحدي للاتجاه الفكري السائد وهو الاتجاه الإسلامي.

وإذا كان وقوع كثير من البلاد العربية تحت الاحتلال الإنجليزي والفرنسي وغيرهما قد أسهم في تقوية الاتجاه الداعي إلى الأخذ عن الحضارة الغربية فإن وجود الاحتلال في حد ذاته كان مستفزاً لكثير من أتباع التيار الفكري المحافظ حيث لم يعتادوا منذ العصر الإسلامي أن يحكمهم غير مسلم «كافر»، ولم يكونوا على استعداد لقبول فكره مهما كانت فوائده وجوانبه المضيئة بقر عدم قبولهم لوجوده وحكمه، واعتبروا أن مقاومة الاتجاه الداعي إلى الأخذ عن الحضارة الغربية يعد نوعاً من أنواع الجهاد في سبيل الله، أو الكفاح الوطني، لا يقل عن مقاومة وجوده العسكري. وقد أدى هذا الدور للتيار المحافظ إلى

اهتم كثير من المؤرخين بتطور حركة الإبداع الفكري، مشاركين غيرهم من المتخصصين في العلوم الأخرى، ولم يقف اهتمامهم بها عند حد رصدها باعتبارها ظاهرة تاريخية فقط بل تعداه إلى ضرورة الإلمام بأبعادها باعتبارها حركة شغلت جموعاً من المثقفين المسلمين منذ منتصف القرن التاسع عشر، كما أنها - كإشكالية ثقافية - كانت وما زالت تؤثر على التكوين الثقافي للعقل العربي المعاصر، إلى جانب تأثيرها على كثير من الجوانب الاجتماعية والاقتصادية والسياسية.

وتعود جذور هذه الإشكالية الثقافية على الساحة العربية الإسلامية إلى مطلع القرن التاسع عشر متمثلة فيما خلفته

اتهمهم من قبل المروجين للتيارات الوافدة بالتخلف والجمود والرجعية، بل وربطت هذه التيارات بين قضية الإسلام السياسي «سياسيا» والاتجاه الأصولي «فكريا»، وكثفت دعوتها إلي لفظ كل ما هو قديم والاتجاه الكامل إلى الحضارة الغربية بحكم أنها مليئة بجوانب الإبداع.

واستتبع ذلك اتجاه مماثل للمفكرين المسلمين المحافظين فدعوا إلى ضرورة إحياء تراثنا الإسلامي وتلمس الطريق إلى الإلمام بجوانبه الإبداعية أو الداعية للإبداع، كما دعوا في نفس الوقت إلى لفظ كل ما هو وافد وإلى الربط بين النتاج الحضاري الأوروبي وبين جذور

الصراع المتجدد بين الشرق والغرب في صورته الدينية القديمة والحديثة.

واتجه بعض المفكرين إلى اعتبار أن لكلا التيارين، تيار الأخذ الكامل عن الحضارة

الغربية والتيار الأصولي الذي يتجه إلى إحياء التراث، لكليهما سوءاته وسلبياته التي تزيد عما له من فوائد، حيث رأوا أنهما تياران تبعيان يدعوان إلى اتباع الغير قديما وحديثا دون العناية بتيار ثقافي إبداعى يجسد الولاء وينميه وتبدو من خلاله الشخصية الثقافية المستقلة ويراعي الظروف الزمنية والبيئية.

وحتى التيار الثالث التوفيقى والذي

حاول أن يربط بين جذور التراث الإسلامى وبين المنجزات البارزة في الحضارة الغربية فإنه لم يسهم في حل هذه الإشكالية الثقافية بل ربما أسهم في اتساعها وذلك لكونه قد سار في فك التبعية هو الآخر ولكن بين قطبين متنافرين من جهة، كما أنه - مثله مثل التيارين السابقين - قد أسقط حساب الزمن والمؤثرات البيئية والمرحلية من ناحية ثانية، وكذلك لكونه - في رأى البعض - محاولة يمكن اتهامها بإجهاض المساعي الإبداعية لاقتصراره على استلهم النماذج من كلا التيارين المتنافرين من ناحية ثالثة.

وكان من الصعب على المؤرخين تفسير

العديد من الظواهر الاجتماعية والثقافية التي صاحبت هذه القضية دون الوقوف على طبيعة هذه الإشكالية وتطورها، ولعل متابعة الأحداث في تاريخ

مصر فيما بعد الحرب العالمية الأولى يعد نموذجا واضحا لذلك. ففي الوقت الذي سابت فيه الجامعة المصرية التي أنشئت سنة ١٩٢٥م الاتجاه الليبرالي في تبني فكرة الأخذ الكامل عن الحضارة الغربية وتخريج كوادر في هذا الاتجاه وتدعيمها بكوادر البعثات العلمية إلي دول أوروبا كانت الجامعة الأزهرية تزيد توغلا في التراث القديم وتزيد من التركيز على

بقلم:

د. زكريا سليمان بيومي

كلية البنات - جدة

التوفيقى، وبالتالي فإن ذلك قد أسهم في أن يسير التياران الرئيسيان في خطين متوازيين أو متنافرين حتى الآن، وحولهما تتشكل أزمة الثقافة التى تعكس أبعاد التطرف وتسهم فيه في مصر المعاصرة.

وقد رأى بعض المفكرين أن العقم الثقافى أو الفكرى هو النتيجة الطبيعية لتيارين اتباعيين - قديم وحديث - فكلاهما يتبع غيره وعالة عليه ولا يعمل عقله في الاستفادة بكليهما، وأن القضية ينبغى أن تصبح صراعاً بين إتباع - تمثله هذه التيارات - وإبداع يمثل أعمال العقل بعد فترة استيعاب وصهر ثقافيين.

على أن ما ينبغى على هذا الفريق من المفكرين إدراكه هو أن السعى إلى إحياء التراث لا يعنى الوقوف عند حد استهلاك النماذج المضيئة منه فقط، فبقدر نجاح المؤرخين في وضع أيدينا على هذه النماذج إلا أنهم وضعوا أيدينا كذلك على جوانب هامة يمكن اعتبارها من أهم أسس الإبداع فى تاريخنا المعاصر. فقد أمكن للمؤرخين المسلمين أن يوضحوا الكثير من القوالب أو المناهج أو الأحكام العامة التى تعين على الاجتهاد وتحض عليه وإلى أعمال العقل ووفق معايير ثابتة ترتكز على مفهوم ثابت للقيمة الأخلاقية المستمدة من الدين الإسلامى. وأدرك

المناهج الأصولية، وكذلك الصحف ذات الاتجاه الإسلامى، وأسهمت في مجموعها في تخريج كوادر أكثر سلفية عما قبلها.

وأسهم ذلك أيضاً في خلق عادات وتقاليد اجتماعية جديدة على المجتمع المصرى هي في مجملها مرفوضة في مجتمعنا الإسلامى وبالطبع كان لكل هذا أثره على الشباب حيث صادفت هوى فى نفوسهم وأغرثهم على التمرد على كل ما هو قديم والاستخفاف بالعادات الموروثة حيث لقي في هذه العادات إرضاء لنزواته فأقبل على تعلم الرقص مع الفتيات كي يجارى في عاداته أبناء الجاليات الأجنبية، وتنافس الأغنياء على استجلاب الأدوات المنزلية الحديثة ووسائل الترف من أوروبا وعلى إرسال أبنائهم للتعلم في دول الغرب مباهاة بالقدرة على الإنفاق.

وبقدر ما كان التوغل في الأخذ عن الحضارة الغربية يدفع أصحابه لرفض جوانب التراث ومهاجمته وكان يعبر عن عدم فهم هذا الجناح لما يمكن أن يفيد فيه التراث كان رفض التيار الأصولى للأخذ عن الحضارة الغربية ومهاجمتها عند بعض المحافظين تعبيراً عن عدم فهم للجوانب المضيئة في هذه الحضارة. كما أن كلا التيارين قد رفضا أتباع التيار

كثير من المفكرين والمؤرخين الأوروبيين قيمة هذه الأحكام والمناهج حين قاموا بالبحث عن جذور ظواهر الاضطرابات النفسية والاجتماعية والسياسية التي امتلأت بها الساحة الأوروبية عبر مراحل التاريخ الحديث والمعاصر، حيث أدركوا أن القوالب والمناهج والاتجاهات الإبداعية ترتكز على مفهوم متغير للقيمة الأخلاقية كونها تعتمد على مبدأ المصلحة، وهو مفهوم متغير، وبالتالي تظل محدودة القيمة بالنسبة لخير الإنسان والإنسانية.

كما أن الكثير من الجوانب الإبداعية التي بهرت البعض من مفكرينا في الحضارة الغربية قد تأثرت - إن لم تكن قد نقلت - من المنهج الإبداعي المنحرف من تراثنا الإسلامي وهو ما يؤكد الحقائق التاريخية وأن ذلك ليس قاصرا علي منهج بعينه، فهناك جوانب إبداعية إسلامية في الطب والأحياء والفلسفة وغيرها لم يكن من الممكن للحضارة الأوروبية أن تبني أو تقوم دون الإلمام بها أو الأخذ منها .

وفي ميدان الدراسات التاريخية فإن منهج البحث الإسلامي الإبداعي الدقيق أسبق من غيره من المناهج في هذا العلم، ويكفي أن نوضح التزام المؤرخ المسلم منذ عصر صدر الإسلام وحتى

الآن بمنهج أهل الحديث في تحرى المعلومة والتحقق من صدقها وتوخي الصدق في تحليلها وبذل الجهد في الحصول عليها . بل وهناك حقيقة ثابتة في المنهج الإسلامي لم يصل من يتصفون بالإبداع إلى أكثر منها حتى الآن وهي « الحقيقة ضالة المؤمن يبحث عنها أئى وجدها »، فنقلت بالنص عند فلاسفة التاريخ « الحقيقة ضالة الباحث يبحث عنها أئى وجدها ».

وقد خلفت هذه المدرسة الإبداعية العديد من المؤرخين عبر مراحل التاريخ الإسلامى كالطبرى وابن الأثير وابن تغرى بردى، ولعل من أبرزهم العلامة عبد الرحمن بن خلدون الذى يعد أساسا ارتكز عليه الباحثون الأوروبيون في علم الاجتماع وعلم التاريخ، وما زالوا يعتبرونه رائدا من رواد الحركة الفكرية حتى تاريخنا المعاصر .

ويمكن القول بأن التراث الاسلامي وعبر مراحل التاريخ مليء بجوانب الإبداع التى تصغر أمامها كثير من القوالب المنقولة من الحضارات المعاصرة، كما أنه قريب من فكرنا ونفوسنا وظروف بيئتنا، وعلى الأقل فليكن منه القالب الأساسى الذى نصب فيه جهودنا الإبداعية المعاصرة ونصهر فيه كل ما يمكن الإلمام به من كل جوانب المعرفة ومن شتى مصادرها .



سر الزجاجة

بقلم: د. عبد الرزاق فراج الصاعدي
الجامعة الإسلامية - المدينة المنورة -

تصنيفه

إلينا، فقبلناه بصورته المعدلة المحرفة.
ومثله «مرقت» كلمة عربية مكية انتقلت مع
الحجاج الأتراك، ثم عادت إلينا محرفة، فهي في
الأصل «مروعة» من الصفا والمروءة، فقبلوا الواو فاء
(V) ووقفوا على التاء، كما يقولون: حكمت وعزت
وصفوت.

١٢ = قصتي مع قصتي:

أجهدت ذهني، ومرقت الورقة تلو الورقة وأنا
أخايل الخيال، تهيأت له عذبة شخصيات، راق لي
منها رجل قوي مربوع القامة نصف شعره أسود،
في الستين من عمره، تقاعد لتوه من عمله الجامعي،
سميته: راجي.

وبينما كنت أعاني هم البداية، وأكد ذهني، وأكتب
وأشطب إذ بطرق شديد على الباب! داخلني شعور
ممزوج بالتعب والدهشة، إذ كانت الساعة الواحدة
والنصف بعد منتصف الليل.

من عساه يكون؟

خلعت نظارة الكتابة ولبست نظارة المشي،
ونهضت ففتحت الباب لئن أن أنظر من الكوة
السحرية فيه، فإذا به رجل قوي مربوع القامة نصف
شعره أسود!

قلت: من؟ راجي؟

ابتسم ابتسامة صفراء، وقال: هل أدخل؟
عقدت المفاجأة لساني، فكرّر الطالب بالدخول
مرتين.

قلت تفضل.

جلس القرفصاء في ركن المجلس، ولم يمهلي أن
أتم مجاملات الترحيب، فقال: أرجو - قبل أن تكتب

١٠ = معجم اللغويين والنحاة:

لرجال العرب من لغويين ونحاة مكانة خاصة
في نفوس المثقفين في بلادنا، ولهم نكهة متميزة
كنكهة العربية على لسان أعراقي في جبال الحجاز
أو في صحراء نجد.

وجمهور اللغويين في بلادنا أدباء، وكثير من
الأدباء لغويون، نحاة، والفريقان وجهان لكوكب
واحد، فمنهم من يدور حول محوره بانتظام فيرى
وجهه اللغوي ووجهه الأدبي، فهو لغوي تارة، وأديب
أخرى.

ومنهم من هو كالقمر لا ترى منه إلا وجهاً واحداً،
فهو يستتر جانبه الآخر على النوام.

وفي سماننا من هؤلاء وهؤلاء الكثير، فمنهم من
تراه فوقك في كبد السماء يشع بأزهى الألوان،
ومنهم من تراه يتأهب للغروب ويرسل ضوءه الأحمر
الخافت ليلاسل فيك مكان من الوجد الدفينة.

ومنهم من تخدعك عينك فتراه صغيراً لا يُعيا به
لأنوائه في كبد السماء، وهو عملاق عظيم لم
يُكتشف. وهكذا لا تظلو سماننا من النجوم
والكواكب، إذا غرب كوكب أشرق آخر، وإذا سقط
نجم بزغ نجم.

وقد شرعت منذ عامين في بناء «مرصد» سميت
«معجم اللغويين والنحاة في المملكة العربية
السعودية» فبحثت، وسألت، وراسلت، فاستجاب من
استجاب، وسوف من سوف، وسكت من سكت،
ونسي من نسي، وما أنذا أشكر المستجيب، وأذكر
الناسي، وأحث المسوف، وأرجو أن يتكلم الساكت.

١١ = رحلة «الفيضة» إلى تركيا:

يشيع اسم (تقيدة) في بعض البلاد العربية، وهو
مما وقع في العربية من اللغة التركية، إلا أنه من
أصل عربي، وهو «توحيد» فأخذ الأتراك عن
العرب، ولكنهم نطقوا الواو كما لو كانت (ف V)
وأسقطوا الحاء لأنه لا يوجد في لغتهم، ثم أعيد

طوبى، فقال: طيبى، فلما طال عليّ قلت: طوطو، فقال: طي طي!!

وهذا يدل على ثقل لسان الكبير؛ لأخذ جهازه الصوتي وضعه النهائي على ما اعتاده في بيئته من طرائق الكلام في الأصوات والحروف والمخارج والفن بخلاف الصغير الذي يتقبل ما يسمع، ويسهل عليه محاكاته؛ لطراوة جهازه الصوتي وصفاء ذهنه وتبنيه للاستقبال والاستيعاب والمحاكاة، ولهذا قالوا: العلم في الصغر كالنقش في الحجر، ولهذا - أيضاً - يحرص علماء التربية على نواحي التلقين الصوتية في عملية التعليم لدى الأطفال.

ولا أجدي في هذا الشأن ولا أحسن ولا أبرك ولا أعظم من تلقين الطفل القرآن.

١٥ = الموهبي:

مات المغربي، محمد علي مغربي، الأديب التاجر، والتاجر الأديب، لقد اطلعت في ملحق الأربعماء (٢ رجب ١٤١٧هـ) على جملة من مرثياته بأقلام عدد من الكتّاب، فحرك ما قرأته في الخواطر، وأبحرت في سيرته الذاتية، ميلاده، شبابه، حياته، كفاحه، علمه، أدبه، تجارته، مواقف الإنسانية، إسهاماته الخيرية... ثم وفاته.

لقد طويت صفحة حافلة بالأحداث السارة والحزينة، مزيج من الكفاح والجهاد والصبر والعرق، طويت تلك الصفحة التي كان سطرها الأول سنة ١٣٣٢هـ وختم سطرها الأخير هذا العام ١٤١٧هـ.

هكذا يموت الإنسان...

يموت مهما بلغ من تحصيل العلم والمال والجاه والصحة، يموت، لابد أن يموت لتمضي سنة الله في خلقه.

يا لضعف الإنسان وحقارته، ويا لعظمته وجبروته! إن العظيم من شاء أن يكون عظيماً.

الناس جميعاً يبحثون عن المكانة المرموقة، يبحثون عن السعادة، فممن من يفتش عنها في المال وسعة الرزق، ومنهم من يظنها في لذات الجسد الحسية ومنهم من وجدها في الجوّ إلى الله والرضا والقناعة.

لقد كان المغربي - رحمه الله - أديباً بارزاً في أدبنا السعودي المعاصر، وتاجراً معروفاً، واستطاع بعزيمته وصبره ويتوفيق الله له أن يجمع بين نقیضین لا يجتمعان، العلم والمال.

قصتي - ألا تضعني في مواقف لا تناسب مقامي، فانا استاذ جامعي وقد تقاعدت للتوّ حسب رغبتك أو حسب خيالك، مع أنني لم أزل قادراً على العطاء، وأنا أقوى منك كما ترى، فلا تجعلني في مواقف محرجة، ويكفي أنك جعلتني في هذا العمر الحرج، وكنت أتمنى أن أكون في غير تلك السن.

قلت: لن أتدخل في حياتك ياراجي، ولن أكتب من قصتك حرفاً واحداً من عند نفسي، بل أريدك أن تحكي خبرك بنفسك. أريدك أن تحضر إليّ ساعة من نهار، وتلمي ما تريد.

رضي بهذا الاقتراح، وفرح به، ولا أخفيكم سرّاً أنني فرحت أنا - أيضاً - لأنه سيحمل عني مشقة التفكير في كتابة القصة، ولا أدري كيف يذهب بي الخيال!

وانتظرت في الغد في الموعد المحدد فلم يحضر. وانتظرت في اليوم الثاني والثالث والرابع، فلما يست منه عرفت أنه خدعني، وأني أخطأت عندما وافقت على أن يروي هو قصته، وكان عليّ أن أمسك بزمام الأحداث، وأتحكم في مجريات حياته، كيفما أشاء أنا، أليس هو من اختراع أفكاره؟ والقلم قلبي أنا؟

١٢ = ابن عقيل الظاهري:

أبو عبد الرحمن بن عقيل الظاهري طود شامخ في اللغة والأدب، وقد أثري الساحة بكتبه المتنوعة ومقالاته الغزيرة، ولقد قرأت كثيراً منها منذ أن توقد في قلبي حب اللغة والأدب، واستندت مما فيها، وقد شَرّق الشيخ وغرّب وأصعد وانحدر، وأخذت عليه أشياء في أصول اللغة وفروعها، أوشكت أن أخرجها في كتاب، ثم تراجعته إشفاقاً على نفسي.

وقد برّح الشيخ عني في المجلة العربية (العند ٢٣٤) في لحظة فوران، فزلق به القلم يميناً وشمالاً في قواعد صرفية معروفة، وتاه بين المتحجّج والمتحجّج!

١٤ = لسان الكبير:

روى ابن جني عن أبي حاتم السجستاني أنه قال: قرأ عليّ أعرابي بالحرص: «طيبى لهم وحسن مأب» فقلت: طوبى، فقال: طيبى، فأعدت فقلت:



٣٢

يقول الأستاذ محمد سعيد العريان في كتابه حياة الرافعي تحت عنوان (مقالات منحولة). في سنة ١٩١١ أصدر الرافعي كتاب (تاريخ آداب العرب) فتقبله الأدياء بقبول حسن، وكتبت عنه المقالات الضافية في كبريات الصحف، ولكن ذلك لم يكف الرافعي، ففي ذات يوم قصد إلى جريدة المؤيد، فلقى هناك صديقه المرحوم أحمد زكي باشا، فأهدى إليه كتابه، ورجاه أن يكتب فصلا عنه، فقال له أحمد زكي باشا «وماذا تريدني أن أكتب» قال الرافعي: تقول . . . وتقول» فقال زكي باشا: اكتب ما تشاء، وهذا إمضائي! وجلس الرافعي إلى مكتب في دار الجريدة فكتب ما شاء أن ينسبه إلى صديقه في تقرير كتابه، ثم دفعه إليه فذيله باسمه ودفعه إلى عامل المطبعة، وقرأ الناس في اليوم التالي مقالا ضافيا بإمضاء أحمد زكي باشا في تقرير (تاريخ آداب العرب) شغل الصفحة الأولى كلها من الجريدة، ولكن أحدا من القراء لم يعرف أن كاتب المقال هو الرافعي يثنى على كتابه، ويطري نفسه.

ولهذه الحادثة أخوات مع زكي باشا نفسه، فإنه لما أنشأ نشيده - يريد الرافعي - «اسلمي يا مصر» قرأ القراء مقالا في الأخبار (أخبار أمين الرافعي) بإمضاء أحمد زكي باشا يثنى على النشيد، ويطري مؤلفه، ولم يكن كاتب هذا المقال غير الرافعي، بل إن أكثر المقالات التي يراها القارئ في الكتيب الصغير الذي نشره الرافعي عن نشيده هذا، هو من إنشائه أو إملائه. وقد ظل هذا التعاون وثيقاً بين المرحومين

١٩١١ - حب الثناء :

يقول الشاعر:

يهوى الثناء مبرز ومقصر
حب الثناء طبيعة الإنسان

وحب الثناء لدى المبرز موضوع

تساؤل، إذ له من تميزه ما يغني عن المديح، ولكن أرباب الأقلام في حاجة إلى أن يشعروا بقيمة آثارهم الأدبية، فإذا سكنت عنها الناقدون ألحوا في طلب النقد، وفيهم من يتجاوز الإلحاح

إلى الاحتيال، فيكتب الثناء عن نفسه، ثم يمهره باسم علم بارز، والضعف الإنساني مما لا حيلة للمرء فيه وما وجد به الضعف إلا لأنه إنسان.

د. أبو
حسام
المنصورة

فاملا فؤادك من يأس تُرحُّه به أشقى نفوس الورى شيء هو الأمل

* وموضع الشاهد هنا أنَّ الشاعر أصدر في سن السابعة عشرة من عمره، وكان طالبا بالأزهر مجموعة شعرية باسم (قلائد الحكمة) وقد صدرت بتقريظ شعري لشيخ شعراء مصر اسماعيل صبري باشا قال فيه:

إذا كنت يا زينُ زينُ الأدب
فإن كتابك زين الكتب
قلائد طوقت جيد البيان
بهن وحليت جيد العرب
خلائق تزري بنفج الرياض
إذا ضحكت من بكاء السحب
وما المرء إلا خلِّق كريم
وليس بما قد حوى من نشب

* وقد ذكر الأستاذ على فوده بمجلة الرسالة تعقيباً على هذه الأبيات قبل أن يرحل الزين إلى جوار ربه بخمسة أعوام فقال:

«إن مدح الشاعر صبري باشا للشيخ أحمد الزين له قصة رواها على ماؤ من كرام العلماء والأدباء إمام من أئمة الأدب والعلم هو شيخنا مصطفى عبد الرازق باشا، يجب إيرادها إنصافاً للشاعر الغائب».

كان ذلك منذ عامين، وبیت عبد الرازق بعابدين على عهدك به في ليلة من ليالي رمضان، ولم يكن الشيخ أحمد الزين وطائفة من أصدقائه غائبين عن هذه الجلسة، فقد جرى ذكر الشعر والشعراء وصلتهم بالنحو واللغة، فقال الدكتور هيكल باشا: لعل الشاعر اسماعيل صبري باشا لم يكن واسع الحصول اللغوي سعة تحميه من التورط أحياناً في

زكي باشا والرافعي إلى أخريات أيامهما، ومنه أن زكي باشا كان علي نية إعداد معجم لغوي كبير قليل وفاته، وكان للرافعي في إنشاء هذا المعجم أثر نوبال، وفيه فصول ألفها الرافعي بتمامها وأعدّها للإمضاء، ولكن المنية أعجلت أحمد زكي باشا عن إصدار هذا المعجم، وأحسبه مازال محفوظاً بين مخطوطاته».

هذا ما قاله الأستاذ العريان، ولي سؤال يدور حوله: فإن أسلوب الرافعي الكتابي لا يشتبه بأسلوب أحمد زكي باشا بحال من الأحوال، لأن طابع الرافعي أبرز من أن يخفى، أفكان الرافعي يتعمد مجافاة أسلوبه ومحاكاة أسلوب شيخ العروبة، وذلك عبء فوق عبء التأليف، قد يكون! والتعاون الذي ذكره العريان وقال إنه امتد إلى أن مات أحمد زكي باشا يوحي بسؤال آخر، لقد كان الرافعي يودع كبار الراحين بمقالات مؤثرة مثل شوقي وحافظ ومحمد الخضري ويعقوب صروف فلماذا لم يؤن صديقه أحمد زكي؟ إذا كانت الصلة هامة.

١٩٢- (الشاعر أحمد الزين):

كان الشاعر العالم الراوية المحقق الأستاذ أحمد الزين من نوابغ عصره شعراً وبحثاً وتحقيقاً، وشعره على قلته من أروع ما يقال، ومازلت أذكر تأثري برثائه للهراوي حين نُشر في الأهرام والثقافة بعد رحيل الهراوي وفيه يقول:

دع الجمال بما تهوى محاسنه
يمضي وتخلّفه الأحزان والعلل
عيب الجمال بلاه بعد نضرته
يا ليت عشاقه قبل الهوى عقلوا

كلمة فارسية تدل على الإعجاب] قد صفا
ذهنك، وجادت قريحتك، وتنقحت قوافيك ليس
هذا من الطراز الأول حين أنشدتنا في العيد
الماضي، إن المجالس [مجالس صاحب]
تُخَرِّجُ الناس، وتهب لهم الذكاء، وترزدهم
الفطنة، وتحول الكون [الجهن من الخيل]
عنيفا والمحرم جوادا، ثم لا يصرفه عن مجلسه
إلا بجائزة سنوية، وعطية هنية، وبغايط الجماعة
من الشعراء وغيرهم، لأنهم يعلمون أن أبا
عيسى لا يقرض مصراعاً، ولا يزن بيتاً، ولا
ينوق عروضاً.

١٩٤ = (الدكتور زكي مبارك):

ألف الدكتور زكي مبارك كتابه عن العشاق
الثلاثة: جميل بن معمر، وكثير بن عبد الرحمن
والعباس بن الأحنف وهو كتاب «لطيف الحجم
في مجموعة سلسلة إقرأ» الشهيرة، ولكن
أسلوبه التحليلي واختياره الشعري، وجماله
التعبيري مما يشهد له بالتفوق، وقد فوجيء
القراء بكلمة مادية عنه، نشرتها الأهرام بقلم
زكي مبارك نفسه، وهو صدق واقعي يدل على
الصراحة الناصعة التي يعهدها القراء في
الكاتب الكبير، وقد علقت الأهرام على المقال
بأنه إحدى طرائف الدكتور النادرة إذ يكون
المقرض هو المؤلف، والفارق النفسي بعيد بعيد
بين من يكتب التقريظ بقلمه وينسبه إلى غيره،
وبين من يقرض نفسه علانية، ويقول إنه أدري
بمحاسن الكتاب من سائر النقاد.

ولو كان الذي كتب هذا التقريظ لنفسه غير
الدكتور زكي مبارك لكان مبعث نقد واعتراض،
ولكن الدكتور لا يواجه باعتراض ما، لأنه في
مقدمات كتبه الشهيرة، يتحدث عنها حديث
المعجب المفاخر، ويغمز غيره ممن شاركوه

بعض الأخطاء، فالتفت الشيخ مصطفى عبد
الرازق باشا يدفع غيبة صديقه صبري باشا،
فقال له هيكل باشا، لقد أسمعني بعضهم
شعراً جاء فيه كلمة (خلاق) بمعنى (خلق) وهي
ليست كذلك فيما يقول الشيوخ، فقال مصطفى
عبد الرازق باشا - والشيخ أحمد الزين حاضر -
إني أنكرت ذلك أيضاً، فلما لقيت صبري
باشا لم أكتفها عنه، فقال لي: إن الشيخ الزين
رجل مثابر على الود، فلما هم بطبع ديوانه
سألني أبياتاً فلم تسعفني القريحة، ولما تكرر
منه الطلب، لم يسعني إلا أن أقول له - وهو
شاعر أيضاً - اصنع أبياتاً لنفسك على لساني،
فلما أهدى إلي ديوانه قرأتها كما قرأتوها،
وصبرت على ما لم تصبروا عليه».

والسؤال المتبادر للذهن تعقيباً على هذا
القول: لماذا لم يطلب صبري قراءة ما ينسب
إليه قبل طبعه؟ وهذا من أوجب حقوقه؟

١٩٥ = (رجعة إلى الماضي):

وإذا كان الشيء بالشيء يذكر، فإننا ننقل
عن الجزء السادس من معجم الأدباء لياقوت
هذه النادرة:

«ثم يعمل (أي) صاحب بن عباد الوزير
الشهير والكاتب الجهير) في أوقات كالعيد
شعراً، ويدفعه إلى أبي عيسى بن المنجم، ويقول
له: قد نحلكت هذه القصيدة فامدحني بها في
جملة الشعراء، وكن الثالث من المنشدين،
فيفعل ذلك أبو عيسى، وهو بغدادي مُحَكِّكٌ، قد
شاخ على الخدائع وتحكك، فينشد فيقول له
[الصاحب] عند سماع شعره في نفسه،
ووصفه بلسانه، ومدحه من تحبيره: أعد يا أبا
عيسى فإنك والله مجيد، زه يا أبا عيسى [رَهْ

لي يقول إنه دون المستوى بكثير، وما كان لك أن تهتم بنشر هذا اللغوا! وصرت أعتقد أن الزميل الفاضل سيحمد لي موقفي، وينتهي الى هذا الحد، ولكن عجيبة العجائب حقا هي أنه جاعني يرجو أن أرد على رده بمقال لتدور معركة حول الكتاب قلت يا أخي إن رئيس التحرير نشر ردك مضطرا، وهذا خطابه إلي، فكيف تدور المعركة في فراغ مجدب! احمر وجه المؤلف وخرج ليقول لأصدقائي، إنني أنكر عليه سبقه العلمي وأقف في طريقه الأدبي! وأن نفسي مريضة!! ثم قاطعني فارتحت كثيرا لهذه المقاطعة، ولكني ندمت على أني انقدت له بدافع المجاملة فسطرت المقال المنكود! فما رأي القاريء في هذه التجربة؟

١٩٦ = من شعر حافظ إبراهيم:

قال حافظ إبراهيم مقرظا ديوان الشاعر
الأديب النابغة مصطفى صادق الرافعي:

أراك وأنت نبت اليوم تمشي
بشعر مرك فوق هام الأولينا
وأوتيت النبوة في المعاني
وما دانيت حد الأربعينا
فزن تاج الرأسة بعد سامي[١]
كما زانت فرائده الجبينا
وهذا الصولجان فكك حريصا
على ملك القريش وكن أمينا
فحسبك أن مطريك ابن هاني[٢]
وأنت قد غدت له قرينا

الهوامش:

(١) سامي: محمود سامي البارودي رب السيف والعلم.

(٢) ابن هاني: أمير الشعراء أحمد شوقي.

القول في منحاه الأدبي غمزا يصل الى درجة الهجوم! فأني شيء في أن ينقل بعض ما يقوله في المقدمة بقلمه أو شبيبها به الى جريدة الأهرام!! إنك تقرأ - مثلا - كتابه الممتاز حقا عن النثر الفني في القرن الرابع الهجري فتجد من أساليب المباشرة الفاخرة ما لا يعرف التواضع العلمي بحال، فالدكتور يقول إنني أحب أن أكون في طبيعة المنصفين لمؤلف هذا الكتاب، وهل من العدل أن أظلم نفسي وأنصف الناس؟ إن هذا الكتاب أول كتاب من نوعه في اللغة العربية، أو هو على الأقل أول كتاب صنف عن النثر الفني في القرن الرابع، فهو منارة السارين في غيابات هذا العهد السحيق، ولن يستطيع أي مؤلف آخر، مهما اعتز بقوته وتعامي عن جهود من سبقوه أن ينسى أنني رفعت من طريقه ألوفا من العقبات والأشواك، الى آخر ما كتب الدكتور في صفحات طوال.

١٩٥ = تجربة شخصية:

ألف بعض الزملاء كتاباً علمياً يجمع الخطأ والصواب، وأهداني نسخة منه، وألح إلحاحاً مفترطاً في أن أكتب كلمة عن مؤلفه وإزاء زيارته المتتابة اضطررت إلى كتابة كلمة عرضت مزايا الكتاب وأشارت إلى ما لاحظته من وجوه المؤاخذه، وما كاد المؤلف يرى المقال حتى بادرك بكتابة مقال مسهب في الرد على ما انتقدته به موضحاً أنني أغفلت كثيراً من محاسن الكتاب وهي كذا وكذا، وذهب المقال إلى الأستاذ رئيس التحرير فلم ينشره. وفوجئت بالزميل يرجوني أن أتوسط لدى رئيس التحرير في نشر النقد! واضطرت بدافع الحياء، وقام الرجل الكريم بالنشر وكتب

الساعات الحيوية عند الكائنات الحية

الكائنات الحية وهبها الخالق إمكانية ضبط الوقت بشكل يتفق مع الظواهر التي تتكرر بتوقيتات، كالليل والنهار، والمد والجزر، والشهر القمري والفصول الأربعة.

وبشكل عام يمكن تقسيم العالمين النباتي والحيواني من حيث تواتر الليل والنهار إلى قسمين:

أولاً: كائنات نهائية:

تعتمد على الضوء في نشاطها، فالنباتات الخضراء تقوم بالتركيب الضوئي، وكثير من الحيوانات والإنسان

كذلك، تنشط نهاراً بحثاً عن غذائها فتلاعت حواسها مع النشاط النهاري مثل حاسة البصر، وانعكس ذلك على النشاط الفيزيولوجي في الجسم. ففي الإنسان مثلاً، لوحظت تغيرات في درجة الحرارة متواترة مع تعاقب الليل والنهار ولوحظت تغيرات

الوقت عند الكائنات الحية:

من الملاحظات المباشرة لنشاطنا الفيزيولوجي خلال يوم واحد، نستنتج أن جسمنا يقوم بسلسلة من الفعاليات المنسقة بشكل متواتر، يدعو إلى التفكير بأن الجسم يمتلك ميقاتية (ساعة) أو مجموعة ميقاتيات. فالذي اعتاد الإستيقاظ في الساعة

السادسة صباحاً،

يستيقظ في نفس الساعة كل يوم كأن منبهاً داخلياً يوقظه. ومن اعتاد تناول طعام الغداء في الساعة

الثانية بعد الظهر، يحس بالجوع في نفس الساعة، فكأن المعدة والجهاز الهضمي عموماً على علم بالتوقيت الذي اختاره صاحبها لتناول الغداء. وكما احتاج الإنسان في حياته الإجتماعية إلى التوقيت، وضبط الوقت بالساعات والتقويم، فإن كافة

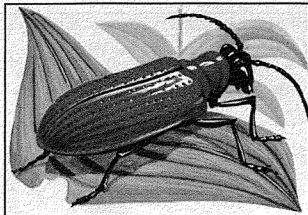
بقلم:

محمد فيض الله الحامدي

- سوريا -



- تنقسم الحيوانات والنباتات إلى مجموعتين
(نهارية وليلية).



- حشرات نهارية النشاط.

دورية في نشاط القلب وضغط الدم، ونشاط الكلية والغدد، فدرجة حرارة الجسم تكون في أقل قيمها بين الساعة الرابعة والخامسة صباحاً، ودقات القلب وضغط الدم تكون منخفضة صباحاً، وكمية السكر في الدم تكون في حدها الأدنى في السادسة مساءً، وفي حدها الأعلى في التاسعة صباحاً، وإفرازات الغدد للهرمونات تقل وتزداد حسب النشاط العام للجسم ووظيفة الهرمون، وينسحب ما ذكرناه عن الإنسان على سائر الأحياء الأخرى بشكل

أو آخر.

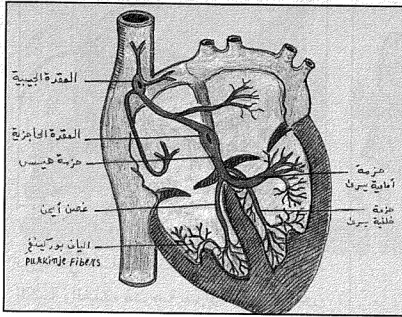
ثانياً: كائنات

ليلية:

تنشط ليلاً في الظلام، بغياب الضوء الباهر، وقد تكيفت حواسها مع الظروف الليلية، وتبعاً لذلك فإن نشاطها الفيزيولوجي



- نباتات زهرية - ألوان جميلة بفضل الضوء في النهار.



- مقطع تخطيطي للقلب يوضح مواقع العقدتين وحزمة هيس وتفرعاتها والياف بوركينغ.

متواقت مع تواتر الليل والنهار، ومن الكائنات الليلية، طائر البوم والقوارض والصراصير والبعوض وقسم من آكلات اللحوم، والثعابين.

ولكن تقسيم الكائنات الحية إلى نهائية وليلية، لا يعطي الدليل المباشر على التوقيت الحيوي، فطائر البوم لا يستطيع الإبصار في الضوء الشديد ولذلك لا جدوى من نشاطه في النهار، لذلك ينشط في الليل، في الظلام، والإنسان في الظروف العادية لا

يستطيع النشاط ليلاً، لعدم قدرة حاسة البصر على تمييز الأشياء بغياب الضوء، لذلك ينشط في النهار، وهناك عوامل حضارية فرضت على الإنسان أن يكون نهائياً أو ليلياً. والسؤال الآن:

**** هل تمتلك الكائنات الحية ساعات**

ضبط الوقت؟

قبل الإجابة على هذا السؤال لابد من تحديد الأسس التي يُعتمد عليها في ضبط الوقت، فالزمن مرتبط بالحركة، وفي الكون ظواهر متحركة، فكيف نحدد الوقت الذي يفيدنا في نشاطنا، فنعمل في ساعات النشاط الحيوي، ونستريح في ساعات الحد الأدنى من النشاط الفيزيولوجي؟ وضع الإنسان وحدات لقياس الزمن وضبط الوقت

بالاعتماد على حركة الأجرام السماوية، فاليوم هو تكرر الليل والنهار (ليل ونهار) وتم تقسيمه إلى (٢٤) ساعة وفق أسس معينة. فمن شروق الشمس إلى شروق الشمس في اليوم التالي، يقدر الوقت بـ (٢٤) ساعة، والليل والنهار ينشآن من دوران الأرض حول محورها من الغرب إلى الشرق. وهذا ما يعرف باليوم الشمسي، وهناك ما يُعرف باليوم النجمي واليوم القمري، فالأرض تتحرك حول الشمس وتتغير مواقعها بالنسبة للنجوم، ولما كانت حركتها باتجاه الشرق، فإن النجوم تبدو متحركة نحو الغرب، فإذا أشرقت الشمس مع نجم في وقت واحد، ففي اليوم التالي يخرج النجم قبل شروق الشمس بأربعة دقائق، فاليوم النجمي يعادل (٢٣) ساعة و(٥٦) دقيقة تقريباً، وكذلك يتحرك

وانتهاءً بالإنسان لديها أعضاء أو آليات تضبط الوقت، كما تضبط الميقاتيات الوقت الإجتماعي في حياتنا وعلاقاتنا. فبعض الجراثيم تنشط في ساعات معينة من النهار، حتى إذا وُضعت في ظروف مخالفة لظروف الوقت المحدد. فكأنها تعرف الوقت.

وفي النباتات تلاحظ ظواهر ملفقة للنظر، كما لاحظ ذلك العالم الفلكي «دي ميران» عام ١٧٢٩م. إذ تنكمش بتلات بعض الأزهار ليلاً وتبسط نهاراً، وعكس ذلك في بعض الأنواع، تبسط ليلاً وتنكمش نهاراً، وبعض الأوراق الخضراء تقوم بنفس السلوك، ويُعزى ذلك إلى تأثير الضوء والحرارة، ولكن ما لاحظته (دي ميران) أن هذه النباتات إذا نقلت إلى ظروف واحدة عدة أيام، (ظلام مستمر أو إضاءة مستمرة)، فإن انكماشها وانبساطها يستمران بتواتر متوازن مع تواتر الليل والنهار فهل لها ذاكرة زمنية؟ أم تمتلك ساعة حيوية منبهة تذكر النبات بوقت نشاطه واستراحته؟

لم يقطع العلم التساؤلات حول هذه الظواهر بتجارب يقينية وما زال البحث مستمرًا وإذا انتقلنا إلى عالم الحيوان، وخاصة تلك التي تمتلك جهازاً عصبياً راقياً، فإننا سنقف عند حالات تؤكد وجود آليات وربما مراكز خاصة لضبط الوقت، مع مرونة لتعدد التوقيت حسب الظروف المستجدة، أي تمتلك الأحياء ساعات حيوية الكترونية

القمر حول الأرض من الغرب إلى الشرق، أي يتأخر غروبه بمقدار (٤٨) دقيقة، فيكون اليوم القمري (٢٤) ساعة و(٤٨) دقيقة.

وبالنسبة للإنسان في علاقاته الإجتماعية والإقتصادية لا يعير اهتماماً لليوم النجمي واليوم القمري، لكن بعض الأحياء كما سنرى ضبط نشاطها كما يبدو بالاعتماد على اليوم النجمي واليوم القمري إلى جانب اليوم الشمسي.

ونعتمد في التقاويم على وحدة زمنية أكبر من اليوم، هي الشهر، وحدد الشهر من دوران القمر حول الأرض، وما يرافق دورانه من ظواهر حسب موقعه بالنسبة للشمس والأرض. وما يسببه في البحار من مد وجزر، اعتمدت الكائنات الحية على تلك الظواهر في ضبط توقيتها، وبشكل خاص الأحياء البحرية الشاطئية، حيث وقتت نشاطها مع المد والجزر. والوحدة الزمنية الأكبر من الشهر هي السنة بفصولها الأربعة، يعتمد عليها الإنسان في تقدير الأعمار والخطط الاقتصادية والعلاقات بين الدول (المعاهدات وغيرها). وفي الكائنات الحية أيضاً آليات متوافقة مع هذه الوحدة (السنة الشمسية) ونعود لسؤال:

**** هل تمتلك الكائنات الحية**

ساعات لضبط الوقت؟

يبدو أن كافة الأحياء بدءاً من الجراثيم

ولكنها ذكية، وسوف نتناول التوقيت اليومي والشهري والسنوي لدى الأحياء.

التوقيت اليومي:

ذكرنا أن بعض الظواهر في النباتات متوافقة بتواتر الليل والنهار، وفي عالم الحيوان أمثلة لا تحصى، فالحيوانات الليلية تنشط في الليل بدءاً من غروب الشمس كالفئران والصراصير والخفافيش والقنافذ وغيرها، وفي النهار تنشط الأحياء النهارية وما كان لها أن تقوم بهذا النشاط لو لم تحدث تبدلات في فزيولوجية الجسم بشكل عام فالجملة العصبية والحواس تبقى نشطة في الفترة المخصصة ليلاً أو نهاراً، ولذلك تكون أنشطة أجهزة الجسم الأخرى في حالة استجابة مع نشاط الجملة العصبية.

ويمكن تعديل التوقيت اليومي عند الإنسان، فالذي اعتاد الاستيقاظ في السادسة صباحاً بدون منبه خارجي، يمكن أن يمدد التوقيت إلى الثامنة صباحاً إذا استمر في النوم للثامنة صباحاً عدة أيام وفي ظروف حياة جديدة تتعلق بالضوء والحرارة وعوامل أخرى. ولكن على أساس (٢٤) ساعة وليس أقل من ذلك. فإذا اعتاد أن ينام الإنسان (٨) ساعات من (٢٤) ساعة، لا يستطيع ضبط هذا التوقيت على أساس (٢٠) ساعة مثلاً. وهذا يرتبط باليوم الشمسي والتكيف معه عبر آلاف السنين، فلو كان اليوم الشمسي (٣٠) ساعة، لكان

أساس التوقيت من (٣٠) ساعة.

فإذا وضع الإنسان أو الحيوان في ظروف الليل أو النهار عدة أيام فهل يحافظ على دورة نشاطه اليومي على أساس (٢٤) ساعة؟

من تجارب عديدة على النباتات وبعض الحيوانات كالصراصير، تبين أن دورة نشاطها تقل أو تزداد حسب نوع الكائن الحي، وتتراوح بشكل عام بين (١٩) و(٢٩) ساعة.

التوقيت الشهري:

يعتمد الإنسان على التقاويم في تحديد الأشهر والأسابيع، وتم تحديد الأشهر بالملاحظة الواعية لحركة القمر حول الأرض، وهي ظاهرياً تستغرق (٢٩) يوماً شمسياً أو ثلاثين يوماً شمسياً. وبمقارنة عدد دورات القمر حول الأرض بدورة الشمس في فلك البروج في (٣٦٥) يوماً وربع اليوم، تبين أن (١٢) دورة للقمر تعادل تقريباً دورة واحدة للشمس في فلك البروج، ودورة الشمس في فلك البروج ظاهرياً هي السنة، فالسنة إذاً تقدر بـ (١٢) شهراً. وفيما بعد ظهر مفهوم الشهر القمري والشهر الشمسي، ولا مجال لتفصيل ذلك هنا.

وفي عالم الأحياء نشاطات متوافقة مع فترات زمنية تقدر بالشهر أو نصف الشهر كما سنرى.

إن المد والجزر في بعض البحار يحدثان

واحدة، حدث مدُ أعظمي ويحصل هذا في بداية الشهر القمري وفي منتصفه، والمد في بداية الشهر القمري أعظم من المد في وسطه، ويحدث مد في حده الأدنى في التربيع الأول والتربيع الأخير للقمر، يرافق المد الأعظمي جزر أعظمي، ويرافق المد الأدنى جزر أدنى، وقد وقعت بعض الحيوانات نشاطاتها الخاصة وفق هذه الظاهرة أي المد الأعظمي.

- بعض الأسماك من نوع غرونيوز تتجمع على الشطان الرملية في كاليفورنيا في بداية الشهر القمري، بانتظار المد الأعظمي من أجل التكاثر، وفي الأيام الأخرى لا تسلك ذات السلوك.

- والسرطان اللاهي ينشط خلال الجزر الأدنى، ويختبئ في جحره خلال المد الأعظمي وإذا نقل إلى أحواض التجربة، يسلك نفس السلوك بشكل متوافق مع المد والجزر الأعظميين في البحر الذي أخذ منه، والكائن الحي يعمل وفق أكثر من توقيت،

فهو يعتمد على التوقيت اليومي في بحثه عن الغذاء وعلى التوقيت الشهري للتكاثر أو تحقيق مزيد من فرص البقاء على قيد الحياة، وبالنسبة للإنسان نلاحظ ظاهرة التوقيت الشهري عند المرأة، في الإباضة والحيض (الدورة الشهرية) وهي تعادل وسطياً شهراً قمرياً، ترافق ذلك تغيرات في فيزيولوجية الجسم ونشاطه الهرموني بشكل

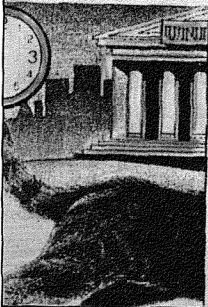
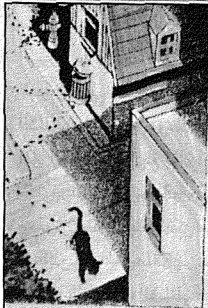
بشكل يومي، فعندما يصبح القمر فوق سمت البحر يحدث المد أي ارتفاع الماء، فيمتد إلى البر ويغطي مساحات معينة من رمال الشاطئ وصخوره وعندما يصبح القمر في أفق البحر يتراجع الماء أي يحدث الجزر، وكثير من الحيوانات وقعت نشاطها مع ظاهرتي المد والجزر نذكر منها:

- الديدان المتزحلقة من جنس كونفوليتا تعيش على رمال الشاطئ أثناء الجزر، فإذا جاء المد تطمّر نفسها في الرمال، وإذا نقلت إلى حوض اختبار زجاجي فيه رمل، ووضع الحوض بعيداً عن البحر، تخرج هذه الديدان في فترات الجزر وتطمّر نفسها في الرمل في فترة المد كأنها تعيش على رمال الشاطئ وتستمر هذه الظاهرة عدة أيام حتى يحدث التكيف مع الوضع الجديد.

- ونوع من المحار يفتح قوقعته أثناء المد ويغلقها أثناء الجزر، نقل إلى حوض التجارب، فكان يبدي استجابة مماثلة مع تواتر المد والجزر.

والغريب أن الكائنات الحية وقعت استجاباتها مع تواتر المد والجزر رغم تأخر المد والجزر يوماً بمقدار (٤٨) دقيقة، أي أن الكائن الحي يؤخر نشاطه يومياً بمقدار تأخر المد والجزر.

وظاهرة المد والجزر مركبة، لأن الشمس لها دور في المد والجزر أيضاً، فإذا كانت الأرض والقمر والشمس على استقامة



دوري أيضاً، على أساس التوقيت الشهري.

التوقيت السنوي:

إن الأمثلة عن هذا التوقيت كثيرة في عالمي النبات والحيوان، فبعض النباتات الموسمية تزهر في فترة محددة من السنة، وتثمر في مدة معينة، وبالنسبة للنباتات المدجنة يعرف الإنسان بشكل دقيق، متى يزرعها ومتى يحصد ثمارها بالاستناد إلى توقيتها الحيوي.

وأشهر الأمثلة على التوقيت الحيوي السنوي في عالم الحيوان هو النشاط التناسلي للقطط في شهر شباط في المناطق المعتدلة، وتضع الإناث مواليدها في آذار، ولكل ظاهرة استثناءات، كما أن ظاهرة الهجرة السنوية عند بعض الطيور والأسماك والفراشات وغيرها، التي تحدث في شهر معين من السنة، دليل أكيد على

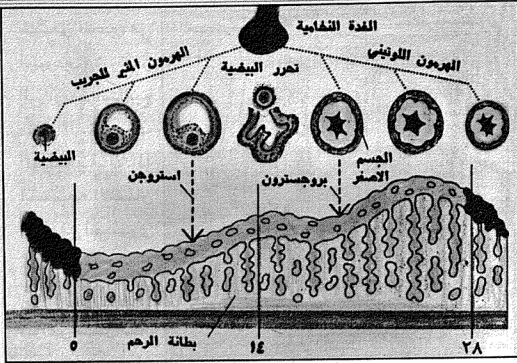
وجود توقيت حيوي سنوي عند هذه الأحياء. وإذا كان الإنسان يعتمد السنة في تقدير الأعمار ووضع الخطط الإقتصادية، والسنة تعادل (١٢) شهراً، والشهر (٣٠) يوماً، أي أن الإنسان يعتمد في تقدير الوقت على وحدات التوقيت، السنة والشهر واليوم

- أربع صور تمثيلية للقطعة الذكية التي لاحظها الدكتور غوستاف إيكشتاين، وكانت تتصرف كأنها تدرك الوقت بالساعة والدقيقة في يوم الاثنين من كل اسبوع.

وأجزاء اليوم، كذلك تفعل الأحياء بشكل أو آخر بميقاتيات حيوية وتقاويم حيوية فأين تقع؟ وما هي؟

توقيت حيوي غير دوري:

فعاليات الحياة منضبطة بشكل دقيق، وهي تعمل وفق توقيت داخلي مبرمج



بإشراف وتوجيه المورثات، أي لا علاقة مباشرة بينها وبين التواترات الطبيعية، من ذلك تطور بيضة الدجاج مثلاً، فهي تتطور إلى كتوت (صوص) في فترة ثلاثة أسابيع إذا توفرت لها الحرارة المناسبة، والتقليب المستمر بمعدل مرتين في اليوم.

- رسم يوضح تبدل بطانة الرحم بتواقت مع تطور جريبات دوغراف وتحرر الببيضة وتشكل الجسم الأصفر وحوث الحيض بشكل دوري - تتكرر هذه الظاهرة عند المرأة شهرياً.

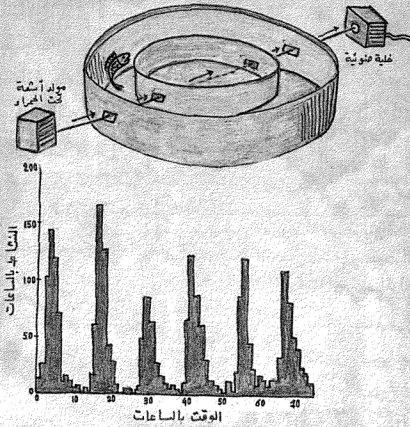
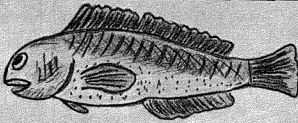
في الحالة الطبيعية لتكاثر الدجاج، تطراً على الدجاجة تبدلات فيزيولوجية، فتتوقف عن الحركة، وترتفع درجة حرارتها، وترقد على البيض، فتعطي من جسمها حرارة ورطوبة مناسبة للبيوض، وتقلب البيوض بمنقارها، تتحسس الببيضة بمنقارها فتعرف الجانب الأكثر حرارة من الآخر، فتقلب الببيضة لتتوزع الحرارة على كافة أجزاء الببيضة، ولتعرض محتويات الببيضة لظروف متوازنة من الحرارة والرطوبة وقوة الجاذبية الأرضية.

بشكل عام في المناطق المعتدلة، لهذا فدورة تكاثر الدجاج متوافقة مع الفصول وهذا توقيت حيوي تحدد خلال ملايين السنين.

وقد استطاع الإنسان التحكم في توقيت التكاثر الحيوي في الدجاج بالتفريخ الصناعي، حيث تحضن البيوض الملقحة في حاضنات صناعية في مكان تكون درجة الحرارة فيه بحدود (٤٢) درجة مئوية، ورطوبة مناسبة مع تقليب مستمر، وبعد (٢١) يوماً تفقس البيوض، فتخرج الصيصان فلم يعد التفريخ الصناعي دورياً أي يمكن توليد صيصان في كل الفصول.

لكن تطورات الجنين داخل الببيضة خاضعة لتوقيت دقيق مدهش يفضل توجيه المورثات التي قدرها الحكم العليم. فلا

يحدث التبدل الفيزيولوجي في جسم الدجاجة في أواخر الشتاء وبداية الربيع

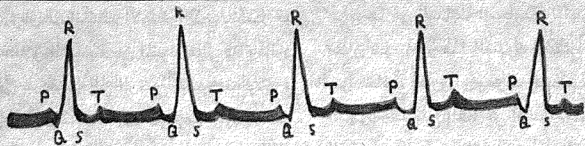


- سمكة الشاني Lipophrys Pholis. و- حوض الاختبار لسمكة الشاني (تجربة جيسون).
- مخطط بياني يوضح ايقاع النشاط الداخلي لسمكة الشاني حسب تجربة جيسون في المختبر والقسم المنتظمة
تتوافق مع أوقات المد المتوقعة.

البروتينات والانزيمات إلى تراكيز معينة ويوجد عوامل أخرى تبدأ المورثات بتشكيل هذا النسيج أو ذاك، ولا توجد قفزات في الحياة، فالحوادث مترابطة متسلسلة متواقة. والوضع معقد جداً، فالتوقيت الحيوي المرتبط بتطور الخلايا والانسجة والأجهزة في جسم الكائن الحي لا تخضع لتواترات الطبيعة دائماً، أي لا تكون دورية تماماً.

يكتمل الجنين في اسبوعين ولا يتأخر إلى أربعة أسابيع في الظروف الطبيعية، إلا إذا أخضعه الانسان لظروف أخرى كالتبريد ونحو ذلك. وفي الحياة ظواهر مترابطة، فجلة أسباب تؤدي إلى نتيجة، وهذه النتيجة تصبح سبباً لظاهرة جديدة، وهكذا تتعاقب الأسباب والنتائج، حتى يتحقق الهدف المنشود من وجود الحياة لهذا الكائن أو ذاك.

ونشير إلى بعض أسرار الحياة، فالبيضة لا تحتوي على نسيج عظمي أو نسيج عضلي أو نسيج عصبي... الخ، فكيف تتشكل؟ تنقسم البيضة (الخلية التناسلية) بعد التلقيح انقسامات متتالية في فترات زمنية دقيقة فتنشأ آلاف الخلايا وهذه الخلايا تنتج بروتينات وأنزيمات، وعندما تصل كمية



- مخطط القلب الكهربائي ونلاحظ الدورية في نبضة القلب، وقراءة تحتاج إلى طبيب مختص.

القلب ساعة تنبض مدى الحياة: (الشكل (١))
الكهربائي يشير إلى ساعة القلب البيولوجية تماماً.

والشكل المرفق يوضح مخطط القلب الكهربائي النموذجي، فالحرف (P) يشير إلى الانقباض الأذني والأحرف Q R S تشير إلى الانقباض البطيني، والحرف (T) يشير إلى الانقباض، كل ذلك يحدث في (٠.٨) من الثانية عند الانسان البالغ السليم.

الدورة الشهرية عند المرأة: الشكل (٢).

جملة (العادة الشهرية) مستخدمة في اللهجات المحلية، وهي تعبر عن ظاهرة الطمث عند المرأة، فالمرأة في سن البلوغ تطرح كمية من الدم (الحيض) في الشهر لمدة عدة أيام وتكرر بشكل دوري إذا كان الجسم سليماً، وتستطيع المرأة أن تحدد بشكل دقيق متى سيبدأ الحيض عندها. والظاهرة معروفة تماماً بفضل تطور علوم الطب، فهي تخضع لضبط هرموني، ابتداء من هرمونات الغدة النخامية وانتهاء

ينبض القلب بشكل متواتر مدى الحياة، والقلب يعمل تلقائياً حتى بعد نزعها من الجسم بشروط خاصة، فللقلب حركة ذاتية تبدأ بالانقباض الأذيني بتحريض من العقد الجيبية ويستغرق الانقباض الأذيني (٠.١) من الثانية، ثم يبدأ الانقباض البطيني بتحريض من العقدة الحاجزية وألياف بوركينغ المتفرعة من حزمة هيس (Hiss) والتي تنشأ من العقدة الحاجزية، ويستغرق الإنقباض البطيني (٠.٣) من الثانية، بعد ذلك ينبسط القلب في فترة (٠.٤) من الثانية، فالقلب يعمل نصف الوقت ويستريح نصف الوقت، ترافق هذه الحركة تغيرات كهربائية، وقد استطاع الإنسان تسجيل هذه التغيرات على شكل مخطط بياني، ومنه يستدل على الانقباض الأذيني والانقباض البطيني، والانقباض، وليس هذا فحسب إذ يمكن تقدير مدة كل حركة وما يصيبها من اضطراب أثناء الأمراض. فمخطط القلب

مسرعاً في الساعة السابعة والنصف إلى مكان ما. أثار هذا السلوك انتباه العالم غوستاف، فقرر أن يعرف الهدف من هذا السلوك، ففتح القط في أحد الأيام، عبر القط حرم الجامعة إلى أن وصل إلى القسم النسائي في المشفى الجامعي، فقفز فوق حافة نافذة في الطابق الأرضي في الساعة السابعة و(٤٥) دقيقة، وبقي محديقاً في الغرفة مدة ساعتين ثم عاد مسروراً نحو المنزل.

وعرف غوستاف فيما بعد أن هذا القط بعد تناول العشاء كان يستمتع بالنظر الى لعبة (بنفو) وهي لعبة يا نصيب تعتمد على قسائم وأرقام مدونة على لوحة مضيئة وصالة مليئة بالمراهقين. والسؤال الآن:

**** كيف عرف القط يوم الإثنين؟ وكيف حدد الساعة السابعة والنصف موعد العشاء؟ والثامنة إلا الربع موعد البدء باليانصيب؟ وأي ساعة حيوية يمتلكها هذا القط؟ وكيف استطاع أن يربط بين كل هذه العناصر (يوم الاثنين والعشاء واليانصيب) في أوقات محددة؟**

ليس هناك إجابة دقيقة على هذه التساؤلات، ولا يمكن تحليل هذا السلوك بالفعل المنعكس الشرطي فقط، إنه سلوك عجيب وغريب بمفاهيمنا البشرية!

طائر جميل مهاجر «الهدهد»:
الهدهد من الطيور الجميلة، ويعرف في

بهرمونات الجسم الأصفر الذي يتشكل بعد انطلاق البيضة من المبيض إلى قناة فالوب، في طريقها إلى الرحم. تحدث تبدلات في بطانة الرحم استعداداً للبيضة، فإذا لُقِّحت، تنقسم عدة إنقسامات وتنزل إلى الرحم لتعيش في مكان غني بالأوعية الدموية، فإذا لم تلحق، لا تستقبلها بطانة الرحم، فتتمزق الأوعية الدموية، ويخرج الدم (الحيض)، ولغة التخاطب بين المبيض والرحم والغدة النخامية هي الهرمونات، وما يهمنا هنا أن العمل موقت بشكل دقيق. وإلا تحدث أخطاء لا تحمد عقباه، وعلى سبيل المثال: إذا لم تتشكل بطانة الرحم قبل نزول البيضة الملحقة فكيف ستتغذى البيضة وتعيش؟

إن التوقيت هنا داخلي على مستوى الجسم بكامله، ولا علاقة له بالقمر أو الشمس حالياً وربما كان في الأزمان البعيدة ظاهرة متوافقة مع القمر وهذا غير مؤكد.

سلوك عجيب لقطة زكية:

الشكل (٣)

يروى الدكتور غوستاف ايكشتاين أستاذ علم النفس في جامعة سينسيناتي في الولايات المتحدة الأمريكية ما لاحظته على قط زكي: كان القط يعيش مشرداً في حرم الجامعة ينتقل من مكان إلى مكان، في أيام الأسبوع، ولكن في يوم الاثنين تحديداً، كان يأتي إلى باب المطبخ فيموء طالباً الأكل، فإذا أعطي ما يطلب يتناوله بسرعة، ثم يذهب

بشكل إطار، تستطيع السمكة أن تسبح فيه بشكل دائري وكانت السمكة تقطع الأشعة تحت الحمراء التي سلطها على منافذ زجاجية في جدران الوعاء وفي كل قطع للأشعة كانت الخلية الضوئية تسجل نشاط السمكة، فلاحظ جبسون أن السمكة تنشط بشكل مكثف أثناء حصول المد في الطبيعة وهي داخل الحوض.

وتهدأ أثناء الجزر، وقد رسم مخططاً بيانياً لنشاط السمكة ولاحظ أن قمم المخطط تتوافق مع أوقات المد، ويتكرر النشاط مرتين في اليوم خلال (٢٤) ساعة.

ويعلق جبسون على هذه النتيجة، وتجارب على أسماك أخرى «تستمر بعض الأسماك من فصائل مختلفة في القيام بنفس السلوك المرتبط بفترتي المد والجزر، إذ تجعل فترة راحتها في الوقت المتوقع للجزر، ونشاطها في الوقت المتوقع للمد».

ولا يعرف بالضبط حتى الآن كيف يتم ترسيخ هذا النظام الداخلي، ورغم الأبحاث العملية التي بينت أن الضغط المائي المصاحب لارتفاع الماء وانخفاضه أثناء المد والجزر هو المتسبب جزئياً على الأقل، وليس لكثير من الأسماك المدجزية مثانة هوائية، ويعتبر هذا العضو مسؤولاً عن معرفة مستوى الضغط في الأسماك العظيمة. لذلك تبقى كيفية اكتشاف الأسماك المدجزية للتغيرات البيئية في الضغط أمراً محيراً،

بعض المناطق باسم طائر سليمان نسبة إلى نبي الله سليمان عليه السلام، عندما تفقد الطير، فوجد الهدهد غائباً، وعندما عاد أخبره الهدهد عما رآه في اليمن، ملكة تحكمهم ولها عرش عظيم، إنها الملكة بلقيس، وكان الملك سليمان (عليه السلام) في بلاد الشام، إن القصة تؤكد هجرة هذا الطائر بين الشمال والجنوب، بحثاً عن الأماكن الدافئة، في الربيع يهاجر هذا الطائر باتجاه الشمال، وبحلول الشتاء يهاجر نحو الجنوب في فترات محددة، فكيف يحدد وقت الهجرة؟ الإحتمالات كثيرة، منها: الاعتماد على مواقع النجوم، أو إدراك التبدلات في الطقس أو استجابة لتغيرات فيزيولوجية في جسمه، كل الاحتمالات واردة، ولكن ما خفي علينا من أسرار الساعة الحية أكبر مما نعرف.

الساعة الحيوية في سمكة الشاني:

الشكل (٤)

سمكة الشاني Lipophrys Pholis تعيش على سواحل فرنسا في مناطق المد والجزر، أثناء المد تنشط باحثة عن غذائها، وأثناء الجزر تندس تحت الصخور أو بين الأعشاب حتى يحين موعد المد التالي.

وقد أجرى العالم ر.ن. جبسون المسؤول في الجمعية الاسكتلندية في Oban والمهتم بدراسة الأسماك (المدجزية) تجربة على سمكة الشاني، كما يلي:

وضع السمكة في حوض ماء خاص

وفي الطبيعة تتغير استجابة الاسماك لحالاتي المد والجزر تبعاً لتعاقب الضوء والظلام أو ربما تبعاً لنظام زمني متأصل. (أربع وعشرون ساعة تقريباً).

أين تقع الساعة الحيوية في جسم الكائن الحي؟ الشكل (٥)

من الأمثلة الكثيرة التي تظهرها الأحياء كنشاط متواتر مع تواترات في الطبيعة. يتضح أن آلية ضبط الوقت موزعة في كل الأنسجة، وبالتحديد في كل الخلايا، فوحيدات الخلية كالجراثيم مثلاً، ليس لها جملة عصبية ولا أعضاء متخصصة، ورغم ذلك تمتلك ساعة بيولوجية بشكل ما.

وفي النباتات الموسمية، تلاحظ الأنشطة المتواترة مع تواترات الطبيعة وهي لا تمتلك جملة عصبية، فهل الساعة الحيوية في الجذور؟ أم في الساق؟ أم في الأوراق؟ إن نشاط الكائن الحي تساهم فيه كل الانسجة والأعضاء، وهذا يدفعنا للبحث عن أعضاء وأنسجة أو مراكز متخصصة لضبط الوقت عند الكائنات الراقية، فإذا تخربت تلك المراكز فقد الكائن الحي القدرة على ضبط الوقت. وفي الإنسان يخضع نشاط الجسم لإشراف الجملة العصبية وأخلاط البدن (الضبط الهرموني) لذلك لابد من التفكير بأن مراكز ضبط الوقت موجودة في الجملة العصبية وبالتحديد في الدماغ، في مكان ما، وربما في المهاد البصري (الهيبتوتالاموس).

مع عدم تخلي كل خلية عن توقيتها الداخلي للقيام بنشاطها وانقسامها في الوقت المناسب. ومن الناحية التشريحية نجد أن الغدة النخامية، وتدعى ملكة الغدد - تضبط نشاط الغدد الأخرى - هذه الغدة لها ارتباط مباشر بالمراكز العصبية، ولها فص عصبي وتقع في مكان استراتيجي في الدماغ، أي يتكامل الإشراف على نشاط الجسم في الإنسان بفضل التنسيق بين الجملة العصبية والنظام الهرموني (عمل الغدد).

وأجريت تجارب على حيوانات كثيرة لمعرفة مراكز ضبط الوقت عندها، ومن تلك التجارب تجربة أجريت على الصراصير وفيما يلي نتائجها:

كانت الصراصير تخرج من مخابئها في الساعة السادسة مساءً في أحد المخازن وتبقى ناشطة حتى الساعة السادسة صباحاً، نقلت إلى أماكن أخرى مع تعريضها إلى نور مستمر أي (لا يوجد ظلام) فغيرت مواعيد نشاطها بشكل مخالف للسابق. وقد اهتمدى العلماء إلى مراكز ضبط الوقت عند هذه الصراصير، فمن تجارب تشريحية كثيرة ودقيقة، تبين وجود أربعة خلايا عصبية في عقدة قرب الدماغ، هي المسؤولة عن ضبط الوقت، إذ أخذت هذه الخلايا من الصراصير النشطة ليلاً من المخزن الأول وزرعت في الصراصير التي اعتادت النشاط بوجود النور المستمر، وفي العمليات الناجحة كانت الصراصير تنشط من الساعة السادسة مساءً إلى السادسة

توقيتيه، ومجمل أجهزة الجسم تعمل بتوافق وانسجام تام عندما يكون الجسم سليماً من العاهات والأمراض.

فكل خلية حية بحاجة إلى غذاء وأكسجين، وعناصر كيميائية، ترد إليها عن طريق الدم، وتعمل بتوجيه الجملة العصبية والهرمونات على صعيد الجسم عموماً وتعمل بتوجيهات المورثات في داخل النواة على الصعيد الداخلي، يعمل بالثواني والدقائق وفترات أقصر وأطول، ولكن التوقيت العام للجسم يعتمد على آليات مشتركة لأجهزة عديدة وتتفاوت أهمية وألوار الأجهزة في ضبط الوقت.

إن الساعات الصناعية تعمل بقوة مرونة النابض أو بالقدرة الكهربائية في الساعات الحديثة، ولا تعمل الساعة في ضبط الوقت إلا إذا توفر لها مصدر للطاقة أو القوة، فإين نجد القوة أو الطاقة الضابطة للساعة الحيوية؟

الساعة الحيوية هي نظام الحياة، فالخلية التي ستعطي الكائن الحي (البيضة الملقحة) تنشط بشكل متوافق بدقة، ويتوجيه المورثات لتعطي كل نسج في الوقت المناسب فهل هو صدفة أن يكون تخليق الإنسان في بطن أمه تسعة أشهر بشكل عام.

إن نقطة البدء في عمل الساعة الحيوية كانت في مورثات الخلية الأولى التي أعطت الكائن الحي، ويستمر التوقيت مادامت الحياة مستمرة، لهذا الكائن أو ذاك. وكما

صباحاً كأنها موجودة في المخزن الأول رغم وجود النور.

ما هي الساعة الحيوية (البيولوجية).

قبل أن نبين ما الساعة الحيوية نضرب مثلاً للتوضيح. إن الساعة اليدوية (الميكاتية) التي نضعها على معصمنا آلية مزودة بمسننات، تتحرك بقوة مرونة النابض، ويتم ضبط الوقت فيها من التناسب العددي بين أعداد المسننات المختلفة، وهي محسوبة بدقة وفق قواعد حسابية، ولا يمكن معرفة الوقت بها إذا لم تزود بمؤشرات (عقارب) تشير إلى أرقام متفق عليها، مدونة على لوحة خاصة، والسؤال الآن:

- هل يشكل النابض ساعة؟

- هل تشكل المسننات ساعة؟

- هل تشكل المؤشرات (العقارب) ساعة؟

إن مجموع تلك الأجزاء في إطار معين وبتكوين معين تشكل ساعة (ميكاتية) فإذا حدث خلل في أي جزء، يحدث الخلل في ضبط الوقت، فالنابض المرن إذا أصبح رخواً بتأثير الحرارة أو بصدمة ميكانيكية، يفقد جزءاً من مرونته وتتباطأ حركة المسننات وتتباطأ حركة عقارب الساعة، وينعكس ذلك على آلية ضبط التوقيت، فتؤخر الساعة في هذه الحالة، كانت تلك المقدمة ضرورية لإدراك المقصود بالساعة الحيوية (البيولوجية) فكل خلية في الجسم لها توقيتها وكل جهاز حيوي في الجسم له

النسيج العضلي القلب. فالعقدة الأولى (العقدة الجيبية) وتدعى عقدة (كايت فلاك) - تقع على الأذنية اليمنى بجانب الجيب الوريدي النازل. والعقدة الثانية (العقدة الحاجزية) وتدعى عقدة (تاوارا)، تقع بين الأذنتين والبطينين في الحاجز، تتصل العقدة الأولى بالثانية، بألياف شبه عصبية، وتتفرع من العقدة الثانية حزمة هيس، التي تتفرع إلى ألياف تستبطن جدار البطينين من الداخل وتدعى ألياف (بوركينغ).

وإذا عزل القلب عن الجسم، ووضع في محلول مغذ «محلول رينجر» يبقى حياً ينبض ببطء بفضل العقدتين، وعندما يكون في الجسم تكون نبضاته سريعة لأن الإيعازات تأتيه من البصلة السييسائية عن طريق أعصاب محركة، لهذا إذا تعرضت البصلة السييسائية لضربة قوية يتوقف القلب، ويموت الإنسان، وإذا زادت نسبة غاز ثاني أكسيد الكربون في الدم، كما يحصل في حالات الاختناق أو حبس النفس، تتأثر خلايا البصلة السييسائية، فتتوزع بطريقة ما لزيادة وتيرة عمل القلب لتنشيط دوران الدم، كي يُطرح غاز ثاني أكسيد الكربون عن طريق الرئتين بسرعة، أي تقل فترات الانقباض والانبساط في النبضة الواحدة، وتصل نبضات القلب إلى أكثر من (١٠٠) نبضة في الدقيقة. فالقلب عدلٌ توقيت عمله بإيعاز خارجي من (البصلة السييسائية) وهذا يفيد أن الساعة الحيوية مركبة مرتبطة بالحياة

في الساعات الصناعية، هناك أجزاء أساسية وأجزاء مكملية، كذلك الساعة الحيوية فمراكزها في الجملة العصبية، في الكائنات الحية الراقية تمثل أجزاها الرئيسية.

ونقف بشكل مفصل عند حركة القلب في الانسان التي أشرنا إليها سابقاً تحت فقرة القلب ساعة تنبض مدى الحياة.

إن الحركة القلبية تتكون من الانقباض الأذيني والانقباض البطيني، تعقبهما فترة استراحة (انبساط) ومدد هذه الحركات في الجسم السليم، في الانسان الكهل (٥٠ - ٦٠) سنة هي:

- ١ - الانقباض الأذيني يوم (٠١) ثانية.
- ٢ - الانقباض البطيني يوم (٠٣) ثانية.
- ٣ - الاستراحة (الانبساط) تدوم (٠٤) ثانية.

فتكون مدة الحركة القلبية الواحدة (النبضة) هي: (٠٨) ثانية، ولما كانت الدقيقة (٦٠) ثانية، فيكون عدد نبضات القلب في الدقيقة [٦٠ - على - ٠.٨ = ٧٥ نبضة]، وقد تزداد أو تنقص نبضات القلب في الدقيقة، حسب الحالة الصحية والعمل والجهد المبذول، والقلب يعمل نصف الوقت ويستريح نصف الوقت مدى الحياة، وإذا حدث خلل في توقيت عمل القلب اضطرب نظام الدورة الدموية وحدث خلل في الجسم، قد يؤدي إلى الوفاة.

فكيف يتم ضبط الوقت في عمل القلب؟ يتم ذلك بفضل عقدتين وألياف شبه عصبية في جدار القلب، وكذلك طبيعة

يكون الإستقلاب لصالح البناء أكثر من الهدم أو العكس. ولا مجال لتفصيل أكثر، ولكن لابد من التنويه أن الاستقلاب (الهدم والبناء) يخضع لضبط دقيق من خلال جملة عوامل منها الحرارة والتراكم الكمي للنواتج أو ما يعرف بقانون فعل الكتلة، وعمل الإنزيمات... الخ.

فإذا أخذنا نوعاً من الجراثيم الهوائية التي تعيش في المياه الأسنة كمثال، إن نشاطها الأعظمي يحدث في درجات حرارة تقع بين (٣٥ - ٤٥) درجة مئوية، وهذه الدرجة تتأمن في الطبيعة نهاراً في الفترة الواقعة بين الساعة الثانية عشرة والرابعة مساءً، وبعدها تبدأ درجة الحرارة للماء الأسن بالانخفاض فيقل نشاطها، وبتكرار وتعاقب درجات الحرارة على الجراثيم تتكون نواتج بشكل غير متوازن في فترات النهار داخل الخلية، فإذا تشكلت كمية من مادة (أ) في فترة النشاط المثلّي من الساعة الثانية عشرة إلى الرابعة مساءً فإن إنتاجها يتوقف بعد ذلك، وتبدأ عمليات الهدم، ومتى وصلت النسبة إلى حدها الأول تشعر الخلية بالحاجة إلى بناء جديد، هذا الشعور يتكون بمرور الزمن ولذلك إذا وضعنا هذه الجراثيم في درجة حرارة (٣٠) درجة مئوية خلال (٤٨) ساعة، نجد أن نشاطها يزداد في الفترة الواقعة بين الساعة (١٢) ظهراً والرابعة مساءً. وبعدها يحدث تبديل بطيء للتكيف مع الظرف الحراري الجديد، والآلية

ولكن لها مراكز أساسية في الجملة العصبية وبعض أنسجة الجسم، وتعمل بمحرضات خارجية وداخلية كما سيتضح لاحقاً.

كيف تعمل الساعة الحيوية؟

يمكن الدخول في الإجابة على هذا السؤال، بسؤال آخر وهو: لماذا وجدت الساعة الحيوية (البيولوجية)؟.

إن الكائنات الحية تعيش في بيئات مختلفة وهي متكيفة مع عناصر البيئة الثابتة من جهة ومع العوامل المتغيرة بشكل دوري من جهة ثانية، والتغيرات الدورية لها صفة الديمومة، كالليل والنهار والمد والجزر وتعاقب الفصول، وهي عوامل قديمة خضعت لها الأحياء من ملايين السنين، لذلك احتاجت عضوية الأحياء لحاسة الوقت من أجل ضبط نشاطها وفق التغيرات الدورية، وقدر الخالق سبحانه فيها الآليات اللازمة بحكمته، ولعلنا ندرك الآن أهمية العوامل الخارجية في توقيت الساعة البيولوجية، ودفعها إلى العمل، وهي متغيرة متبدلة حسب الظروف التي تحيط بالكائن الحي.

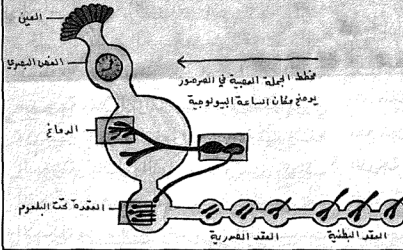
وعلى المستوى الخلوي، تقوم الحياة على عمليتين متناقضتين في آن واحد، عمل بنائي يتمثل في تصنيع بروتينات جديدة ومواد أخرى، وعمل هدمي يتمثل في اتلاف الغذاء المستهلك لتأمين طاقة، ومن التوازن (الديناميكي) بين العمليتين والذي نسميه (الإستقلاب) تستمر الحياة. لا يتساوى الهدم والبناء في النتائج، وفي الكم. قد

أعقد مما وصفناه بكثير.

وما يحدث في الجراثيم يحدث في خلايا الأحياء الراقية وفي الإنسان، فالساعة الحيوية تعمل من خلال الاستقلاب، وبتحريض من عوامل خارجية، ويحتفظ الاستقلاب بدوريته لفترة معينة، فيظهر كأن الكائن الحي يمتلك ساعة منبهة، توقظ نشاطه مع التواترات في الطبيعة، ومن الأمثلة العجيبة في هذا المجال نذكر ما يحدث للسرطان العازف Fiddlercrab في الليل تفرز الخلايا الصبغية لهذا السرطان مادة بيضاء عاجية، وفي النهار تفرز مادة رمادية قاتمة، واضح أن العامل الخارجي المنبه هو الضوء، وأثناء المد والجزر تزداد قتامة المادة الرمادية إذا حدث المد في النهار وتزداد المادة

البيضاء إذا حدث المد أثناء الليل وهنا يلعب ضغط الماء دوراً خارجياً إضافياً لدور الضوء، فإذا نقل هذا السرطان إلى حوض ماء ثابت، ونقل بعيداً عن موطنه، ووضع في مكان دائم الإنارة أو دائم الظلمة عدة أيام، يستمر تغير لون السرطان بتواتر مع تعاقب الليل والنهار ومع المد والجزر كأنه على شاطئ البحر الذي أخذ منه، وبمرور الزمن يفقد هذه الخاصية.

إن السرطان العازف يستجيب لتواترين



- يعتقد أن آلية ضبط الوقت في الإنسان تكمن في دماغه، بالتنسيق المشترك بين الجملة العصبية والغدد الصماء.
- مخطط الجملة العصبية في الضرور يوضع مكان الساعة البيولوجية.

دورين معاً، الليل والنهار والمد والجزر كأن في جسمه ساعتان إحداهما تنبه بتعاقب الليل والنهار والأخرى لتعاقب المد والجزر. كيف يحدث ذلك؟ الجواب في أعماق الخلايا العصبية التي تعمل بنظام دقيق، وأي ظاهرة في الحياة مركبة الأسباب، ولكن نميل إلى ردها إلى سبب واحد قد يكون أساسياً أو واضحاً، فالحرارة والضغط الجوي والرطوبة وحركة الرياح عوامل مترابطة بالإضافة إلى الإشعاع الشمسي والإشعاع الكوني والمجال المغناطيسي

الأرضي . فهذه العوامل تؤثر في نشاط الخلايا الحية وبالتالي توقيتها .

ساعات حيوية محيرة:

كيف تحدد الطيور موعد هجرتها وهي لم تقم بها سابقاً؟ وكيف تحدد أسماك الحنكليس موعد هجرتها من نهر النيل إلى بقعة الإنسال في المحيط الأطلسي وهي لم تر أبويها في رحلتها السابقة؟

إننا أمام لغزين عظيمين هما:

أولاً: تحديد موعد البدء بالهجرة في شهر معين من السنة.

ثانياً: البوصلة الحية التي ترشد هذه الكائنات في هجرتها عبر آلاف الكيلومترات ليلاً ونهاراً، وفي هذا البحث لن نتطرق إلى أسرار البوصلة الحية أو ما يعرف بحس التوجه عند الأحياء، وإذا شاء الله ستكون لنا وقفة عند أسرار البوصلة الحية في بحث خاص .

ساعة الإنسان الحيوية:

نشاط الإنسان الفيزيولوجي متوافق مع تواترات الطبيعة وبشكل خاص الليل والنهار كسائر الأحياء، ولكن في الإنسان حاسة لتقدير الوقت بشكل غامض، وقد أجريت تجارب على الإنسان نفسه لتقدير الوقت في غياب المنبهات الخارجية وبعيداً عن تواترات الليل والنهار (النور والظلمة).

ففي عام ١٩٦٢م دخل العالم الفرنسي (ميشيل سيفر) في نفق تحت الأرض دون أن يتأثر بتعاقب الليل والنهار، واصطحب معه عدته من الغذاء والماء واللوازم الأخرى وقرر أن يمكث شهرين معتمداً في تقدير الوقت على

حواسه، من جوع وعطش ونشاط فيزيولوجي، نوم وبقظة، فكان يسجل مرور كل يوم حسب اعتقاده، وبعد (٤٠) يوماً أخبره زملاؤه كم لبثت في النفق؟ فقال: (٢٥) يوماً، وما زال طعامي يكفيني لأكثر من شهر . وفي عام ١٩٦٥م دخل العالم الفرنسي (انطوان سوني) والعائلة (جوزيه لوزير) في أحد الكهوف، وكان كل منهما يسجل عدد الأيام حسب نشاط الجسم الفيزيولوجي ومكثا في الكهف (١٢٢) يوماً ، وجرى اتصال هاتفي بين انطوان سوني وأحد العلماء، فأخبره أن اليوم هو (٢/ نيسان/ ١٩٦٥م) . وقد دهش (سوني) إذ كان حسب تقديراته أن يوم المكاملة هو (٦ من شباط ١٩٦٥م) . وفي تجربة أخرى عام ١٩٦٧ دخل ثمانية علماء في كهف في جبال بوداي لقضاء شهر كامل دون الاعتماد على التوقيت الخارجي، وبعد انقضاء شهر حسب تقديرهم، خرجوا بعد أربعة أيام من انقضاء الشهر، أي كان تقديرهم للوقت اليومي يعادل (٢٧) ساعة . نلاحظ دور التواجد الاجتماعي في ضبط الوقت إلى حد ما، فالاستقرار النفسي له دور في سلامة حس الوقت عند الإنسان .

وتبرز أهمية الاعتماد على الساعة البيولوجية في رحلات الفضاء البعيدة، حيث لا يصلح النظام الأرضي للتوقيت في سفن الفضاء، كذلك المكوث في أعماق البحار في قمرات أو غرف خاصة لمدة طويلة .

نخلص مما تقدم: لدى الحيوانات والنباتات آليات لضبط الوقت القصير والطويل على إيقاعات تواتر الظواهر الطبيعية، وهي إحدى أسرار الحياة التي لم يعرف عنها إلا القليل، ومهما علم الإنسان فما يجهله أكثر (وما أوتيت من العلم إلا قليلاً) .

الحياة

لكي تشعر من حولك بأنك مازلت على قيد الحياة لابد لك من حركة .. من همسه .. من صوت مسموع .. من صرخة ملوية تحفر أركان المكان من حولك اذا كان كل الذين من حولك نيام.

هناك معادلة منطقية لابد وأن يحكمها التوازن العادل بين مصلحة المبادئ .. ومبادئ المصلحة .. أي أنه لكي يتم العطاء من جانب .. لابد وأن يتم الأخذ من الجانب الآخر .. وإلا تحول الأمر في التعامل الى ابتزاز .. وغبن مرفوض أيا كان ورق السلفان الملف به .. وأيا جات القناعات! المقتعة.

ونحن هنا ندرك أن للآخرين مصالح لدينا يجب أن نسلّم بها .. لأن العالم مصالح .. إلا أننا نؤمن أيضاً وقبل أي شيء وقبل كل شيء أن لنا مصالح على أرضنا لها درجة الأفضلية والأسبقية على مصالح الغير .. وما لم تحترم مصالحنا السيادية، والسياسية .. فإن مصالح الآخرين لدينا تفتقد غزيرتها .. شرعيتها .. ومصداقيتها.

إن مصالح تقوم على مفهوم الأخذ وحده دون عطاء .. دون توازن بينهما يعمق الثوابت المصلحية بين الطرفين تنهاوى دون شك بفقدان الأرضية الصالحة لاستقرارها واستمرارها.

من حقنا أن نرعى مصالح الآخرين .. ولكن في حدود أن تظل مصالحنا لديهم على قدم المساواة في التعامل .. شريطة أن يؤخذ في الحسبان أولويات أهدافنا القومية .. من غير ابتزاز مصلحي .. ولا انحياز لعضو محتل ما برحت آتة الجهنمية وشهية الشيطانية تحصد الأرواح البرية من أهلنا دون رادع .. لن تظل مصالح ثابتة من جانب واحد فقط .. ثوابت التاريخ أكدت هذا .. ولا شيء آخر.

نعم .. أخطأ وأخطأ صدام حسين في حق الشقيقة الجارة «الكويت» وفي حق وطنه «العراق» .. وفي حق أمته العربية التي أصابها بسبب نزقه الجنوبي الصداق والتمزق .. ولكن .. ما ذنب شعب العراق المغلوب على أمره .. والذي يتصور جوعاً .. ويموت الآلاف من أطفاله وقد افتقدوا الهواء .. والغذاء تحت طائلة الحصار الظالم.

ولا تزد وازدة وزد أخرى! صدق الله العظيم .. «اسرائيل» لها نفس الأخطاء .. نفس العنوان المتكرر .. احتلت أراضي الغير .. أذلت .. ومع هذا لم تحاصر .. بل تناصر.

ليس من مصلحة هذا العالم المغلوب على أمره .. والذي لا يملك دفاعاً ولا دفاعاً عن نفسه أن تنفرد به قوة عظمى واحدة.

إن المصلحة تتأتى في قيام توازن استراتيجي .. بين قوتين عظميين أو أكثر .. تضع حداً للاستفراد .. وشهية الاستبداد .. أو على الأقل تحد من شراسته بعامل الحر من رد فعل قوي مواز لقوته .. إن الميزان يظل فاقد عدله واعتداله ما لم يتوفر

كلمات للحياة!



محمد
البواردي

له كفان متساويان على أرضية التعامل.. هكذا أتصور.

* من اختار المذلة أهدى له الإنكسار.. بهذا المعنى عبر ونستون تشرشل ضمن خطابه الرائع في مجلس العموم البريطاني عام ١٩٢٨ إبان وقع الهزيمة.. قائلًا بالحرف الواحد:
- لقد خيرت إنجلترا بين الحرب والعار.. وقد اختارت العار وكوفئت بالحرب.
- هل كان يؤذن في ماله.. أم أنه يهدي مقولته لكل المؤننين في ماله؟
* البعض مخه أشبه بالأسفنج لا يمتص الا ما يستهويه.. تلك هي طبيعة بعض رجال الفن والفكر والسياسة.

* الميثاق الوطني الفلسطيني الذي تم تعديله قوليل بالترحيب الحار من اسرائيل واصدقائها الى درجة النار.. مبروك لو ان هؤلاء جميعاً ربوا للسلطة الفلسطينية جميعها واعترفوا بقيام دولة فلسطين المستقلة على ترابها الوطني منذ عام ١٩٦٧.. ولا «فلا مبروك ولا يحزنون».
* كيف لخلوق أن يأمن جانب من حاد خالقه.. وحرف رسالته.. وجادل رسوله.. ونكث عهده..
وتنكر عبر تاريخه لأبسط قواعد القيم الانسانية!!
أمر يصعب قبوله.. أو تصديقه.. ومع هذا نعلل انفسنا بكلمة «لعل» و«عسى» و«ليت» وهل تنفع شيء «ليت».

* محطة (M.P.C) التلفزيونية تستحق من كل مشاهديها التهنئة وهي تغطي أحداث العالم من حولنا.. وبإذات قضايا الساعة التي تطل مستقبلنا.. والأخطار المحدقة من حولنا.. والبعيدة عنا.. انها نافذة حية مفتوحة تطل على مجتمعنا العربي والإسلامي عبر مساحته الشاسعة الواسعة.. تخاطبه من خلال تغطية تلفزيونية كانت مفقودة الى وقت قريب.. حكراً على قنوات مشبوهة موسومة بالتحيز أصدق ما يقال عنها انها تعبر عن وجهة نظر غير محايدة.. بل اكاد أقول معادية لتوجهات المسلمين وقضاياهم.. في ساحة الأقطار الصناعية معركة حامية الوطيس ومؤثرة اسمها البث الإعلامي المشاهد عبر الأقمار الصناعية.. ذلك البث الإعلامي المتداخل من خلال ما يصوغه ويقدمه من مادة تشكل وجدان المتلقي.. وتفجر في كرامته بؤرة القبول والرفض والتحدي.

من هنا فإننا نطلب المزيد والمزيد من كل قنواتنا الفضائية العربية كي تكسب ونكسب معها الرهان في معركة حرب الإعلام الخارجي.. وفي عصر ثورة المعلومات.. فلم يعد للصوت المحنود المساحة من مكان في الساحة.. ولم يعد للصوت المبحوح.. أو الخافت من صدى.
العالم كله بكل قنواته.. وكل قواته يتسابق من أجل كسب المزيد من السابق.. وحصاننا العربي تميز بالسبق.. ولا أقل من أن يكون انساننا العربي على قدم المساواة مع غيره.. المكسب الوحيد الذي نريده ان لا تكون على الهامش في زمن اختلطت فيه الأوراق.. واختفت فيه الحقائق المجردة خلف ضبابية الرؤية عن قصد وعن عمد.

بمناسبة حلول شهر رمضان المبارك

صاحب ورئيس تحرير مجلة المنهل ومنسوبوها يتشرفون
برفع أسمى آيات التهاني وأجمل عبارات الأمناني إلى مقام
خادم الحرمين الشريفين

الملك فهد بن عبد العزيز آل سعود

وصاحب السمو الملكي

الأمير عبد الله بن عبد العزيز آل سعود

ولي العهد ونائب رئيس مجلس الوزراء ورئيس الحرس الوطني

وصاحب السمو الملكي

الأمير سلطان بن عبد العزيز آل سعود

النائب الثاني لرئيس مجلس الوزراء ووزير الدفاع

والطيران والمفتش العام

وبهذه المناسبة العزيزة نبتهل الى المولى سبحانه أن يحفظ لبلادنا
الغالية دينها وعزها وأمنها في ظل قيادة خادم الحرمين الشريفين
ورعاية حكومته الرشيدة وأن تعود هذه الذكرى العاطرة عاما بعد عام
وبلادنا في تقدم وازدهار.

للعام
على التوالي



يسر إدارة العلاقات العامة بأرامكو السعودية أن تعلن عن إجراء مسابقتها السنوية الثامنة عشرة لرسم الأطفال مساهماً منها في تشجيع القدرات والمواهب الفنية لدى النمن والنات في المملكة العربية السعودية.

الجوائز

يمكن توجيه الاستفسار عن المسابقة إلى قسم الخدمات
المساندة بإدارة العلاقات العامة على الهاتف رقم
٨٧٤٤٤٢١ و ٨٧٣٤٢٠٣ مع تمنياتنا للجميع بالتوفيق .

١٤- ترسل جميع الرسوم إلى العنوان التالي:

يجب ملء هاتين القسمين أو صورتهما وتثبيت أحدهما على ظهر الرسم الشاركة وإرفاق الأخرى منفصلة مع الرسم.

مسابقة أرامكو السعودية الثامنة عشرة لرسوم الأطفال	مسابقة أرامكو السعودية الثامنة عشرة لرسوم الأطفال
اسم الطفل كاملاً : تاريخ الميلاد : الصف الدراسي : اسم المدرسة : عنوان المدرسة أو العنوان الشخصي كاملاً : مدينة : الرمز البريدي : البلد : الشارع : الهاتف : الفاكس : نوع الخامة أو المادة الفنية المستخدمة عند التنفيذ : موضوع أو عنوان الرسم المشارك به : التاريخ :	اسم الطفل كاملاً : تاريخ الميلاد : الصف الدراسي : اسم المدرسة : عنوان المدرسة أو العنوان الشخصي كاملاً : مدينة : الرمز البريدي : البلد : الشارع : الهاتف : الفاكس : نوع الخامة أو المادة الفنية المستخدمة عند التنفيذ : موضوع أو عنوان الرسم المشارك به : التاريخ :

١- عند إرسال الرسومات يجب على مرسلها وضعها في ظروف أو مغلفات



نجاحك ... نجاحنا



البنك الأهلي التجاري

THE NATIONAL COMMERCIAL BANK

